







Princeton University Library



32101 057496984

Princeton University Library

This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or re-  
new by this date.

--	--







# التفسير

لِكِتَابِ اللَّهِ الْمُنِيرِ

يَحْتَوِي هَذَا الْكِتَابُ عَلَى مَجْمُوعِ تَفْسِيرِ آيَاتِ الْفِقْهِيةِ  
وَالْجَلالِيَةِ وَاللَّائِيخِيَةِ وَالْاجْتِمَاعِيَةِ وَالْاِبْتِيعِيَةِ وَالْاِبْتِيعِيَةِ  
وَالْاِبْتِيعِيَةِ وَالْاِبْتِيعِيَةِ وَالْاِبْتِيعِيَةِ

بِقَلَمِ مُحَمَّدِ الْبَكْرِيِّ

حَقوق الطبع محفوظة

طبع في المطبعة العلمية رقم



Daf. 1  
inv. # 73/1/1012



# التفسير

## لكتاب الله المنير

يحتوي هذا الكتاب على مجموعتي تفسير من الأبحاث الفقهية  
والكلامية والنائية والأجتماعية والآداب والآثار العصرية

بقلم محمد الكرمي

حقوق الطبع محفوظة

طبع في المطبعة العلمية رقم

سنة ١٤٠٢ هـ

الجزء الثاني



\* ( سورة آل عمران ) \*

مدنية كلها وعدد آيها مأتا آية وقد ورد في فضلها اثر كثير منه  
 ماعن ابن عباس ان رسول الله قال من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة  
 صلى الله عليه و ملائكته حتى تجب الشمس .

\* ( يسبم الله الرحمن الرحيم الم الله لاله  
 الآ هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب  
 بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة  
 والأنجيل من قبل هدى للناس وانزل  
 الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم  
 عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله  
 لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ) \*

RECAP  
 (Araby)  
 BP130  
 .4  
 .K376  
 1981  
 JUZ' 2

جاء فى أسباب نزول هذه الآيات الى تمام نيف وثمانين آية ان  
 وفد نجران وكانوا ستين انسانا قدموا على رسول الله (ص) المدينة  
 ودخلوا مسجده حين صلى العصر وقد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون  
 بالناقوس وقاموا فصلوا فى مسجد رسول فقالت الصحابة يا رسول الله  
 هذا فى مسجدك فقال (ص) دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم رسول  
 الله منهم السيد والعاقب وكانا من اجل شخصياتهم فقال (ص) لهما  
 أسلما قالوا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله  
 ولدا وعباد تكما الصليب والكلما لحم الخنزير قالوا ان لم يكن عيسى  
 ولد الله ولا أب له فيما يظهر لكل احد فمن ابوه فقال لهما النبى  
 الستم تعلمون انه لا يكون ولد الآ ويشبه اباه قالوا بلى قال أستم



تعلمون ان ربنا حى لا يموت و ان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال  
ألستم تعلمون ان ربنا قيّم على كل شىء يحفظه و يرزقه قالوا بلى قال  
فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا  
يخفى عليه شىء فى الأرض و لافى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم  
عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم  
كيف شاء و ربنا لا يأكل و لا يشرب و لا يحدث قالوا بلى قال ألستم  
تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة  
ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم و يشرب و يحدث قالوا  
بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا .

اقول قوله (ص) لا يكون ولد الا و يشبه اياه يريد منه ان نتيجة  
المادى تكون مادية مثله فالخصائص المشتركة بين الماديات يجب ان  
تكون فى الفرع كما هى فى الأصل و ليس منظوره ان شبه الولد للوالد  
يكون على ما هو متعارف بين الناس من أن الوالد اذا كان طويلا كان  
ابنه مثله و هكذا اذا كان اسمر و اسع العينين مثلا كان الولد على  
طرازه فان هذه المشابهة ليست لازمة و كثيرا ما تخلفت بين الاباء  
و الأبناء أما الخصائص المادية اللازمة للمادة بما هى من اللوازم  
الذاتية لا تتخلف و لا تختلف بطور محتم .

و انما قال (ص) وان عيسى يأتى عليه الفناء و لم يقل فنى كما  
تعتقدون لانه (ص) يعتقد عقيدة القرآن فيه بأنه لم يصلب و لم يقتل و  
ان اعتقد النصارى فيه ذلك، و لاشك فى صحة استدلال النبى عليهم  
كما لا ريب فى لزوم انقطاعهم عن الجواب مع عقيدتهم فى المسيح ما انكره  
(ص) عليهم .

و قد تقدم الكلام على البسلة و الحروف المقطعة (الله) علم





شخصى لواجب الوجود علة العلل ( لا اله الا هو ) لا معبود بالحق الا هو و كل معبود سواه اما عبد فى نفسه و اما اخس من العبد وهو الحيوان و النبات و الجماد و لا يعبد ما سوى الله الا ساقط من جميع حيثياته ( الحى ) لانه معطى الحياة لجملة من الكائنات و فاقد الشىء لا يعطيه و ان كان معنى الحياة فيه و فيما سواه مختلفا كالاختلاف بين المادى و المجرى ( القيوم ) فان امداد الواجب اذا انقطع عن ممكناته تقلص ظل الوجود عنها لان الامكان صفة ذاتية للممكن و هى لا تتحقق الا بالواجب و قيمومة الواجب معناها نظارته على ما خلق نظارة تدبير و امداد ( نزل عليك ) يا محمد نبى الاسلام ( الكتاب ) وهو القرآن ( بالحق ) اى بما هو ثابت فى صفحة الواقع و معنى ذلك انه لاجهل فيه و لا اشتباه حال كون هذا الكتاب ( مصدقا ) و مؤيدا ( لما بين يديه ) اى يدى هذا الكتاب وهو ما سبقه من كتب السماء المنزلة على رساله المرسلين لان الجميع من الله و المحور الذى تدور عليه واحد وهو تعاليم الله لصالح البشرية و لسعادتها ( و انزل التوراة و الانجيل ) تفصيل بعد اجمال و للدلالة على عظمة هذين الكتابين بمراعاة الصيغة التى انزلها الله منهما لهما بعد التحريف ( من قبل ) ان ينزل القرآن و انما انزلهما ( هدى للناس ) و ارشادا الى ما فيه صالحهم فى النشاطين ( و انزل الفرقان ) وهو الكتاب نفسه و انما كرر ذكره بلفظ آخر تنبيها على علو شأنه بتعدد عناوينه ( ان الذين كفروا بايات الله ) و جحدوا بحججه و بيناته تعنتا و انانية و مآشاة للمصلحة الوقتية و الشهوة النفسية كجملة اولئك الذين يحتقرون المقدسين مع خضوع عقولهم لما هم عليه مآشاة للجهل الرائج و مواساة للجهلة ( لهم عذاب شديد ) يتكافأ مع جحودهم ( و الله عزيز ) لا يتجاوز على



حماء احد ( ذو انتقام ) اقامة للعدالة الواقعية اللازمة للأجراء فى كلّ شىء ( ان الله ) باعتبار احاطته بكل مخلوقاته فلا بد ع اذا كان ( لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لافى السماء ) لان الأرض و السماء من مخلوقاته و كل ما فيهما من كائناته .

\* ( هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا

اله الا هو العزيز الحكيم ) \*

التصوير فى كل شىء هو النقش و التخطيط و الأرحام جمع رحم هو مكان النطفة و مجال نموها ( هو ) يعنى الله هو ( الذى يصوركم ) يخطّط نطفكم فتارة ذكرا و اخرى انثى و ثالثة خنثى بوسامة او دامه بطول او قصر وما الى ذلك و هذا التصوير يكون ( فى ) عالم ( الأرحام كيف يشاء ) على ما تقتضيه الحكمة و المصلحة لا اعتبارا و تشهيا اذ لا جزاف فى فعل الحكيم .

و لا اشكال لأحد من الذكران و الأناث على طرز خلقته ذكرا كان ام انثى بأنّها لو خلقت ذكرا لكان اولى بها او هو يقول لو كنت انثى لكان اولى بى لعواطف تعصف بالفكر فتهدى الأمانى المذكورة لان خلقه الذكر و الأنثى و ان تفاوتت من نواحي عديدة طبيعية و اخلاقية و بلغ احصائها الى الاربعين فارقا الا ان لكل احترامه و صلاحيته لا كما يظن الرجل انه اعظم مقاما من المرأة بالذات نعم يجوز ان يكون اعظم مقاما بالعمل و تحمّل الزحمة و لا كما تظن المرأة انها ادون من الرجل مقاما بالذات فانها قد تكون خيرا منه بالعمل و مسألة تكون الأنثى من مثل المادة التى يتكوّن منها الذكر من اعظم رموز الخلقة انصافا .

( لا اله الا هو ) يعنى اذا كان الله تعالى بالوصف المذكور



وهو أنه مصّر للعالم كله فلا تليق العبادة بأحد سواه لان ما سواه داخل فى حوزة حكومته متصرف بتصريفه مخلوق له (العزيز) الذى لا يستطيع مخلوق ان يتفوّت عليه فى عالم التكوين (الحكيم) الذى لا يعمل عملاً من دون حكمة وعلّة وان لم تتجل جملة من العلل للعيون والعقول .

\* ( هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ امّ الكتاب و آخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله الاّ الله و الراسخون فى العلم يقولون آمناّ به كلّ من عند ربّنا و ما يذكر الاّ اولوا الألباب ) \*

المحكم فى اللغة هو القوى المترابط الأجزاء و المتشابه هو ذو الوجوه المتعددة و الزيغ هو الميل عن الحقّ و الفتنة التشويش و الراسخ الثابت العريق و مفاد الآية أنّ الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب فكلّ شىء فيه هو منه وقد احتوت دقتا هذا الكتاب على الآيات المحكمة اى ذات الظاهر المكشوف الذى يلتفت اليه كل عارف باللسان معرفة متعارفة نظير قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره و على آيات متشابهات نظير الحروف المقطعة (كهيعص) أما الآيات المحكمة فهى نازلة على ما يتوقع منها لانها للمكلفين قاطبة فهى تكلمهم بلسان يفقهونه و أما سبب انزال المتشابهه فمجهول لم ينكشف لنا وجهه كسائر الأمور الغامضة علينا من



اسرار الخلقه ( فأما الذين فى قلوبهم زيغ ) ميل باطنى عن الحق ورمز يدعوهم الى الاقتناص من وراء التستر بظاهرة الحق ( فيتبعون ما تشابه منه ) يعنى يقولون ان الله اراد من هذه اللفظة هذا المعنى ليقبوعوا به ويتسربوا الى منوياتهم الباطلة ( ابتغاء الفتنة ) بين الناس وتفريقا لهم ليستفيدوا من طريق التفريق ما يزوونه فى انفسهم من اهداف مسمومة ( وابتغاء تأويله ) من انفسهم بما يتمشى مع مقاصد هم ( وما يعلم تأويله ) اى تأويل المتشابه ( الا الله ) الذى انزله ( واما الراسخون فى العلم ) الثابتة اقدامهم من الواقع الذين لا يتكلمون جزافا ولا يقبلون الجزاف من احد ( يقولون آمنا به ) اى بالمتشابه يعنى ايماننا بنزوله من الله و لكن لا طريق لنا الى تأويله لأن تأويل ما لا ظاهر له تحكم فيه ( كل ) من المحكم والمتشابه ( من عند ربنا ) هو الذى انزله ( وما يذكر ) بالعظات والدلائل البينات ( الا اولوا الالباب ) اى اصحاب العقول الراجحة التى تثبت بهم فى المزالق ولا تطوح بهم فى المداحض .

وتفيد الآية بلحنها ان عالم الخلقه وأسرار التكوين فيه ايضا محكم ومتشابه والمحكم هو الذى تجلت حكمته مثل خلقه اجهزة الانسان وان هذا الجهاز فائدته كذا والجهاز الآخر فائدته تلك واما المتشابه فكخلق الصحارى الجرداء والحشرات المؤذية واحداث البراكين والأعاصير ونظير ذلك فأما المتحيزون الى الرموز فأنتك لا تراهم الا عالقين بمشكلات هذه الأسرار وطلاسم هذه المغلقات واما اهل العقول الصحيحه والضائر الطاهرة فيقولون ان صاحب هذه الحكم الباهرة المتجلية لنا اجل من ان يوصم بالسفه بالنسبة الى ما لا نعرفه ولا ندركه والجهل بالشىء لا يجوز ان يكون طريقا الى انكاره



او التشنيع به و المراد بقوله هنّ أمّ الكتاب ان المحكم هو المحور الذي تدور عليه رحي اعجاز الكتاب و احكامه و آدابه و تعاليمه و أمّ المتشابه فهو بالنسبة الى الحكم يسير بالنسبة الى كثير و ضمير به من قوله آمنابه يجوز ارجاعه للكتاب كما يجوز ارجاعه الى المتشابه .

\* ( ربنا لا تنزع قلوبنا بعد ان هديتنا و هب لنا

من لدنك رحمة انك انت الوهاب ، ربنا انك

جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف

الميعاد ) \*

هذا الدعاء من مقول قول الراسخين في العلم المطمئنة قلوبهم بالآيمان المرتاضة عقولهم بمفاهيمه و مفاده ربنا لا تمل بقلوبنا عن الحق بعد ان هديتنا اليه و تناسب هذا الدعاء مع المنطق هوان يقال انهم وجدوا انفسهم مهديين بالفطرة التي خلقوا عليها الى الحق القديم فأرادوا من هذا المولى الرفيق بعباده ان يتوجه اليهم بلطفه فيقوى مستدعيات فطرتهم فيهم حتى يبعدوا عن منطقة الضلال بعدا يأمنون معه عن الانحراف الى الباطل و الميل عن الحق واستدعاء هذه المطالب من الله حق لا غضاضة فيه على الطالب و لاعلى المطلوب منه .

و ليس معنى الدعاء لا تمل بنا يارب عن الحق الى الباطل فأن في

ذلك من ظن السوء بالخالق و انه يضل عبده اعتباطا و يؤيده بالآيمان

تشهيا ما لا يخفى و المراد من طلب الرحمة هو طلب التوجه منه تعالى

بنحو عام ، انك انت الفيّاض الذي لا تمنع رفدك عن سائله اذا وجدته

مستحقا له ، ربنا انك جامع الناس ، اى حاشرهم لميعاد لا ريب فيه حتى

ينال كل ما يستحق و حتى لا يذهب تعب المؤمن في دنياه هدرا عليه



انّ الله لا يخلف الميعاد ، يجوز ان يكون هذا القول من تمام قول  
الراسخين فان من لازم الأيمان بالله تصديقه فيما يقول و من قول الله  
على ايدى رسله انه حاشر الناس ليوم القيامة لينال كلّ من المحسن  
و المسيء في الدنيا حقّه اللّازم في الآخرة كما يجوز ان يكون من قول  
الله سبحانه فتكون الجملة استثنائية .

و خلاصة البحث ان الانسان بفطرته البعيدة عن الموهنات فاضل  
يحبّ الصدق و يبغض الكذب و دليل ذلك انه في المطالب البعيدة عنه  
يؤيد الصدق و الصادق و يفند الكذب و الكاذب وهكذا سائر خلال الفضيلة  
و في مقابل ذلك سمات الرذيلة فانه يكرهها بفطرته نعم اذا تعلقت  
اغراضه الشخصية بما يخالف فطرته ايد غرضه و بعد عن ابحاث فطرته  
و هذا مطلب من الضرورة بمكان و انما يعاكس فيه الماديون لأنهم  
جافون لأنفسهم سيئوا الظن بخلقهم معتقدون بها خلاف واقعها  
و للعقيدة اثر فعال في توجيه البدن .



\* ( انّ الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا  
 اولادهم من الله شيئا و اولئك هم وقود النار  
 ، كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم كذبوا  
 بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم و الله شديد  
 العقاب ) \*

هاتان الآيتان جيء بهما في مقابل ما قال الراسخون و دعوا به  
 ربهم يقول ربّ العزّة و أمّا الذين جحدوا الله او جحدوا نعمه واختصوا  
 بأنفسهم و مساعيها و ذنبياتهم المادية و قابلياتها فوجدوا ان القوّة  
 فى المال و الرجال و ان لا وقع لشيء ورائهما ( وهذه العقيدة مألوفة  
 لأدمنة الكثيرين من الناس ) فلن تغنى عنهم اموالهم و لا اولادهم  
 من الله شيئا اذا اراد خلاف ما اراد هذا المغرور فكم ملك سقط عن  
 عرشه فى أيام مع اتخاذ العدد الكافية لبقائه و استمراره من مال جزيل  
 و جيش جرار و من دون الملك اصناف من الناس و اقسام من الرجال  
 خانتهم اموالهم و راحت فى اكياس غيرهم دفعة واحدة ولم تغن عنهم  
 رجالهم و لم يستفيدوا من اولادهم و خذلتهم ذنبياتهم و قعدت بهم  
 كافة قواهم المادية و اولئك هم وقود النار و حطبها لمحادتهم لله  
 سبحانه و مشادتهم فى قبالة .

اذا فشان هؤلاء مع الله معاملة و مكافئته تعالى لهم جزاء  
 كعادة الفراغة و اتباعهم مع الله حيث يبارزونه بالمعصية الجاهرة  
 و يعتدّون بأنفسهم فى قبالة و يأتى عليهم الدور من قبل الله سبحانه  
 بالمواخذة على ما عملوا انّ الله شديد بطشه عظيم عقابه ثقيلة مؤخذته  
 و قد يرى جملة من الناس ان العدل بتمام معياره انما يتعقل



حيث تقع المجازاة بأزاء الجريمة بلا فاصلة او بفاصلة قليلة و الا فأرسال  
 خناق المتعنت يفعل ما يشتهي اتكالا على عذاب الآخرة فهو تسييب  
 للبشرية من لازمه عبث الظالم بالمظلوم حتى يتراجع عنه من قبل نفسه .  
 لكن فى هذا النظر اشتباها لانه مخالف لطرح خريطة اصل الخلقة  
 فأن الله جعل المكلف بين نشأتين نشأة تكليف و من لازمها اعطاء  
 الأختيار له حتى يظهر منه ما يأتى و ما يذران المقسور على الطاعة لا  
 يكون طائعا و لا يعرف خبثه و شره من طهارته و نزاهته حتى يصل اليه  
 حقه من جزاء السيئة او الحسنه و نشأه مجازاة و من لازمها انها متمحضة  
 للتعلم او التالم فارغة من التكليف و من اهواء النفس بالمرّة .  
 و بعبارة اخرى يكون الإنسان فى شؤون خلقته غدا غير نفسه اليوم  
 فى خصائص الخلقة كما يشير الى ذلك نظير قوله تعالى و نزعنا ما فى  
 صدورهم من غلّ اخوانا على ان الله سبحانه فى هذه النشأة لم يقطع  
 نظره من عباده من حيث المجازاة على عمل الباطل او عمل الحق كما  
 اشعرنا بذلك فى صدر البحث .



\* ( قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم

و بئس المهاد ) \*

روى ان هذه الآية نزلت فى اليهود لما اصاب رسول الله قريشا  
ببدر وذلك انه (ص) جمع اليهود عند مقدمه الى المدينة فى سوق  
قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم  
بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم انى نبي مرسل  
تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يعزرك انك لقيت قوما اغمارا لا  
علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن  
الناس فأنزل الله هذه الآية ومفادها قل يا محمد للكافرين سينصر  
الله عليكم دينه فتنغمر عزة الكفر بعزة الأيمان هذا فى دنياكم واما فى  
أخراكم فما لكم الى جهنم و جهنم بئس مهادا يمهّد لانسان حى  
عذاب مستمر موجع لوقضى على الانسان به لاراحه ولكن المجازى قصد  
بذلك طول التعذيب واستمرار التنكيل فواحسرتاه منكم على انفسكم  
حيث لا تنفع الحسرة ولا تفيد الندامة .

والآية تفيد بلحنها ان الكافر بموازين السماء المستسخر لها  
العامل بضدهما مغلوب لا محالة والمراد بمغلوبيته المحققة انه سيخسر  
حياته الصادقة و ينغمر فى سخافات و تموجات متعبة من الحياة تجعله  
كارها لوضعه متألما من دنياه حاسبا لها انها من تعس الاشياء هى وانها  
لدى التحقيق نقمة على صاحبها لانعمة بخلاف ما لوجرت الاوضاع  
الحيوية على ميزان الأيمان و تخلّق الانسان بأخلاق المؤمنين فان  
الحياة لا تثقل عليه و متى خف ثقلها خفت أذاياها قطعاً بل وقلّت  
ايضا لأن دواعى الأيمان تحذف الكثير من مشكلاتها .



\* (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) \*

الفئة الجماعة التي يفىء اليها الأنسان لأجل ان يتقوى بها ورأى العين يعنى بالحس الشهودى و يؤيد معناه يعطى الأيد اى القوّة و الأبصار جمع بصر فى قبال البصائر جمع بصيرة .  
و الآية تشير الى وقعة بدر التي انتصر فيها المسلمون على قلتهم عددا و عدّة على الكافرين الذين كانوا اكثر منهم عددا و عدّة ايضا و كان عدد المسلمين فى بدر ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا و عدّتهم سبعون بعيرا و فرسان و ستة ادرع و ثمانية سيوف و كانت عدّة المشركين الفا او دون الألف بقليل و كانت خيلهم مائة فرس بعدّة كافية .  
و الخطاب فى (لكم) يجوز أن يكون لعموم الناس من باب ضرب مثل للمؤمن و الكافر و أن المؤمن من حقّه أن ينتصر فى مواقفه مع الكافر لأن المؤمن يعلم انه على حقّ و ان طرفه على باطل كما يعلم أن دنياه اذا لم تنتهيا له فله آخرة واسعة و الكافر لا يرى وراء الدنيا شيئا فخوف الكافر عند ملاقة المؤمن فى حرب اكثر من خوف المؤمن بل ولا قياس فيستظهر من هذا ان المؤمن اذا تلكأ عن حرب الكافر او شرد عن وجهه فهو ضعيف الأيمان بالمبدأ الذى يتولاه و يدافع عنه و ضعيف كل شىء لا وزن له .

كما يجوز ان يكون للمشركين عامة اربابا و ارهابا لهم بأن موقف المؤمن مؤيد فانضوا تحت راية الأيمان ايها المشركون وقد يخصّ به



اليهود تهديدا لهم كما يجوز ان يكون للمسلمين و انهم اذا قابلوا الكفار مقابلة مسلمين بدر انتصروا عليهم و النتيجة من جميع الاحتمالات واحدة .

وقوله تعالى ( يرونهم مثلهم ) كناية عن الكثرة فى مقابلة القلة و ليس المنظور به انهم واقعا مثلام و نظير هذه الاستعمالات كثيرة مثل ان تستغفر لهم سبعين مرة ( ان فى ذلك لعبرة ) اى ان فى انتصار القليل المؤمن بمبادئه على الكثير القاصر بنظره على العادة وحدها عبرة و مقياسا لكل من يريد ان يستجلى كيف يغلب المرابط لمبدأه فاقد المبدأ .

\* ( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين  
و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة والخيل  
المسومة و الآنعام و الحرث ذلك متاع الحياة  
الدنيا و الله عنده حسن المآب ) \*

الزينة المظاهر الأخاذة و الشهوة ميل النفس الى رغباتها  
و القناطير جمع قنطار وهو المال الكثير و المقنطرة صفة تأكيدية مشتقة  
من القنطار نفسه كما يقال ليل أليل و قيل سميت الخيل بهذا الاسم  
لخيلائها فى مشيها و طموحها و مرحها و المسومة قيل من السيماء و  
هو الحسن و قيل من السوم وهو الرعى و الهدف بذلك تركها ترعى على  
رسلها لا تعمل و لا تستخدم و الأنعام ينصرف اطلاقها العرفى الى  
الأبل و البقر و الغنم و الحرث هو الزرع .

و الهدف من الآية ايقاع المقارنة بين الدنيا المحضة التى لا يراعى فيها  
الآ شهوات الحيوة فقط من اكل و شرب و لبس و سكن و عرس و اولاد



و مال و خيل و انعام و زروع و نظائر ذلك و بين الدنيا المعتدلة التي تطفح عليها المعنويات و ترافقها الفضيلة ، أما الاندفاع نحو الشهوة محضا فذلك فيه من الخسائر على الانسان ما لا يعرفه الا اذا توجه اليه و اما اذا أصر على ما هو فيه فذاك سبيله سبيل الحيوانة المهملة و لا كلام معها فان المقاييس المنطقية انما تساق لمن يدركها لا لمن يجفوها .

و أما المشى المعتدل فيها فذلك فيه خير الدنيا المادية و خير الفضائل الانسانية هذا كله مع صرف النظر عن الآخرة و اما مع النظر اليها فخسارة الانسان لا تقدّر و ربح الأنسان الفاضل الذي جمع بين اطراف دنياه و آخرته لا يحصى .

و قد جاء الأثر عن اهل الرياضات العقلية في فتنة الرجل بالمرءة و الولد الشيء الكثير و من جملة ذلك قول النبي (ص) ما تركت بعدى فتنة أضرّ على الرجال من النساء و قال (ص) للأشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من ولد قال نعم لى منها غلام و لوددت ان لى به جفنة من طعام اطعمها من معى من بنى جبلة فقال (ص) لئن قلت ذاك انهم لثمرة القلوب و قرّة الأعين و انهم مع ذلك لمجبنة مبخلة محزنة و حسن المآب حسن المرجع و الخاتمة و فاعل زين حبّ الشهوات للناس هو الله سبحانه اختبارا لعباده فان الأنسان من دون اختيار لا يعلم مدى ما فى نفسه .



\* ( قل أوبأكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم  
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها  
وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير  
بالعباد ) \*

هذه الآية كمقابل صريح للآية الآنفه الشارحة لمتع الحياة فى الدنيا جاء بها رب العزة لينبه اذهان المكلفين الى ان فى مقابل تلك المتع التى قد تحصل فى الدنيا لطالبها وقد لا تحصل متعاً حاصله بطور قاطع للمكلف المتقى ومع ذلك هى خير من متع الدنيا من عدة نواحي .

(١) ان الحياة الأخرى للمتقين دائماً فى رياض مطردة الانهار وفى ذلك من النزهة مالا يخفى امره .

(٢) ان نعيم الآخرة على سلامته من المنغصات دائماً خالد .

(٣) ان الازواج الموعود بها للمتقين ازواج مطهرة من دن الرذائل سواء كانت فى الطبيعة ام فى الأخلاق وقلماً تحصل امرأة فى عالم الدنيا تكون مطهرة من هذه الأدرا .

(٤) ان نعيم الآخرة على اوصافه تلك مقرون برضوان الله سبحانه و مرضاة الله غاية شريفة لمن يدركها ، و ختم سبحانه الآية بأنه تعالى عالم بروحيات عباده الذين يميلون الى متع الدنيا صرفاً ولا يهتمهم من امر الآخرة شىء و عباده الذين يلحظون آخرتهم بلحظة قوية .

و يجوز فى قوله للذين اتقوا ان يتعلق بقوله بخير من ذلكم فيكون ارتفاع جنات على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره والذى هو خير من ذلكم جنات تجري كما يجوز ان يرتفع جنات على الابتداء والخبر هو



قوله للذين اتقوا عند ربهم وتكون هذه الجملة الأبتدائية تفسير القول  
بخير من ذلك .

وتشير الآية الى نوعين من خلاصة ما أريد بها :

(١) هي ان نعيم الآخرة كما هو متفوق على نعيم الدنيا فى  
جنسه ووصفه كذلك خلقتكم فى أبدانكم فى الآخرة متفوقة على خلقتكم  
فى ابدانكم فى الدنيا وذلك ان مجارى طبيعتكم فى الدنيا ينحذف  
منها فى الآخرة كلها هو مستقذر كالحيض والنفاس والطلق والمرض  
وتشويه الخلقة والغرائز التى تقود الى الرذائل من التعدى على  
حقوق الأغيار والغضب والحسد وما الى ذلك ويقوم مكانها ما هو  
مكمل للخلقة بوصف السلامة من كل عاهة كاجتماع الأشدّ وتام الخلقة  
وحسنها ونضارتها وتجلّى الفضائل على كل حال .

وعن هذه الخلاصة تشير الآية الى ان النعيم المادى فى الدنيا  
على نقصانه وآلامه حتى لو اجدته لم يكن متهيئا لكل احد أو لا وان جملة  
من المؤمنين تورعوا عنه او اشغلوا انفسهم بعبادة الله فلم يكن لهم  
فراغ اما فى الآخرة فأحسن النعيم بأتم اوصافه ولعموم المؤمنين مهيباً  
جاهز وان كل انسان عزبت نفسه عن النعيم المادى وانصرفت الى  
المعنويات التى هى جلب رضا المعبود عنها فانه سينال اعلا مقياس  
مما توخاه ، وفهرست تفاوتات الآخرة والدنيا تقرؤه فيما يلى :

(١) نعيم الدنيا لا يحصل لكل احد و نعيم الآخرة حاصل لكل

موعود به .

(٢) نعيم الدنيا فانى و نعيم الآخرة خالد .

(٣) نعيم الدنيا حتى لو اجدته مفعم بالآلام و نعيم الآخرة فاقد

لكل ألم وممّحض للتعلم اذ لا ابتلاء فى الآخرة .



(٤) نعيم الدنيا حتى لو اجد ه و حتى مع زمن خلوصه من المؤلمات  
ليس دائما مقرونا برياض و انهار و الآخرة واجدة لذلك .

(٥) نعيم الدنيا مقرون بعاهات خلقية و انحرافات اخلاقية  
و انحطاط في الطبيعة و نعيم الآخرة واجد لكل كمال .

(٦) المتنعم في الآخرة دائما في دور شببية و نشاط و فراغ بال  
و استكمال من ادوات الطبيعة

(٧) نعيم الآخرة فاقد للتكليف و شبهاته و نعيم الدنيا مقرون  
بالتكليف و الشبهات .

(٨) المكلف في الدنيا قبل ان يحكم له بفوز الآخرة غير محرز  
لرضوان الله و بعد الحكم له بالفوز محرز لرضا الله سبحانه .

(٩) لا احتياط في الآخرة لأحراز الواقع و لا تكلف اذ لا موضوع لهما  
هناك بخلاف الدنيا ( النوع الثاني من النوعين المشار اليهما ) ان الأدلة  
الواضحة دلت على ان العوالم لها مكوّن وان مكوّنها موجود ازلّى  
ابديّ حتى قادر عالم حكيم كل ذلك باستلزام المعلولات لعللها و من  
طريق هذه الحكمه يوجب العقل على الحكيم ان يكون هدف خلقته  
اسعاد مخلوقه و الآ فبقاؤه في كتم العدم خير له من ايجاده بل يعتبر  
ايجاده كجناية يجنيها عليه و اسعاد المخلوقات لا يعقل ان يكون في  
هذه النشأة بهذه الصورة المليئة بالمؤلمات و المحزنات بما تلجأ احيانا  
الى الانتحار فلا بد ان يكون في نشأة اخرى فاقدة لهذه التوجّجات  
العارمة و عادية للتكليف ايضا و كما يجب اسعاد المنسجمين مع الأدب  
و الوظيفه يجب تأديب العصاة المنحرفين كلّاً و ما يستحق و هذان  
الوجوبان قد أبانهما سبحانه في وعده بالمعاد الجسماني و توابعه  
و هذا هو الدليل العقلي على لزوم المعاد و نقله ما اشعر به الكتاب



\* (الذين يقولون ربّنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا و  
قنا عذاب النار، الصابرين و الصادقين —  
و القانتين و المنفقين و المستغفرين بالأسحار) \*

وفى هذه الآية شرح سبحانه ما عناه بالمتقين فى الآية السابقة  
ليعلم ما هو المراد بهذه الكلمة فقال المنظور بالمتقين هم الذين  
يقرون اقرارا موافقا لضمائرهم ليكون حجة عليهم عند الله و الناس جميعا  
بأننا آمنا بك يا ربنا و تيقنا انك مثيب لمن اطاعك معاقب لمن عصاك  
و نحن قد تدمر من عندنا بوادى لا ترضاها فاغفرها لنا فان الانسان  
محطة الخطأ و النسيان و اصرف عنا عذاب النار المعدة للعصاة من  
عبادك العاجزين عن تحملها كما ان المتقين هم الصابرون على  
ما يبتليهم به الله تعالى رضىا لحكومته فيهم و الصادقون فى اقوالهم  
و افعالهم و اوعادهم و الملازمون للطاعة — و ذلك اعرف المعانى التى  
يفسر بها القنوت و المنفقون لأموالهم فى سبيل الله اجابة لدعوة الله  
لهم بالأنفاق فى سبيله و المستغفرون بالأسحار و خص السحر بالذكر  
دون سائر الأوقات لانه وقت خلوة و مناجاة فالأستغفار فيه حقيق  
بموافقته للضمير : روى عن ابى عبد الله عليه السلام ان من استغفر الله  
سبعين مرة فى وقت السحر فهو من أهل هذه الآية .



\* (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا  
العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز  
الحكيم) \*

اصل الشهادة من الشهود وهو طفوح الشيء للبصر وهو الحاسة  
المثبتة للشيء باليقين المحسوس ولازم الشهادة بهذا المعنى ان  
المشهود به ما لا ريب فيه لتحققه قطعاً ومعنى شهد الله انه لا اله الا  
هو ابراز علمه بحقيقة ذاته وعلم الله بكل شيء كشف وليس قول الله  
سبحانه في حق نفسه دعوى مجردة بل هي مشفوعة بالحس الواضح  
وهو ان غيره من الموجودات باطل زائل حائل آفل كما استدل بذلتك  
ابراهيم عليه السلام .

وكذلك شهد الملائكة بواحدانية الرب على ما يقتضيه المنطق  
الصائب واما خصوا بالذكر لأنهم من اكثر المخلوقات اطلاعا على  
بدائع الصنعة لنفوذهم في عوالم السموات والأرض وخص اولوا العلم  
من بين الناس لسداد خطواتهم بالمنطق الجزل وبعدهم عن الأوهام  
والشبهات وقائماً بالقسط حال من هو واما خص العدل بالسياق  
من بين اوصاف البارئ تعالى لانه في نفسه من اهم الصفات وبالنسبة  
الى الخالق من اعظمها ابانة عن ان نفوذه وقهاريته ليسا فيه على حد  
غيره من النافذين القهارين فان غيره ينسى كل انصاف وعدالة عند  
سيطرته اما هو تعالى فعلى عظيم نفوذه بما لا يدانيه في ذلك احد  
فقد بنى صنعته وخلقته على العدل والقسط .

وجملة لا اله الا هو العزيز الحكيم شرحت بتكررها مفاد ما سبقها  
بأن الله معزته لا تساع قدرته وحقارة كل شيء بالنسبة اليه حكيم في



افعاله و اقواله و الحكيم لا يكون الا عادلا لان الحكمة معناها وضع الشئ في موضعه اللائق به .

وجاء في الرواية عن غالب القطن قال اتيت الكوفة في تجارتي فنزلت قريبا من الأعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة رأيته قائما في الليل يتهجد فمرّ بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو فقال وانا اشهد بما شهد الله به و استودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله و دعة قال ذلك مرارا فقلت في نفسي لقد سمع فيها شيئا فدنوت منه و قلت له آية سمعتك تردّها فما بلغك فيها قال لا احدثك بها الى سنة فمضت السنة و اتيته على الموعد فقلت قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله ( و يريد به ظاهرا ابن مسعود ) قال قال رسول الله (ص) يجمع بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عهدا عندى و انا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى هذا الجنة .

و فهرستا نقول معرفة الشئ تكون بطريق من ثلاثة طرق اما المكاشفة او الحسّ الشهودى او العقل و المكاشفة تكون بالتجرد عن المادة و هذه الحالة انما تحصل لأقوياء اليقين البعيدين عن المادة و عن حبّها و استيضاح هذا المعنى يكون بالتدبر للأحلام الصحيحة فأنها من مكاشفة الأرواح ، و اما الحسّ الشهودى فمعلوم و المعرفة العقلية معناها قيام البرهان على تحقق الشئ .

و معرفة الله تكون لأهل اليقين بالمكاشفة القائمة على التجرد من صفات المادة و ان كان المكاشف ماديا في ذاته و هذه لا تتحقق الا للأنبياء و من كان على وزانهم و اما طريق الحسّ فهو الذى ينتقل منه لمعاينة العلل الموجدة له من باب الانتقال من المعلول الذى هو المحسوس الى العلة غير المحسوسة و معرفة غير المحسوس هذا انما



كانت من طريق العقل .

\* ( ان الدين عند الله الاسلام و ما اختلف الذين

اوتوا الكتاب الا من بعد ما جائهم العلم بغيا

بينهم و من يكفر بايات الله فان الله سريع

الحساب ) \*

الدين هو الخضوع للمقررات الربانية فى السير الحيوى تنص هذه الآيه على ان الدين غير معقول ان يكون فيه اكثر من واحد و ذلك لان الواقع واحد لا اثنان و البارى تعالى لا يتعبد الناس بغير الواقع وان هذا الدين الواحد هو الاسلام لله سبحانه فى كل وقت و مقسرات الاسلام ايضا متحدة فى جذورها و ان اختلفت المصالح فى تغيير و تبدل فروعها على تسلسل الأجيال و تعدد الانبياء المرسلين حتى استقرت بكاملها فى نبوة خاتم الانبياء .

و لم يبق للتغيير و التبدل ذيل يسترسل اليه لتدوين و تقنين القوانين العامة و الخاصة القائمة بجميع شؤن الحياه و ما يدعى من تطور الدين حسب تطورات الناس فهو تزوير على الحق فان الناس قد يتطورون الى ما هو فاسد بظاهر ضرورات العقول و الأذواق الصحيحة فكيف يتطور الدين مع هذا التطور المفروض فان واقع الاشياء واحد و ثابت على كل حال .

اذا فلا دين له مجال فى عرض الدين الإسلامى وقد كان اهل الكتاب من يهود و نصارى ينتظرون هذه النبوة الخاتمة لقيام انبيائهم كل فى دوره بهذه المهمة و لكن دواعى البغى و الحسد و الاستكفاف عن قبول الحق و حب الأنحياز هى التى اهابت بهم الى ان يتخلفوا



عنه و يشوبوا دين الله بأرائهم و انظارهم .

ثم هدد سبحانه الكافرين بآياته بأنهم سوف يلقون جزائهم من دون ملاحظة ولا تسويق لانه ليس بعد اتمام الحجة الا العقوبة ، و خلاصة الآية ان الواقع واحد لا تعدد فيه و ان الله لعدله و حكمته و رأفته بعباده لا يكلفهم الا بالواقع الثابت و لا يموه عليهم فان التمويه تدليس و خيانة و الله يجلل عن ذلك و الواقع الثابت هو الاسلام على كل حال و كما كلف عباده بأن لا يفرقوا بين نبي و نبي في تعظيمه و الانقياد له و تصديق نبوته لان الجميع يدعون الى الله كذلك كلف عباده بأن يحترموا دعواتهم و يأخذوا بها الا مانسخ من بعض فروعها و هذا لاغراضه فيه كما لنسخ الذى يكون فى الشريعة الواحدة فكما ان النسخ فيها لا يضر بوحدتها كذلك نسخ بعض الدعوات لبعض فروع دعوة اخرى لا يضر بوحدتها فيظهر ان انقسام الدعوات بعد الدعاء مخلوق آراء و اهواء لا قيمة لها .



الدين عند الله هو الاسلام فقط

\* (فأن حاجوك فقل اسلمت وجهي لله و من

اتبعني و قل للذين اتوا الكتاب و الأُميين

٤ اسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا

فانما عليك البلاغ و الله بصير بالعباد ) \*

أبان الله سبحانه لنبيه اقصر طريق لخصم المنحازين عن الاسلام من اهل الكتاب و المشركين المعبر عنهم بالأُميين لتمحضهم في العامية فقال له قل لمن يحايجك في الاسلام بأننى انا و كل مكلف يعترف لله بالعبودية اسلمت قيادى لله لانه الخالق المكلف و كل من يكون كذلك يجب الانقياد له و الرضوخ لاوامره و نواهيه .

و انما قال اسلمت وجهى و لم يقل قيادى لان وجه الانسان شعاره و عمدة ما فيه فأسلام الوجه اسلام لكافة ما يحتوى عليه و جسد المكلف و كذلك كل من اتبعنى فى طريقى اسلم وجهه لله و انتم هؤلاء ان كنتم تعترفون لله بالعبودية فأسلموا و جوهكم لله و انقادوا لمقرراته و اتركوا آرائكم فى قبال أمره و نهييه و ارادته ، و ارادته هى هذه المقررات التى كلفنى بحملها و ابلاغها و هى بنفسها تدل على نفسها بالصدق اذ لا تحييز فيها لجانب و لا دعوة فيها لشيء خاص سوى عز ساحتها فأن اسلموا كما اسلمت و انقادوا لله كما انقدت فقد اهتدوا الى الطريق الصالح العوفى بهم الى السعادة .

و ان تولوا عن دعوتك و بقوا على انحيازهم لأنفسهم و جنوحهم الى عصبياتهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فأنما عليك البلاغ و اقامة الحجة و قد حصل كل ذلك منك و الله بصير بعباده الذين خلقهم و انما يقيم الحجج عليهم و يواتر بالبينات اليهم لتتم عليهم الحجة من



كافة جوانبها وجميع جهاتها .

و الآية تشير بلحنها الى ان اى مكلف فى اى عصر كان و اى مصر اذا عقل دينه لا ينبغى له ان تهزه الارتعاشات التى يقوم بهـ المرموزون و المأجورون اولئك الذين بلباقة اللسان و مساعدة اهواء العوام يثيرون الخبرة على مقدسات الفضيلة بان الصلاة ماهى فائدتها و تقديس الذوات المثالية من نبي او وصى تقديس فارغ و المجال كله لتمشية الاهواء و اعطاء النفس رغباتها بل من لازمه ان كان من اهل الثقافة ابداء ثقافته فأن اتبعوها علم انهم كانوا مضللين مغفلين و ان التوا عليه علم انهم مرموزون يحاولون تحصيل مطلب يسهل عليهم ارتكابه و يخف عنهم عابه كانصار المرءة باللون الذى هتكوا به كل عفيف و عفيفة هتكا لا يستطيع تداركه و لا يمكن تلافيه .



\* ( انّ الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير

حقّ و يقتلون الذين يأمرّون بالقسط من الناس

فبشرهم بعذاب أليم اولئك الذين حبطت أعمالهم

فى الدنيا و الآخرة و مالهم من ناصرين ) \*

فصل سبحانه فى هذه الآية جملة من مصاديق الذين يتولون عن  
النبي الهادى و معنى الكفر بآيات الله تكذيب كونها منه و أنّها من  
مواليد الطبيعة او الصدف كما يقول الماديون كل ذلك فى كل موجود  
و لا شك ان ذلك منهم انكار لواضح وقد حكمهم العلم و قطعتهم  
حججه و قتل الانبياء كما يصدق بسفك دمائهم يصدق بالتبليغ ضدّهم  
و وصف قتل الانبياء بكونه على غير حقّ تأكيد للباطل الذى يرتكبه  
القاتلون .

و فى افق قتل الانبياء قتل الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر  
بأراقة دمائهم او الصمود ضدّهم بالأسفاف و الاستخفاف فأن قال قائل  
هل يجوز للأنبياء ان يبلغوا حتى مع توقع القتل قلنا نعم فانّ معنى  
النبوة هو التبليغ بكل مجهود وقد دعا انبياء الله حتى العتاة  
المتجبرين مع توقعهم كل مكروه من طريق هذه الدعوة و النظر فى  
حياتهم الاجتماعية مصحر بذلك فقد واجه ابراهيم و موسى و عيسى و نبي  
الاسلام كل اعنات و ترصد هم الكفرة بأنواع الأذى و بالقتل نفسه بشتى  
انواعه .

و اما الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فيختلف حالهما مع الموارد  
و لا شك ان اولى الشخصيات المتزنة التى لها صوت و حيثة اجتماعية  
موظفون بما يسامت افق شخصيتهم كما لا شك ان سكوت المؤمن الذى



يؤدى الى دحض دينه و سحقه بالمرّة لا مسوغ له و القتل فى هـذا  
الجهاد لا محذور فيه و يظهر من قوله تعالى اولئك الذين حبطت  
اعمالهم ان الأحباط كما يكون مع صريح الشرك بالله يكون مغما هو فى  
افقه قتل الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر و ان صدر من انسان  
يقول بالمبدأ و لا ينكره و اطلاق البشارة على العذاب تهكم واستهزاء .

\* (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون

الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم

و هم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار

الاّ اياما معدودات و غرهم فى دينهم ما كانوا

يفترون ) \*

فى هذه الآية أبان سبحانه حقيقة من حقائق العالم لها مفعول  
قوى فى النفوس و الاجتفاع و هى ان هناك روحا قدرة فى جملة من  
افراد البشرية و تلك الارواح هى الغرور بطفيف ما يحصل للإنسان من  
علم او مال او جاه و الاعتزاز بالذات بأنه فوق الآخريين و مهما بدرت  
منه بوادر .

و المنظور بأيتائهم نصيبا من الكتاب حصولهم على بعض المعلومات  
السماوية من طريق الكتب المنزلة و ان وقوفهم على بعض هذه  
المعلومات ممّا ابطرهم فصاروا لا يصيخون حتى للأنبياء و تراهم ينازعون  
حتى الله سبحانه و معنى الم تر يراد به التعجب و الاستغراب يعنى  
الا تعجب ايها العاقل من الذين افادوا بعض المعلومات من طريق  
الكتب السماوية فعاد عليهم هذا العلم وبالا و اخذوا ينازعون فى  
الحقائق الجاهرة و يتكبرون على من هو اعلا شأنهم و ارفع مقاما .



الم تر هم يدعون من طريق الأنبياء الى كتب الله سواء كان محلّ عقيدة لهم كالتوراة عند اليهودى و الأنجيل عند المسيحي ام لم يكن و لكنه فى نفسه ذو وزن بحقائقه و منطقته و دلائله القائمة الشارعة كالقرآن بالنسبة الى من لا يعتقد بنبوّة الجائى به لتكون هذه الكتب حاكمة فاصله بين الداعى و المدعو فيما يختلفان فيه فترى جملة منهم بعد الحكومة عليه يتولى معرضا عن الحق مقبلا على عصبية مخلدا الى جهله وقد يكون من بعض السبب الذى يدعوهم الى ذلك حسن ظنهم بأنفسهم بأنهم و مهما عصوا لا تمسهم النار كما تمس غيرهم من العصاة تحكما على من بيده امر التعذيب و التنعيم و ادعاء انهم شعب الله المختار و انهم احبّاء الله و اعزّاه جهلا منهم بأن الله سبحانه لا يختار لنفسه شعبا عاصيا و ان عصاة خلقه ليسوا بأحبّاء له و لا اعزّاه عنده .

و خلاصة البحث ان الآيّة تتعرض لغرور الجهلاء المركبين بنبوّة ما يحصل عندهم من علم مخلوط بالجهل و هو لاء اخس افراد المجتمع و ذلك ان الفرد اما جاهل محض فهذا فاقد للغرور العلمى لفقده تمام تجهيزاته و اما متعمق لكثير ما باشر و عاشر المباحث العلمية و ترقى من نقص الى كمال و فهم ان دراسة الموضوع بتكررها و تشبع الذهن بها تفيد ان الإنسان و مهما علم فأن فوقه عالما و فوق علمه علما و مثل هذا لا يغتّر .

نعم يغتّر القشرى الذى يحصل شيئا على علاقته و لا ينقحه و يكتفى به و يطمئن الى نفسه من جهته و مثل هذا فى وجوده خطر عظيم ، و الذين اتوا نصيبا من الكتاب فصيلة من هذا الفريق المغرور و من هذا الفريق جهلة المتجددين ايضا اولئك الذين مع اعترافهم بالدين يجهلون معناه و يعرفون منه ما يعرفون من مجارى الطبيعة و مظاهرها



التفسير ج ٢ استبعاد المتجددين من الدين ما هو قريب ممكن ٢٨

غافلين او جاهلين بأن الدين فيه امور تعبدية تقبل من طريق التعبد فقط ولا ربط لها بالعقل او بالطبيعة كأنكارهم ان الدعاء بالرزق يؤثر اعتمادا على ان الارزاق تابعة للكذب والسعى وكنكارهم على الفقيه الزامه المكلفين في الطواف ان يكون طوافهم في مدار خاص لا يتجاوزه بأنه لو تجاوز ماذا يحدث في العالم وكنكارهم على شريعتي هذه الآية يوم تشهد عليهم السنتهم وايد يهيم وارجاهم بما كانوا يعملون ان تكون من القرآن لان العلوم الطبيعية اثبتت ان اليد والرجل واللسان الفاقد للحياة اعضاء لا تتكلم جهلا من هوءلاء جميعا ان الرزق ليس من مواليد السعى وحده بل قد يأتي من غير سعى بالمرّة ومن حيث لا يحتسب الأنسان فالدعاء قد يؤثر من حيث لا يشعر صاحبه واما مسألة حدود الطواف فمطلب تعبدية خالص يتقبله من يتقبل الدين ومخالفة الامور المحسوسة قد لا تعطى عكس عمل اصلا لكن مخالفة الدين تشر للمخالف المعصية واما شهادة الاعضاء فمع الاعتراف بقدرة الله تعتبر من بسائط الأمور كتكليم الله نبيه موسى من طريق الشجرة .



\* ( فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل

نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ) \*

كلمة فكيف هنا عقيب الآية السابقة تفيد التهديد و التخيوف  
و التحذير يعنى دعمهم فى هذه الحياة يتمردون على الواقع لكنك لو  
عرفت حالهم يوم نجمعهم للحساب فى محكمة لا ريب فى تحققها و لا شك  
فى ايائها كلاً و ما يستحق من اصابة و اثابة كسبها لنفسه باختيار منها  
بلا أن يظلم المحسن و حتى فى الطرف القليل من اطاعتها و المسىء فيما  
اختار من معصيته ، سبحان الله كل هذه التهديدات لم تنجع الا فى  
افراد محدودين قوى ايمانهم بالمهدد فخافوه عن سويداء قلب .  
هذا مضافا الى ان تمنى الباطل و ازخاء العنان للنفس مما يركس  
الحياة على الجميع فى عالمهم الدنيوى و ما هذه التموجات العارمة فى  
اطراف العالم الا نتيجة هذا الانحراف الهائل .



\* ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء  
و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذلل  
من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير  
، تولج الليل فى النهار و تولج النهار فى  
الليل و تخرج الحى من الميت و تخرج الميت  
من الحى و ترزق من تشاء بغير حساب ) \*

علم الله نبيه فى هذه الآيه كما علم بالتبع غيره من المؤمنين كيفية  
دعائهم فى دفع الأضرار و جلب المنافع و تأمين المقاصد ، و الملك هو  
كل قدرة مثمرة مؤثرة و لاشك أن صانع العالم بحذافيه هو مالكه  
الحقيقى و كل مالكية ترى ورائه فهى اشعاع عن مالكيته و نزع الملك  
تعرية من كان بيده شىء من القدرة و فصله عنها و الأعزاز اعطاء العزة  
وهى المنعة عن ان ينال صاحبها مكروه او يغمط حقه او يعتدى عليه  
و الأذلال هو الأطاحة بالشخص بحيث لا يستطيع ان يستوفى حقه او  
ان يدفع عن نفسه باطلا يتوجه اليه و قدرة تتصرف فيه بغير حق .  
و الخير يقال فى قبال الشر وهو ما كان محبوبا للنفس بخلاف  
قبيله ، و انما قال سبحانه بيدك الخير ولم يردفه بالشر لان كل ما  
يفعله الله من ايتاء الملك و نزعه و اعزاز من يشاء و اذلال من يشاء  
صادر على وفق المصلحة و كل ما يصدر عن مصلحة فهو خير لا منفذ للشر  
فيه .

و التعبير بأيلاج الليل فى النهار و ايلاج النهار فى الليل تعبير  
عن حالة ظاهرية و بمنزلة تشبيه يعنى فى زمان اضاءة الشمس لوجه  
الكرة المقابل لها كأن الليل ثوب مطوى حشى فى باطن النهار وفى زمان



عدم مقابلة ذلك الوجه من الكرة للشمس كأن النهار ثوب مطويّ حشى به باطن الليل فهذا معنى ايلاج احدهما فى الآخر وكذلك اخراج الحى من الميت والميت من الحى تشبيهه وبحسب الظاهر ايضا كأخراج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان ونظير ذلك وابتاء الله الملك من يشاء ونزعه ممن يشاء واعزازه من يشاء واذلاله من يشاء كل ذلك للمصالح المتوفرة المتركة فى علمه لا جزافا واعتباطا واما مسألة ايلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل فهى حيوية مكشوفة لاشك فيها و اخراج الحى من الميت والميت من الحى من اعظم دلائل الخلقة بتفاصيل ليس محلها هذه الآية وقد سبق وياتى شتات من هذه النماذج ، واما الرزق بغير حساب فليس منشأه الجهل والجزاف واما هو الأختبار و الأمتحان فيمن أعطى اكثر من قابليته او منع حتى فى الضرورى من حيويّاته .



\* ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا ان تتقوا منهم تقاة و يحذركم الله نفسه و الى الله المصير ) \*

لا شك ان الروح المؤمنة بالمبدأ و الروح الكافرة بة روحان ممتازتان متقابلتان تقابل سلب و ايجاب تمقت احدهما الأخرى مقنا واقعيًا لا صوريا و لذلك لا يمكن أن يحب مؤمن واقعى كافرا واقعيًا بحكم الطبيعة نعم متراخى الأيمان يتأتى فيه ذلك و النهى الوارد فى الآيه متعلقه من اشرنا اليه و قد حكم الله على مثل هذا المؤمن بأنه ليس منه و ان ايمانه قشرى لا يشف عن واقع و استثنى تعالى من هذا النهى موارد التقية حيث يخاف المؤمن على نفسه او عرضه او دينه او ماله او اخوانه المؤمنين من الكافر .

و اصل جواز التقية بما هى امر عقلى لان تعريض الإنسان نفسه او عرضه او دينه او ماله او اخوانه للخطر حيث لانتيجة بالمرة او هناك نتيجة مختصرة يعد من السفه و قد تحرم التقية اذا ادت بديين الانسان الى التلف و ان حفظت حياته و مبحث التقية مبحث واسع لا مجال لتفاصيله فى هذا المختصر .

و قد حذر الله عباده من نفسه متى اتخذوا نواهيها و اوامره العوبة لا تدعوهم الى فعل الواجبات و ترك المحرمات .



\* ( قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله و يعلم ما فى السماوات و ما فى الارض والله على كل شىء قدير ) \*

قد تكون هذه الآية فضلا عن عمومية ملاكها بالنسبة الى علم الله بكل ما يصح ان يقع معلوما فيها نوع استدراك بالنسبة الى الآية السابقة بمفاد ان المؤمن يحرم عليه ان يتولى الكافر و لا فرق على علم الله بين ابداء المؤمن حبه و ولايته و استعانته بالكفرة و بين كتمانها ذلك و كما هو مؤاخذ على التظاهر بموالاة الكفرة مؤاخذ على موالاتهم حتى لو كانت من وراء حجاب و كما ان الله قادر على تحوير و تصريف ما هو محط القدرة ظاهرا كذلك هو قادر على تحوير و تصريف ما ليس بظاهر كونه مقدورا ، و فى الآية تحذيرات للعبد فى شتى مجالاته كما هو متضح .

و تشير الآية بلحنها الى ما عليه اهل الرموز و الانتهازات ممن التظاهر بالدين و الدعوة اليه و العمل بضده من وراء هذا الستار ليستغلوا ظاهرة الدين سببا للقبوع من ورائه الى اعمالهم الخائنة و دسائسهم القدرة نظير كل من طلع بشعار الدين و اراد الفتك به من قدامه بشتى العناوين و وجد ذلك و لانسى احمد / كسرهى والذى بعده كيف كانا يظهران تحبيهما لأهل السنة بانتقادهما للشيعة مع انهما فى عنصريهما من الشيعة و هما مع ذلك لا يدinan بدين وأيّا كان و انما فعلا تخفيفا عن انفسهما من قدح القادحين الكثيرين .



\* ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً  
 وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه امداً  
 بعيداً و يحذّرکم اللّٰه نفسه واللّٰه رؤف  
 بالعباد ) \*

هذه الآية كنتيجة للآية السابقة وهي ان علم الله بما يبدي العبد  
 او يخفيه نتيجته ان كل ما عمله من خير يتجسم امامه و كذلك ما فعله من  
 سوء و بما ان تجسّم الخير مما لاشكّ في افادته الفرح لم يتعرض له وانما تعرّض  
 لتجسّم الشرّ فقال تودّ النفس الشريرة يومذاك انّ بينها و بين الشرّ  
 الذي اركسها فاصلة بعيدة فلا تعرفه و لا يعرفها و لكن لانتيجة مع  
 هذا التمنى كالمريض الذي يتناول بدافع شهوته و نهيمته ما يضرّ به  
 فبعدهما تبرز آثار الضرر يتمنى انه لم يأكل و لم يتناول الاّ ان ذلك  
 لا يفيد .

و لذلك حذّر الله سبحانه كل عباده من ارتكاب السوء فنى دار  
 التكليف لئلا يتصل بالعبد الضعيف ما هو نتيجة عمله غدا و اللّٰه رؤف  
 بعباده و من رأفته بهم تحذيره اياهم و نصحه لهم و اشفاقه عليهم .



\* ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله  
 و يغفر لكم ذنوبكم و الله غفور رحيم ، قل  
 اطيعوا الله و الرسول فات تولوا فان الله  
 لا يحب الكافرين ) \*

مورد نزول الآية أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله كان  
 من جملة قولهم انا نعظم المسيح حبا لله فأمر الله نبيه ان يقول لهم  
 ان كنتم تحبون الله كما تدعون فاتبعوني كما اتبع اسلافكم المسيح فانتى  
 انا بديل المسيح فى عباد الله و اذا اتبعتمونى لله يحببكم الله و يغفر  
 لكم ما سلف من ذنوبكم فان الاسلام يجب ما قبله اذا كان الذنب بين  
 العبد و بين الله و الله غفور يريد بهم اليسر رحيم بهم عطوف عليهم .  
 و اذا كنتم صادقين فى دعوى محبة الله كان من لازم ذلك لسزوم  
 اطاعته و اطاعة رسوله المبلّغ عنه فان تولوا عن هذه الاستجابة فمعنى  
 ذلك انهم لا ايمان لهم بربهم و اذا كانوا كذلك كانوا كافرين و الله  
 لا يحب الكافرين .

و خلاصة ما تفيد هذه الآية لزوم نبذ التعصب للعاطفة فى اى امر كان  
 فى دين ام دنيا فى ايمان بنبى جديد تشفعه المعجزات ام بمقررات  
 شرعية و ان ملاك الطاعة لله و الرسول و المحبة لهما ما يقولان به لا ما  
 تخلقه رغبة المكلف و الحال اننا نرى فى السابقين و اللاحقين ان رغبات  
 الافراد منهم هى المعيار فى المحبة و عدمها لا الحقيقة بما هى  
 فاستنكاف اليهود و النصارى عن قبول نبوة نبي الاسلام لا لقصور فى  
 دعوته او معجزاته بل لأنه كان من عنصر و بلاد يتغايران مع عناصرهم  
 و بلدانهم و استنكاف المشركين كان لأن نبي الاسلام فرد من افرادهم



لم يكن له سابق شموخ عليهم وقس على ذلك من هذا المنطق الزائف  
فان الحقيقة بنت المنطق ولا يربط لها بالعنصرية ولا باللفظة ولا  
 بالمنطقة ولا بالفقر والثروة ولا بأية سمة اخرى .

\* ( ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل

عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض

والله سميع عليم ) \*

مفاد الآية أنّ الله انتخب و اختار لتبليغ رسالته و هداية عباده  
آدم با البشرية ونوحا أبها الثانى و ابراهيم وآله الذين توفقوا لنيل مقام  
النبوة و عمران و آلّه على الوصف او على كونهم أناسا اخيارا يهتدى  
بسيرتهم طالب الحقيقة و يفتى الى الحق رائده و هذا الانتخاب فيما  
سوى آدم و المسيح نتيجة للاختبارات المتواصلة وهو فيهما تفضل محض  
لهداية البشرية .

و كون بعض هذه الذرية من بعض يأتى على و جهين ( الأول) هو  
التوليد و الانتاج ( والثانى ) وهو الأهم كون بعضهم من بعض فى  
السيرة و الطريقة و التناصر على نصره الحقيقة و اقوال هؤلاء و افعالهم  
فى تأييد الحق و تعريف الله لعباده مسموعة لله منظورة له معلومة لديه  
و سيعطيهم ربهم تجاه ذلك ما يرضيهم .

اذا فالداعى المهم لبعثة الرسل مطلبان ( الاول ) صحة علوم  
الانبياء و انطباقها على الواقع و اصرارهم على التعليم و عدم اكتراثهم  
بالحوادث تقف امامهم ( و الثانى ) مثاليتهم الأخذ لكل ملتفت  
الجالبة لكل نظر المطمئن اليها لبعدها عن الشوائب و النفوس كما  
تتأثر بالعلم عقليا تتأثر بالعمل جوارحيا فتعود تؤمن بالشىء عن



عقيدة جازمة وتعمل به لازدياد عقيدتها به والذرية بالمعنى الثانى فضلا عن كونها اهم من وجهة الاعتبار المصادق مؤيدة بمنطق القرآن حيث يقول الله لنبيه نوح فى حق ولده انه ليس من اهلك انه عمل غير

• صالح

\* (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت ربى انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى اعيدتها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) \*

قد يكون لذكر اذ هنا جهة تعليل لما سبق من قوله وآل عمران على العالمين وان مفاد الآية كشارح لجهة اصطفاء الله سبحانه آل عمران فى جملة من اصطفى ، و تحرير الولد تخصيصه لخدمه المعبد لا يبرح حتى يبلغ فاذا بلغ كان الخيار فى المكث والذهاب اليه ، ونذر فعل الغير يصح فيجب التوصل الى تحصيله ولكن لا يجب على ذلك الغير الأجابة اليه •

جاء فى الرواية عن ابى عبد الله عليه السلام قال اوحى الله تعالى الى عمران انى واهب لك ذكرا مباركا يبرء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بأذن الله وجاعله رسولا الى بنى اسرائيل فحدث امرته حنة بذلك وهى ام مريم فلما حملت بها قالت ربى انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى هذا النذر العبادى انك انت السميع لأقوالى العليم بد فائن ضميرى •



فلما وضعتها قالت ربى انى وضعتها انثى و هذا اخبار تحزن  
 لافائدة فيه سوى ذلك و الله اعلم بما وضعت قبل أن تضع، وقول- وليس  
 الذكر كالأنثى - يجوز ان يكون من قول امرأة عمران بمعنى ان الصلاحية  
 فى مورد نذرى انما هى للذكور دون الأناث او ان ما نرجوه من الذكر  
 لا تقوم به الانثى لضعفها عن مقاومة ما يقوم به الرجل كما يجوز ان يكون  
 من قول الله سبحانه اخبارا عن تفاوت طبيعة الذكران و الاناث كما هو  
 الواقع .

قيل فى اسم مريم انه بلغة الأسرائيليين بمعنى المرأة العابدة وقد  
 جاء فى الأثران رسول الله قال حسبك من نساء العالمين اربع مريم  
 بنت عمران و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة  
 بنت محمد (ص) ، و السرفى ذلك قد يكون واضحا فان مريم بنت عمران  
 بتحملها المشاق فى الحمل بعيسى مصدر نبوة عامة و آسية بحفظها  
 لموسى كذلك و هكذا خديجة لمواساتها التامة لنبى الاسلام و اما  
 فاطمة فاعتراف الجميع بجلاله قد رها فى العلم و العبادة و اصابة  
 الحجة و انها كانت مصدرا لتكون اسرة عظيمة مملوءة بالخيرات والمبررات  
 و لها من الفرق فى نظر الجميع على اخواتها مالا يخفى امره .  
 ثم ان هذه الأم عودت تفخرتها و ما يقسم لها من ذرية بالله حتى  
 لا يمسها الشيطان بما يشين .



\* (فتقبّلها ربّها بقبول حسن و انبتّها نباتا حسنا  
 و كفلّها زكريّا كلّما دخل عليها زكريا المحجّراب  
 وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا  
 قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء  
 بغير حساب) \*

الاستمداد من الربّ مع طهارة الضمير و اخلاص النية له اثره  
 الفعّال فلما نذرت امرأة عمران ما فى بطنها محررا فى سبيل الله تقربا  
 اليه و تحصينا لمن ينتج عنها عوّذته بالله بعد ان وضعت و سألته ان  
 يطرد عنه رجس كل شيطان و كيد كل كائد خبيث و تقبل الله ذلك  
 منها بأحسن قبول و معنى ذلك انه وجه من الطافه اليها مزيدا على  
 ما يوجهه الى سائر عباداه و معنى انباتها النبات الحسن تسديدا  
 خطاها و سدّ ابواب الفساد فى وجهها لطفا بها حتى ورد فى الأثر  
 أنّها لما بلغت تسع سنين صامت النهار و قامت الليل و تبثلت حتى غلبت  
 الأحبار و اضاف سبحانه الى الطافه هذه أن جعلها تحت كفالة زكريّا  
 زوج خالتها و كان زكريّا رأس الأحبار و زينتهم و الطليعة منهم فلما  
 ضمّ زكريّا مريم الى نفسه و بلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد  
 و كان يأتيها بضرورات معيشتها كل يوم .

و ألفت نظر زكريّا انه كلّما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا  
 اثار استغرابه لما كان يجد فيه من فاكهة الشتاء فى الصيف و فاكهة  
 الصيف فى الشتاء فقال لها يا مريم من اين لك هذا قالت هو من عند  
 الله اى كرامة منهم الكرامات تجوز على الأولياء و الأصفياء ان الله يرزق  
 فضلا تارة و اختيارا اخرى و تكرمه ثالثة بغير حساب اى لا على



ميزان القابليات فقط .

و خلاصة المطلب ان كل امرأة تحفظ كيانها و تتراض على الفضيلة و تشارك فى بناء المدينة الفاضلة هى السيدة لا التى تنزوى فى الشوارع و تغزو الرجال بتهادىها و بذل محاسنها و تغرى الجهال و تغير مجارى الحياة على اهلها بشتى الوانها كما هى شيمة مرءة اليوم و يعتبر جدد هذا العصر ان الدين هضم حق المرءة حيث منعها عن التبرج و التخطى الى سوح الشوارع و السينمات و التآترات و المسارح بادية عارية متحلية متزينة متجردة متزينة وهم فى واقعهم يعلمون بغلظهم المفتضح هذا و لكنهم يغالطونه لينالوا بغيتهم من هاته النواقص مجانا فى الأكثر و بلا عوض فى الأغلب و هو من اوضح الواضحات .

\* ( هنالك دعاء زكريا ربه قال رب هب لى من

لدىك ذرية طيبة انك سمع الدعاء فنادته

الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله

يبشرك ببيحى مصدقا بكلمة من الله و سيّدا

و حصورا و نبيا من الصالحين ) \*

جاء فى الأثر أن حنة أيست ولم تلد فبينما هى تحت شجرة اذ رأت طائرا يزق فرخا فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولدا فحملت بمریم و كان من امر مریم فى الكرامة ما سبق فى الآيه السالفة فهذه المجارى استفتت زكريا و كان مثل عمران ابا مریم لم يولد له فدعا زكريا ربه و قال رب هب لى من لدىك ذرية طيبة طاهرة لا دنس فيها فأن دنس الأبناء يتصل بالآباء و ان كانوا بعيدين عن كل لوث انك تسمع دعاء النزيهين المخلصين الذين لا يدعون الا لصالح لا مغمز فيه



ولا تحيّر فاستجاب له ربّه و اوفد اليه ملائكته مبشرين له بما اراد فنادته الملائكة وهو قائم يصلّى فى المحراب انّ الله يبشرك و البشارة هـى الأخبار بما يسرّ بولد ذكره سمّاه هو تعالى باسم يحيى اعلاما بما يكون عنه من حياة روحه بالعلم و بدنه بالعبادة و بما ينتج عنه من ثقافة فاضله و تبليغ مشفوع بالتأثير و جعله اول مؤيد لنبيّ عظيم يبعثه الى الناس كافة وهو عيسى بن مريم المعبر عنه بكلمة الله و روح الله لأنّه انما تولّد بأمر من الله من دون أب و كما سمّاه تعالى بذلك الاسم الجليل جعله من سادة الناس علما و عملا و حصره بمزاولة الفضيلة و ابعده عن مظان الشهوة و انتخبه نبيا و نظمه فى سلك عباده الصالحين القلائل فى اعداد البشرية .

و لا منافاة بين وصف يحيى عليه السلام بالحسورية و كون بقية الانبياء الذين فى جملتهم من هو اعظم منه بدرجات لا حصر فيهم بل كانت قواهم الشهوية على رسلها الطبيعى بل اتم من ذلك فان الشهوات اذا لم توبق الانسان فى المحرمات و لم تصرف بصاحبها عن العبادات و سائر المثاليات لا حزازة فيها اصلا و ناهيك بالانبياء مثالية و حسن سلوك حتى ان العباد الذين استنوا على طريقتهم انقطعوا عن مجاراتهم فى تحمل المشاق الحيوية بأنواعها .

و تفيد الآية ان اللواتى التى تلفت نظر الأنسان الى شىء ان كانت لوافت خير نظير ما الفت نظر زكريّا عندما تكفل مريم و وجدها من الفضل بمكان عظيم قد اعارها الله نظر لطفه و عطفه و كرامته حتى جاءت من طريق استخدامها للفضيلة عنوانا لها و مشارا اليها بالبنان فأراد حينذاك الولد من هذا الطراز بعد ما كان متناسيا عنه كان من لازمه احكاما لأنسانيته المشى وراء ذاك الفضل بشتى صورته و ان كانت لوافت



شّر وجب عليه ان يحتفظ بنفسه عن التلوث بها و بأمثالها لا أن يسننّ عليها بل ان كان عازبا عنها لعدم ما يلفت نظره فبعد أن تتطلع لعينيه يجب عليه ان يسدّ على نفسه جميع المنافذ حتى لا يقع في هونها .

\* ( قال ربّ انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر

و امرئى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ) \*

قد يقال ان زكريّا على جليل معرفته باللّٰه و بما سلف له من قصة عمران ابى مريم و مريم نفسها كيف قال متعجبا انى يكون لى غلام فالجواب انه قد يكون ساق مقاله بهذا السياق ليلفت انظار الناس حتى اذا اوتى سؤاله طفق اعجاز القضية لهم و ثبت ان المجارى الطبيعية لها مصرف يقوم بها و ليست المجارى من الطبيعة ذاتها و الشيخ الكبير تضعف خلايا منيه فلا تثمر و المرء العاقر حالها معلوم ، فأوضح | الناطق لزكريّا ان الأمر الذى انتما عليه سيبدّله الله بمشيئته الى حالة مساعدة للتلقيح و الحمل و الولادة بأتم صورته قد لا تحصل للشبان .



\* ( قال ربّ اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس

ثلاثة ايام الأرمزا و اذكر ربك كثيرا و سبّح

بالعشىّ و الأبكار ) \*

و بعد أن تحقّق زكريّا من وعد الله له سأله شبيه مستحثّ عن علامة وقت ذلك و أنّه متى يتخلق منه و من امرّته غلام فأجيب بأن علامة ذلك احتباسك قهرا عن مكالمة الناس ثلاثة ايام بحيث تريد النطق فلا تستطيعه الأرمزا بتحريك الشفاه فقط و مع ذلك تجد نفسك منطلق اللسان فى تسبيح الله و تهليله بالعشىّ وهى ظلمة الليل و الأبكار وهو الصبح من اوله و انما خصّ هذان الوقتان بالذكر لانهما مظنة خلوة للعبد مع معبوده و اقرب الى الخلوص و ابعد عن الرياء .

و هذه الآية التى أوتيتها زكريّا قد تضمنت اعجازا فى اعجاز كما يلوح منها فضل الصمت حيث تفقد الدواعى المعقولة المشروعة للنطق .



\* ( واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك و

طهرتك على نساء العالمين ، يا مريم اقتنى

لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ) \*

يعنى ان الله اختارك لأن تكونى مصدر نبوة عامة و منبع فيض عظيم  
وطهرتك من السفاح و الأقدار و الأخلاق الذميمة ليكون جملك فى منبت  
طاهر و مزرع طيب كما انه اختارك على نساء العالمين لخلوك من كافة  
الموهنات و تحليك بشرائف الصفات و لا تكون امرأة على هذه الصفة الا  
اذا كانت من اهل العصمة فيا مريم جزاء لهذا الأصفاء و شكرا على  
هذه النعمة ادعى طاعة ربك و اكثرى من السجود و الخضوع له و كونى فى  
زمرة الراكعين له تقديسا و تعظيما .

وكل انسان خلقه الله فيه من روح هذا الملاك فانه تعالى لما خلقه  
جعل له سالما عاقلا ذا فطرة صافية و باستطاعته ان يمشى بسلامته و عقله  
و فطرته مشيا متعاليا فيكون من النجباء و يحق عليه ان يقنت لربه دائما  
و يسجد له و يركع مع الراكعين .



\* ( ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك و ما كنت

لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم و ما

كنت لديهم اذ يختصمون ) \*

ذلك اشارة الى ما تقدّم سوقه من حديث عمران و امرته و زكريّا و يحيى و مريم من اخبار ما غاب عنك زمانه و علمه و بعد عنك محيطه و لا صلة لك به الاّ من طريق هذا الوحي الذي نوحيه اليك .

و ذكر سبحانه في هذه الآيّة كيفية زكريّا لمريم الذي سبقت الأشارة اليه في آية سالفة بقوله و كفّلها زكريّا وقد جاء في الآثار انّ حنّة ام مريم اتت بها بعد أن ولدتها ملفوفة في خرقة الى المسجد و قالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنّها كانت بنت امامهم فقال لهم زكريّا انا احقّ بها لان خالتها عندي فأبوا عليه و قالوا ان يكن احد احقّ بها فأمرّها و لكننا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة و عشرون رجلا الى نهر جار فألقوا اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراه في الماء فثبت قلم زكريا قائما على وجه الماء قد غرز في طين و جرت اقلامهم فذهب بها الماء فقرعهم زكريا و يظهر من قوله تعالى - اذ يختصمون - أنّهم تشاحّوا في كفالة مريم حتى وصل بهم التشاح الى مرحلة المشادّة تنافسا في اقتناء هذه الجوهرة الغالية . و هذه الآيّة تلوّح الى ان الخيرات يجب الأستباق اليها و موجبات المغفرة و محققات الجنة يلزم التنافس عليها و لازم ذلك البعد عن الشرّ بالمرّة حتى ينعدم من الجوامع و القرب من الخير حتى لا تكون لغيره حاكمية و حتى يسعد الجميع .



\* ( اذ قالت الملائكة يا مريم انّ الله يبشرك بكلمة منه

اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا

والآخرة ومن المقربين و يكلم الناس في المهد

وكهلا ومن الصالحين ) \*

بعد ان تمّ تقديم مريم لأن تكون مصدر نبوة عامة و منبع فيض عظيم لقلوبه تعالى فيما سبق فتقبلها ربّها بقبول حسن و انبتها نباتا حسنا و كفلها زكريا و لقلوبه يا مريم انّ الله اصطفاك و طهرتك و اصطفاك على نساء العالمين اعربت الملائكة عن ارادة الله بمرم فقالت يا مريم ان الله يسوق اليك خبرا سارا بأن يتلقح رحمك ببذرة و ليد ذكر و لكن لا بسبب طبيعي بل بكلمة يقولها وهي ( كن ) و كلمة كن تعبير لفظي عن الأرادة و الله سبحانه في خلق الاشياء في غنى عنها و انما الخلاق للأشياء ارادته الجدّية لها لان ارادته عين قدرته فبمجرد تحقق الأرادة يتحقق المراد بخلاف الارادة في الكائنات فانّها لا تتحقق في الخارج الاّ بأعمال القدرة اما بوسيلة اللفظ كقول الامر لغلامه افعل واما بوسيلة تحريك الجوارح نحو الشيء .

و عيسى علم شخصي على هذا الوليد و المسيح لقب له وقد فسّر بمعان لا ياباها الذوق منها انه مسح باليمن و البركة و منها انه مسح من الذنوب و الأدناس و منها انه كان يمسح رؤس اليتامى لطفاً بهم و عطفاً عليهم او انه كان يمسح عين الأعمى فيبصر و ذا العاهة فيبرأ .  
و انما قال عيسى ابن مريم لينفي نسبته الى الله فليس هو ابن الله حال كونه وجيها بمعنى انه اينما مشى بوجهه اثر وجهه لحسن سيماه و جلاله و وقاره و صلاحه الطافح على وجهه ، في الدنيا عند الناس و في



التفسير ج ٢ استغراب مريم من لقاحها بدون ميس بشر ٤٧

الآخرة عند الله و من المقربين لدى الباري جلّت عظمته ، ويكلم الناس وهو رضيع في المهد ليبراً ساحة أمه و انّ حملها به كان عن طهارة و بأمر خاص من الله و ليثبت لنفسه كيانا نبويًا كما يكلمهم وهو كهمل لأبلاغ الرسالة و القيام بواجبات الهداية و من الصالحين الذين لهم وزن و شأن عند العبد و المعبود .

\* ( قالت ربّ انى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر

قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا

فأنا يقول له كن فيكون ) \*

فكان من جواب مريم عندما ادلت الملائكة لها بالقول الآنف أنّها خاطبت ربّها استغراباً و استعظاما منشؤه ملاحظة الحالات الطبيعية الجارية بين الناس فى عوالم اللقاح و الحمل و الولادة يارب من اين يكون لى ولد و انا امرأة عذراء لم يمسنى بشر فأجيببت لا مانع على القدرة الربانية أن تحملى من غير لقاح بشر فان الله يخلق تارة من سبب اوجده فى الطبيعة كالتوالد المعمول بين الناس و اخرى بطريقة ابداع محض و ارادة صرفه فاذا قدر امرا فى علمه كفى فى وجوده قوله كن فيكون بمجرد تعلق الارادة به .

و خلاصة المطلب ان الخلق على الخالق المختار العام القدرة يكون على نحوين ( النحو الأول ) الأبداع الخالص وهو خلق الشىء من غير سبب طبيعى كخلقة أول بذرة فى الأكوان فانه ابداع محض ( والنحو الثانى ) وهو خلق الشىء باستخدام للطبيعة بنحو من الأنحاء كخلقة آدم فانه استخدم فيه الماء و التراب فهما سابقاه فى الوجود و كخلقة عيسى فانه استخدم فيه رحم أمه و كخلقة الباقين من الناس فانسه



استخدم فيهم الأب والأم والماء المختلط من الذكر والأنثى وقس على ذلك والمألوف بين الناس هو القسم الأخير و لذلك يستغربون ما سواه وما قالته العذراء يجارى ما عليه المألوف طردا لتبعة ما ليس بمألوف لديهم وهو ما صنعه الله بها من تكوين عيسى فى رحمها بدون أب .

\* ( و يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والأنجيل  
ورسولا الى بنى اسرائيل ، انى قد جئتكم بأية  
من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهياة الطير  
فأنفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله وأبرأ الأكمه  
والأبرص وأحى الموتى بأذن الله وانبأكم بما  
تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية  
لكم ان كنتم مؤمنين ) \*

بعد أن أبان الله لمريم قدرته الخارقة فى وليدها وان تكوينه  
يكون بنحو من الأبداع اخذ يوالى فى اوصاف هذا الوليد وقد سبق  
منها انه وجيه فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى  
المهد وكهلا وانه من الصالحين فأتهمها الآن بقوله و يعلمه الكتاب  
بمعنى جميع ما احتوت عليه الكتب السماوية التى يريد تقرير مضمينها  
فعلا دون مقرراتها التى كانت مؤقتة فى حينها ونسختها المصالح كما  
قررتها المصالح .

والحكمة : يعنى الموازين الأصولية فى كل شىء ، والتوراة والانجيل  
من باب ذكر الخاص يعد العام ، احتراما لهما اكثر من غيرهما من  
الكتب السابقة نزولا عليهما و يجعله رسولا الى بنى اسرائيل ، فلمَّا



تمّت في عيسى هذه المقدمات واستكملت هذه الصفات وأرسل نبياً الى بنى اسرائيل قال لهم بعد ادعاء الرسالة انى قد جئتم بعلامة تدل على صدق من ربكم وهو انه تعالى اقدرنى على أن اخلق لكم من الطين اى اصنع من هذه المادة جسماً كهيأة الطير وهذا المعنى ليس فيه زائد مؤنثه واما الأعجاز فى قوله فأنفخ فيه فيكون طيراً ولذلك عقبه بقوله بأذن الله .

وكذلك من آيات صدقى اننى ابرىء الأعمى وأصح الأبرص وأحى الموتى كل ذلك بأذن الله و اقدار منه وكذلك من آيات صدقى اخبارى عن الغيب فيما تأكلون و تدخرون فى بيوتكم وهذا كالسابق بأقدار و اذن من الخالق القادر .

ولاشك ان فى تلك المظاهر والتشعشات لآية وعلامة لكم يا بنى اسرائيل على صدق مدعاى ولكن بشرط ان يكون لكم ايمان بالمبدأ واما منكر المبدأ فقد يتعلل فى ضجة ما صدر ورأته عيناه و يحسب له حساباً مرموزاً كما هو شأن التواء النفس عن الشىء و اعراضها تماماً عنه .

وقد جاء فى الأثر ان الذى كان يخلقه من الطين كهيأة الطير هو الخفّاش قيل انما خصّ عيسى بهذه المعجزات لأن الغالب فى زمانه كان هو الطب فساق الله الى معاصريه ما يعرفونه حتى يكون وعيهم له معيناً على التصديق به لان الجاهل بالشىء لا يعيره التفاتاً . كما ان الغالب فى زمان موسى كان هو السحر فأوتى موسى من المعجزات ما يجانس ذلك وكان الغالب فى زمان نبي الاسلام هو المباهاة بالفصاحة و البلاغة فأتى الله نبيه مجانس ذلك وهو القرآن من جوانب اساليبه و تراكيبه .



التفسير ج ٢ تأييد المسيح لأصل شريعة التوراة ٥٠

\* ( وصدقا لما بين يدي من التوراة و لأحل لكم  
بعض الذي حرم عليكم و جئتكم بأية من ربكم  
فاتقوا الله و اطيعوا ، ان الله ربى و ربكم  
فاعبدوه هذا صراط مستقيم ) \*

قوله و صدقا مقول قول عيسى حيث سبق منه ان قال انى قد جئتكم  
بأية فيكون توزيع الكلام بهذا اللون انى قد جئتكم بأية من ربكم و جئتكم  
صدقا لما بين يدي من التوراة و معنى ذلك انى لست مناقضا لموسى  
كما ان كل نبي لاحق لا يناقض نبيا سابقا لاشترك الجميع فى الدعوة  
الى الله سبحانه ، وان تحذف فى الرسالة اللاحقة اشياء من الرسالة السابقة  
فليس ذلك بنقض و عداوة و رقابة فيا جماعة اليهود لا تظنوا برسالتى  
الظنون و تعتبرونى كمتغلب جديد ورد على حكومة يريد نقضها من  
أساسها بل انا مؤيد ممد للشرعية السابقة غايته ان هنالك اشياء كانت  
محرمة عليكم فكلفنى الله فى جملة ما كلف بحل قيود الحرمة عنها  
لمصالح اقتضت حلها فى هذا الوقت و لم تكن مقتضية فى السابق الآ  
حرمتها .

و دليل صدقى فى ادعائى الرسالة و اننى نبي مرسل من الله ما  
جئتكم به من الآيات التى اشير اليها آنفا فخافوا الله فى و اطيعونى  
تكونوا مطيعين لله سبحانه لان طاعتى طريق لطاعته ، و الله الذى  
ادعوك اليه هو ربى و ربكم جميعا لا اله فى العوالم غيره فاعبدوه و هذا  
الصراط الذى ادعوك اليه كما دعاكم غيرى اليه صراط مستقيم لا زيغ فيه  
فلا تتحيز بكم العصبيات و تذهب بكم الانانيات بعيدا فتهلكوا .



\* ( فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال من انصاري

الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا

بالله و اشهد بأننا مسلمون ، ربنا آمنا بما انزلت

و اتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، و مكروا

و مكر الله و الله خير الماكرين ) \*

معنى قوله أحسّ عيسى منهم الكفر أنه تجلّى له خبثهم الباطنى و ظلمة ضمائرهم بعد أن كانوا فى بادء الأمر مجاملين لا يدنون منه دنوّ المخلص ولا يشردون منه شراد العدوّ و المعلن فلما أحسّ منهم روح الطغيان و تأكّد من عدائهم العريق و العداء الجذرى يسوق الى كل بليّة و ارتكاب كل خطيئة و يحمل بصاحبه الى ان يركض فى اوساط جهنّم و لا يهاب اراد أن يعرف الصفة من اصحابه و الخلص من اتباعه فقال بين جموعهم من انصاري فى طريقى الى الله فان هذا الطريق يقل انصاره لكثرة متاعبه و قلة عوائده الظاهرية .

قال الحواريون : و الحواريّ هو المخلص فى اتصاله الصادق فى صحبته ، نحن انصارك ، فى التطرق ، الى الله ، و نشردينه و تشيبت طريقته آمنا بالله ايماننا و اقعيا و اشهد يانّبى الله علينا بأننا قد اسلمنا لك و له قيادنا اسلام معترف باذل ، ثم توجهوا الى الله نفسه فقالوا يا ربنا آمنا بما انزلت من دساتير و مقررات و اتبعنا الرسول فيما دعا اليه فاكتبنا فى سجّل الدين يشهدون لك و يعترفون بك و بما انزلت و بمن ارسلت .

واخذ كفره بنى اسرائيل يحوكون له الغوائل و تواطئوا على الفتك به فهذا هو مكربهم به و أما مقابلة الله لمكربهم فإنه القى شبهه عيسى على



صاحبهم الذى اراد قتله فقتل القوم صاحبهم و رفع الله عيسى الى السماء و المكر اّما يطلق على المخادعة و الله يجل عنها لانه قادر لا يفوته شىء و اّما اطلق المكر على اعمال قدرته تعالى لا يقاع التقابل اللفظى مثل و جزاء سيئة سيئة مثلها و لأن المكر يستدعى وجوه التصرف فى الشىء و هو نوع من التحسس القوى ولا ريب ان الله اقوى من كل احد فى ذلك لنفوذ علمه فى كل شىء .

\* ( اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك و رافعك الى و مطهرك من الذين كفروا و جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ) \*

ظرفية اذ باعتبار مكر الكفرة بعيسى و التوفى بمعنى الاستيفاء و الأخذ فمعنى توفاه اليه اخذه لنفسه و استوفاه و صيره فى حوزته و ليس الله فى جهة علو دون سفلى حتى يصدق الرفع الى الله لكن جهة العلو لما كانت اشرف باعتبار بعدها عن الموهنات و جلال الله دائما نزيه فمن هنا صح نسبة العلو اليه و قد يكون معنى ذلك الترفع لا الرفع من ادنى الى اعلا و هذا المعنى لا يقتضى جهة من الجهات و تطهيره من الذين كفروا بسبب رفعه اليه معناه ان الكائن بين الأرجاس و الأدناس و مهما كان فى نفسه نزيها لا يعدم اثر المجاورة فيه و حد الأقل من ذلك انه ينغمر ذكره و يعفى اثره فان الصالح فى مجامع الطالحين فضلا عن انه لا يؤثر اى اثر لا يعود لاسمه تشعشع بينهم .

و فوقية اتباعه على الذين كفروا تصح فى المرحلتين الظاهريّة



المادية فان اتباع عيسى غلبوا مناوئتهم من اليهود الذين نصبوا العداء الأكد للمسيح واصحابه و سادوا عليهم و للآن اثر ذلك موجود فى الفريقين و المعنوية الصرفة فان المؤمن فوق الكافر عند الله و اهمل الضمائر ولا شك ان مآل الجميع الموحد والملحد المطيع و العاصى الى الله وهو الذى يحكم بينهم فيما كانوا يختلفون فيه و يختصمون عليه من حطّ مقام عيسى و رفعه و اتهمه بالباطل و تنزيهه عنه .

و اصولا انما تكون الممارسة فى عالم الدنيا حيث يفقد الناقد المسيطر فان الانتهازى تراه يماطل من الاعتراف بالحق لأنه خلاف مصلحته الوقتية و انما يسلم له اذا حصل ناقد يميزه من سمينه و به قدرة على لطمه على وجهه اذا ابى الانقياد له .

\* ( فاما الذين كفروا فأعدّ لهم عذابا شديدا فى

الدنيا و الآخرة و ما لهم من ناصرين و أمّا

الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيوفىهم اجرهم

و الله لا يحبّ الظالمين ، ذلك نتلوه عليك من

الآيات و الذكر الحكيم ) \*

تقدم فى الآيه السابقة ان حكم الله على نفسه جعل اتباع الحق

فوق الكافرين و هذه الآيه تفصيل لذلك المجل فقد حكم الله على

نفسه ان يعذب الكافرين عذابا شديدا اما فى الدنيا فبطور قضيه

مهمله للوجدان بأن الكافر على عمومه لم ينفذ فيه هذا الوعد فى الدنيا

بل الكثيرون منهم عاشوا فيها عيشة عادية كما يعيشها الباقون و لو ان

كل كافر يعذب فى الدنيا على كفره عذابا شديدا لعدم الكفر بالمرّة من

عالم البشرية او لكان اقلّ .



التفسير ج ٢ ما أخذ الله على نفسه فى قبال المؤمن والكافر ٥٢

هذا مشيا مع الظاهرة الحيوية الناقصة المنهارة فان المشى البشرى منذ بدئه لما اخذ البشر فيه طريق الانحراف الذى هو بملكه طريق الكفر بالمبادئ الصحيحة عاش عيشة ساقطة يكثر فيها الظالم والمظلوم والغابن والمغبون وتطرد فيها المفسد من استبداد الحاكم بالمحكوم واثارة الفتن من مظلمى الضمائر والحروب من محبى الغارات والنهب والسلب من هواة القلاقل والأضطرابات هذا ما كان عليه البشر القديم .

وزاد الجديد على ذلك الوانا اخرى من التهتك والخلاعة والأستهتار الانتقاض على كل عادة وخلق وادب اجتماعى ومثل هذه الحياة اذا تدرها العاقل وجدها عذابا واى عذاب فدينا المنحرفين مع التوجه اليها دنيا محكوم عليها بالعذاب كما نطقت الآية الكريمة الا ان الناس لما أنسوا بالحياة على هذه العادة لم يعودوا يستغربونها بل حسبوها حياة عادية ورأوا غير المعتاد منها مألوف الكون تضارب حربى عام او طاعون جارف او فيضان واسع النطاق مد هش ونظير ذلك .

هذا كله فى حكم الله بالعذاب على الكافر فى الدنيا واما فى الآخرة فذلك مما لا شك فيه لان الآخرة دار الجزاء ، وقد حكم تعالى نفسه ان يوفى المؤمنين اجور ايمانهم واعمالهم الايمانية تماما بلابخس فان الله لا يحب الظالم الباخس .

ذلك ، اشارة الى ما أشعر الله نبيه به من بعض اخبار عمران وامرته و زكريا و طلبته وعيسى و مريم نتلوه عليك و نعلمك به ادلا علم لك بشئ من ذلك قبل تعليمنا من الآيات الدالة على صدق نبوتك لانك اخبرت عما لا سابقة لك به و انما جائك علمه من طريق القرآن الذى هو سنادك



في دعوى النبوة و من الذكر الحكيم الذي اخذ على نفسه ان يوقف الناس على الحقيقة، و تركيب الآية يكون بهذا الترتيب ذلك حال كونه متلوا عليك من الآيات و الذكر الحكيم فكلمة ذلك مبتدأ و نتلوه عليك حال و من الآيات و الذكر الحكيم خبر .

\* ( انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من

تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا

تكن من الممترين ، فمن حاجك فيه من بعد ما

جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناءكم

و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل

فنجعل لعنة الله على الكاذبين ) \*

جهة الشبهه بين عيسى و آدم ان كلا منهما كان عن غير أب لكن عيسى اندفع عن رحم و آدم لم يتكون في رحم انثى و لكنّه صور من طين و نفخ في مجسمته فكان حيا سوياً و ما اخبرناك به عن عيسى و انه لغير أب و آدم و انه مخلوق من طين و أنّك نبى يجب اتباعك هو الحق الثابت في الواقع فلا يتخالجك شك في شيء من ذلك و كل من خاصمك في هذا الحق وهو انك نبى مرسل من ناحية الله و ان كل مامعك من العلم فأنما هو وحي من الربّ فبأهله فأنتك على حق وهو على باطل و انت منتصر وهو منكسر و الذين تباهل بهم هم ابناءؤك و ليس لرسول الله (ص) ابناء غير الحسن و الحسين فهما ابناء حقيقة كما جاءت بذلك آثار متواترة .

وكونهما حينذاك قاصرين في السن لا اهمية له بعد اصطفاء الله

لهما كما اصطفى عيسى و انطقه وهو في المهد ، و البلوغ ان يكن شرطاً



ففي ترتب التكاليف الشرعية على عاتق الانسان وليس هو شرط كمال  
ونسأؤه هي فاطمة ابنته لأطباق اهل الأثران الانثى التي اخرجها  
معه للمباهلة هي بنته فاطمة ليس غير وكفى بذلك فضلا وعلو شأن  
وقد صح فيها عن ابيها آثار لها اهميتها ومن بعض ذلك انها سيدة  
النساء وان الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، وأنفسه هو على فقط  
للأجماع على انه لم يكن معه من الرجال غير علي ابن ابي طالب وليس  
من المعقول ان يراد بالأنفس في الآية نفس رسول الله فان نفس  
الانسان القائمة بين جوانحه لاتقع مدعوة له ولعلي من الفضل ما لا يحصيه  
قلم كاتب، واطلاق النفس عليه من لسان الرسول جاءت به طوائف من  
الآثار ذكرنا جملة منها في كتابنا نتائج الفكر في ضمن فصول عديدة .  
وهذه الآية من الآيات الواضحة الموجزة لفضل آل محمد على  
غيرهم كفضل محمد (ص) على من سواه فان ناسها المذكورين فيها  
ابناء محمد ونساء محمد ونفس محمد وانهم الصخرة الناطحة لأعمال  
الكفر والركن المهيب الذي قلع قلوب سادة النصارى فلم يقدموا على  
مباهلة نبي الاسلام من اجل هؤلاء .

كما ان هذه الآية اثبتت الحق الواضح للنبي بامتناع سادة خصومه  
عن مباهلتهم واقرارهم بالخزى ودفع الجزية له ولو كان الأمر على خلاف  
ذلك لباهلوه واحرزوا كيانهم و سلطانهم بين اتباعهم خاصة والناس  
عامّة .

كما ان فيها برهانا ساطعا على تيقن النبي من نفسه و توثقه من  
صدقه و جلاء الأمر له بنزول العذاب على منائيه و سلامته هو و ذويه  
والآل لما عرض بنفسه و بأحرّ الناس عليه وهو من الواضح بمكان .  
وجاء في الآثار ان وفد نجران وفيه السيد و العاقب قالوا لرسول



الله هل رأيت ولداً من غير ذكر فأنزل الله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى تمام الآيات السالفة فقرأها رسول الله عليهم ودعاهم الى المباهلة فاستنظروه الى صبيحة غد فلما رجعوا الى رجالهم قال لهم الأسقف انظروا محمداً في غد فإن جائكم بولده واهله فاحذروا مباهلته و ان جائكم بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء فلما كان الغد جاء النبي أخذاً بيد علي والحسن والحسين يمشيان بين يديه وفاطمة تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم فلما رأى النبي قد اقبل بمن معه سأل عنهم فأجيب بنسبتهم منه و تقدم رسول الله فجلسا على ركبتيه فقال الأسقف جثا والله كما يجثو الأنبياء للمباهلة فكعب ولم يقدم على المباهلة فقال له السيد لم لا تقدم الى مباهلته قال انى لأرى رجلاً جريئاً على مباهلتنا وأخاف ان يكون صادقاً ولئن كان كذلك لم يحل علينا الحول وفي الدنيا نصرانى يطعم الماء فقال الأسقف يا ابا القاسم اننا لا نباهلك ولكن نصالحك على ما نقد رعليه فصالحهم رسول الله وكتب بذلك كتاباً .



\* ( انّ هذا لهو القصص الحقّ و ما من اله الاّ الله  
 و ان الله لهو العزيز الحكيم فان تولّوا فان الله  
 عليهم بالمفسدين ) \*

القصص هو القصّة وهو الأتيان بالحدث على وجهه بدون زيادة  
 او نقيصة ومنه اخذ القصاص ، اى ان ما تقدّم من حالات آل عمران و آل  
 زكريّا هو الحقّ الثابت و انّ ما يسوقه الأسرائيليون فجّلّه خرافات  
 و انحرافات و خلاف واقع و ما فى العوالم من اله الاّ الله وحده فليس  
 عيسى بآله و لا الأخبار بالآهة و ليس لهؤلاء فى عالم التكوين و التشريع  
 شىء و ان الله لهو العزيز الذى لا يغالبه احد و تعدد الآلهة يقتضى  
 المغالبة ، الحكيم الذى يوقع الأشياء فى مواقعها على وفق واقعها  
 فان تولّى اهل الكتاب عن رسم هذه الحقيقة فأنهم مفسدون متحيّزون  
 يحاولون اهدافا اخرى وراء الدين الحقّ و الله بهم عليهم .



\* ( قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا  
و بينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا  
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله  
فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ) \*

تعرضت الآية ل طرح آخر فى قبال المباهلة لكيفية المخاصمة  
و المحاجة ابانه رب العزة لثبى الاسلام حتى يقطع به اهل الكتاب  
و سياقه بهذا الترتيب و هو انكم يا اهل الكتاب بطبيعة عنوانكم تدعون  
عبادة الله و اتباع الرسل المبعوثين من لدنه و لاشك ان رسلكم انما دعوا  
لله و حده و لم يدعوا لأنفسهم و لا لموجودات أخرى الا فليسوا بأنبياء  
و هذا الهدف مشترك بيننا و بينكم فنحن لا نقول الا بالله و حده و لا  
ندعوا الى احد سواه و لا يجوز لنا ان يتخذ بعضنا بعضا اربابا من  
دون الله فعلام نراكم تألهون عبيد الله مثل المسيح و علام تشركون معه  
غيره فتعتبرون احباركم مشرعين يحلون و يحرمون لكم و عليكم من  
أكياسهم .

فان و حدثم الله تعالى و اعتبرتم عيسى و العزيز و غيرها عبادا  
له و نزهتموه مما لا يليق بقدره صانع العالم علة كل العلل و اقتصرتم  
فى التكليف على ما شرعه هو لعباده فنحن و انتم على ملة واحدة وان  
اعرضتم عن هذه الخطط المستقيمة و استمررتم على انحرافاتكم و عقائدكم  
الفاصلة فى الله و رسله و تشريعاته فاشهدوا بأنا مسلمون لله و حده  
أخذون تكاليفنا عنه و حده و لانتقد فى انبيائنا الا كونهم عبيدا لله  
و رسلا من عنده مع كمال تنزيهنا لهم عن الموهنات .

فان قيل اذا استجاب اهل الكتاب لنبي الاسلام فلم يعبدوا الا



التفسير ج ٢ رد الله على اهل الكتاب فى تزويرهم على ابراهيم ٦٠  
الله و لم يشركوا به شيئا ولم يتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله  
فهل يكتفى نبي الاسلام منهم بذلك قطعا لا يكتفى منهم الا بأن يكونوا  
مسلمين مثل جماعته الذين آمنوا به و تعبدوا بتشريعات القرآن  
و تشريعاته غير ما عندهم من شريعة قلنا ما عندهم من شريعة فعلية  
ليس هو من الشرع الواقعى لان الأديان فى امهات الفروع الفقهية لا  
تختلف قطعا فالزنا و اللواط و شرب المسكرات و اكل الربا و الغيبة و  
النميمة لا يعقل ان تكون مباحة فى دين من اديان السماء نعم  
الاختلافات التى يمكن تحققها فى الأديان ما كانت على هوامش  
التكاليف و مثل هذه لا تقف حجر عثرة امام عاطفة المتدين بدىن سابق  
اذا دعى الى اعتناق دين لاحق تعضده المعجزات .

\* ( يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما  
انزلت التوراة و الانجيل الا من بعده افلا  
تعقلون ، ها انتم هؤلاء حاجتم فيما لكم به  
علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم و الله  
يعلم و انتم لا تعلمون ) \*

هذه الآية نزلت ردًا على اليهود الذين ينسبون اليهودية لابراهيم  
و النصارى الذين ينسبون النصرانية له و كل مادة اطلاق اليهود عن  
ابراهيم هى التوراة و مادة اطلاق النصارى عنه هى الاناجيل و كلا  
الكتابين انما تعرضا لاسمه و لم يتعرضا لما كان عليه من شريعة .  
و لما كان هذا الذى ذكرناه رصيذ القضية فلجهم الله تعالى بقوله  
يا اهل الكتاب من يهود و نصارى لم تحاجون فى ابراهيم فيقول



اليهود ان دينه اليهودية و يقول النصارى ان دينه النصرانية وما  
انزلت التوراة على موسى و الأنجيل على عيسى الآ من بعد وفاة  
ابراهيم بقرون و ليس فيها ما يتعرض لطريقته افلا تعقلون ان الحاجة  
انما تكون بعد المعرفة لمادة الدليل و كيفية صوغه،ها انتم هؤلاء  
يا اهل الكتاب حاجتم فيما لكم به علم وهو معرفتكم بشخص ابراهيم  
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وهو شرعه و دينه و الله يعلم مجارى  
الحق و انتم لا تعلمون ذلك و لأجل جهلكم هذا تغرقون فى الضلال .  
فأن قيل ما المنظور باليهودية و النصرانية اللتين ينسبانهما  
اليهود و النصارى لأبراهيم وبيّره الله منها قلنا لاشك ان المنظور بهما  
ما هو دارج عندهما من اليهودية المدلسة و النصرانية المحرّفة لا الدين  
الذى كلّف موسى بتبليغه و الملة التى أمر عيسى بنشرها فان جميع  
ذلك حق نعم فى هذا الدين اضافات و منسوخات شرّعها الله لمصالح  
مؤقتة و ارتفعت لما انتهى امدها فأمثال هذه التشريعات لا يجوز  
التعبد بها خارج وقتها و بعد نسخها .



\* ( ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفيا مسلما وما كان من المشركين ، انّ اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولىّ المؤمنين ) \*

هذه الآيّة شارحة للآيّة السابقة جاهرة بأن ابراهيم لم يكن على هذه اليهودية التى تجسّم الله وتجعل العزيز ابنا له وتتسب النسب الباطلة اليه والى انبيائه ولا روحه متشعبة بما تشعبت به الروح النصرانية من بوائق هى بعيدة عن السماء وربّ السماء ولكن كان ابراهيم مائلعن الباطل الى الحق مسلما قياده لربه وللأدلة الساطعة القائمة على الحقائق وما كان مشركا بالله كما اشرك اليهود والنصارى به .

ثم ابان سبحانه لليهود والنصارى انه لا قربى بينكم وبين ابراهيم كما لا محبة بينكم وبينه لان قريب الانسان من كان على شاكلته حاملا لروحيته ما شيا على طريقته وانتم بما تدنون به اعداء له فقربى ابراهيم وناصره اولئك الذين اتبعوه فى زمانه وشيدوه وايدوه ، وقريبه ايضا هذا النبى الذى يدعو الى ما كان يدعو اليه ابراهيم من التوحيد والحنيفية وهكذا الذين آمنوا واقعيا بالله كما ان الله هو صديق المؤمنين ووليهم وناصرهم وهم ايضا قريبا واولياؤه فان القرابة قرابة الارواح المؤمنة والعقائد الصادقة والمشارب النزيهة .



التفسير ج ٢ رغبة جملة من اهل الكتاب فى اغواء المسلمين ٦٣

\* ( و دّت طائفة من اهل الكتاب لو يضلّونكم و ما

يضلّون الا انفسهم و ما يشعرون ) \*

و المراد بالطائفة من اهل الكتاب اولئك المعاندون منهم العريقون فى الخبث المتأصلون فى الغواية الذين لا يهتمهم الا اثاره الغيرة و هيجان الفتنة و معنى اضلالكم صرفكم عن دينكم الذى انتم عليه و هو الأسلام ليضعفوا شوكة النبى و هو ءلاء فى محاولتهم هذه لا يريدون الا اركاس انفسهم فى الضلالة و اغراقهم لها فى الموبقات و ما يشعرون بذلك الشعور الواقعى و ان طفح لأنفسهم انهم اقوياء الشعور من ناحية تكديرهم الوضع و تمويجهم الافراد البسطاء .

و ملاك الآيه ان المتسفلين الذين يقدّمون نهمتهم و شهوتهم و خبث ضمائرهم على عقولهم و مشاعرهم دائما يكونون حريصين على تكثير امثالهم لتخفّ ويلاتهم فى انظار الناس و القبيح فى نفسه اذا كثر خفّ قبحه لكن امثال هو ءلاء يكونون مجرمين من ناحيتين حدّ الاقل جرم ارتكاب الخطيئة فى نفسها و جرم اشاعتها و تكثيرها بين الناس و الجرم الثانى اعظم بكثير من الجرم الأول فالضال فى نفسه المغوى المضل لغيره مرتكس فى الضلال مكررا و ان حسب لنفسه حسب اهل الذهنيات القوية و لكنها فى الشيطنة لافى جلب الخير و هذا هو أخصّ افراد الشر .



التفسير ج ٢ تأنيب الله لأهل الكتاب في كفرهم بآيات الله ٦٤  
\* ( يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم  
تشهدون ، يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق  
بالباطل و تكتمون الحق وانتم تعلمون ) \*

جاءت هذه الآية تأنيبا لهؤلاء العتاة و جلبا لهم الى الصلاح و  
ردعا لهم عن ملازمة الباطل و ارادة للأقلاع منه و كلما جاء فيها من  
استفهام فهو انكارى شديد اللهجة و لاشك ان العاقل يستكثر عليه  
الجحود لما تتحقق منه حواسه الظاهرة و الباطنة و يستكثر عليه الغش  
و التدليس بداعى الخبث المجرد و العصبية الملعونة و يستكثر عليه  
كذلك كتمان الحق ارضاء لشهوة عصبية لا يفهم داعيها المعقول .  
و لم يكفر اهل الكتاب بآيات الله مع معاينتهم لها ولم يلبسوا الحق  
على اهله و طالبيه كما انهم لم يكتفوا الحق لان فى ذلك ضرا عليهم م  
بل كل الداعى الذى كان يدعوهم هو نخوة التعصب لا اكثر و هذه  
الروح جاهلة فاسدة لا توزن بميزان اصلا .

و الآية الأولى فيها تأنيب شديد لاؤلئك الذين لم يتركوا الأيمان  
بالله و مع ذلك اعرضوا عن مقرراته و اطاحوا بكرامة واجباته و محرماته  
و خلعوا انفسهم من ريقه تكاليفه و مشوا مع ظاهرة الألحاد فى الاعمال  
الحيوية كما هو شيمة المؤمنين بالله فى هذه القرون الأخيرة اولئك  
الذين تركوا الصلاة و الصوم و الحجاب و كرعوا فى المسكرات و تبادلوا  
فيما بينهم الرشوة و الخدمة بنفع الملاحدة و زوجوا الكفرة و تزوجوا منهم  
و انغمسوا مع كل شىء من اشياهم وعدوا الألتحاق بركبهم من موجبات  
الخطوة و السعادة .

و تنفيذ الآية الثانية التنديد باؤلئك المدلسين فى العقائد الذين



يتظاهرون بالأيمان حتى لا يستوحش منهم المؤمنون ثم يتسربون من هذا النفق المظلم الى دس السم في العسل و تحطيم مباني الايمان بالتهريج و تشويش الأذهان ليلفتوا المؤمنين عن دينهم بالغفر فيه والدس في مبانيه .

\* ( و قالت طائفه من اهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار و اكفروا آخره لعلمهم يرجعون ، و لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء و الله واسع عليم، يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم ) \*

هذه الآيات فى ترتيب سياقها خفاء وقد اضطربت اقوال المفسرين فيها و الذى يلوح ان ترتيب سياقها يكون بهذا اللون و قالت طائفة من اليهود وهم المعنيون هنا من كلمة اهل الكتاب لان المناوئين القريبين من معارضة المسلمين و التبييت لهم هم اليهود لكثرتهم حول مركز الدعوة الإسلامية بخلاف النصارى فأنهم بعيدون فى المراكز عنهم و المراد بهذه الطائفة هم الخبث المرموزون الذين همهم اثاره الفتنة بشتى انواعها اطاحة بكيان المسلمين و المنظور بقالت طائفة قال بعضهم لبعض مهما استطعتم فنافقوا و اظهروا الايمان بما يدعو اليه محمد (ص) اول النهار و اكفروا بما آمنتم به آخره ليكون ايمانكم بذلك و كفركم به مدعاة لتزلزل ضعفاء العقائد و البسطاء بأن هو لاء لم يكفروا حتى وجدوا فى هذا الدين ما يريبهم به و لذلك انكفاؤا عنه .



ثم تَوَجَّهَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مُحذِّراً لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
 الْمُؤْتَقِ بِإِيمَانِهِ فَانِ الْهُدَى الَّذِي هَدَى بِهِ الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ هُوَ هَدَى  
 اللَّهِ وَالْإِغْيَارِ الْمَدْعُونَ لِلْهُدَى خَارِجِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فَاِنَّمَا يَدْعُونَ أَمْرًا  
 بَعِيدًا عَنِ الْوَاقِعِ وَنَاهِيًا لَهُمْ أَنْ يَصَدَّقُوا أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتُوا  
 مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ الْبَعِيدِ عَنِ الْمُوَهَّنَاتِ وَالْإِنْحِرَافَاتِ أَوْ إِنْ يُؤْمِنُوا بِأَنَّ  
 الْيَهُودَ سَوْفَ يَحَاجُّوهُمْ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَيُحْكَمُ بِهِمُ بِاتِّبَاعِهِمْ مُحَمَّدًا  
 وَانْتِبَازِهِمْ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ فَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا إِنَّا نَحَاجُّ  
 عِنْدَ رَبِّنَا مِنْ خَالَفِنَا فِي دِينِنَا فَانِ الْيَهُودَ إِنَّمَا يَطِيرُونَ هَذِهِ الرَّمُوزَ  
 لِأَيِّجَادِ التَّخَاذُلِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ فِي قِبَالِ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ إِنْ الْفَضْلَ  
 الَّذِي هُوَ النَّبُوءَةُ الَّتِي أُوتِيَتْهَا وَالدِّينَ الْقَوِيمَ الَّذِي أُرْسِلْتَ بِهِ بِيَدِ اللَّهِ  
 يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَمَّا اسْتِحْقَاقًا إِذَا كَانُوا مُخْلِصِينَ لَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ  
 مَا يَسْعُدُهُمْ وَأَمَّا تَلَطُّفًا بِعِبَادِهِ بِتَهْيِئَةٍ كُلِّ مَا يَضْمَنُ لَهُمُ السَّعَادَةَ  
 وَبِنَاءِ آخِرَةٍ وَالَّذِي يَضْمَنُ سَعَادَتَهُمْ هُوَ إِخْرَاجُهُمْ مِنْ ضَلَالِ الْإِنْحِرَافَاتِ  
 إِلَى نُورِ التَّوْجِيهَاتِ الصَّحِيحَةِ وَهِيَ تَوْجِيهَاتُ الْإِسْلَامِ بَعْدَ غَوَايَاتِ  
 الْيَهُودِيَّةِ وَضَلَالَاتِ النَّصْرَانِيَّةِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ فِي عَطَايَاهُ عَلِيمٌ بِمَنْوِيَّاتِ  
 مَخْلُوقَاتِهِ الْخَبِيثِ مِنْهُمْ وَالنَّزِيهِ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لَا  
 اِعْتِبَابًا صَرَفًا وَلَكِنْ لِدَوَاعِي مَوْزُونَةٍ اسْلَفْنَا بَعْضًا مِنْهَا فِي شَتَاتِ بَحْوِثِنَا  
 حَوْلَ امْتِثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ .

وَعَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ الَّذِي اسْلَفْنَا يَكُونُ مَحَلًّا أَنْ يُؤْتَى مَفْعُولًا بِهِ  
 لِفِعْلِ مُحذَوفٍ تَقْدِيرُهُ وَلَا تَصَدَّقُوا مَعْطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ وَلَا تُؤْمِنُوا وَمَنْصِيدًا  
 مِنْهُ وَيَكُونُ أَوْ يَحَاجُّوكُمْ مَعْطُوفًا عَلَى أَنْ يُؤْتَى مَنْصُوبًا بِالْفِعْلِ الَّذِي نَصَبَ  
 أَنْ يُؤْتَى

و تَفِيدُ الْآيَةَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّسَبَّطَ مِنَ الشَّيْءِ حَتَّى يَقْبَلَ



عليه كما يجب عليه ان يتثبت ايضا حتى يتجافى عنه و ان الاقبال من غير تثبت نتيجته عدم الاستمرار فى العقيدة و سرعة الأنهيار لأدنى تشكيك يحصل و هكذا الأد بار عن الشئ يكون حراما اذا لم يكن عن رصيد قطع كما تفيد الآية انه لا يجوز للإنسان المؤمن بمبدأ ان يستنصح من ليس على مبدء و دينه فان الانسان المجانب فى العقيدة اذا لم يكن عدوا لا يكون صديقا اصلا فموالاة المؤمنين بالله المصدقين بنبى الاسلام للكفرة و الملاحدة و المنحرفين موالاة تجر الى ندم و فتوح طريق للعدو يتسرب منه الى افساد دين هذا المؤمن الذى اعتقد به و رآه اخا صادقا و فيا .

\* ( و من اهل الكتاب ان تأمنه بقنطار يؤده اليك

و منهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميّين سبيل و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون ، بلى من اوفى بعهدده و اتقى فأن الله يحب المتقين ) \*

لا خصوصية فى اهل الكتاب بأن بعضهم يؤتمن على قنطار و بعضا منهم ليس محلا لأمانة دينار فأن هذا المعنى موجود فى البشرية كلها و انما خصّ الله اهل الكتاب بالذكر فى منطقة هذا المعنى لهذِهِ النكته وهو أنّهم كانوا يقولون ليس علينا من الله سبيل فى غير اليهود فكل من لم يكن يهوديا فأمواله حلال لنا بأى نحو استوفيناها بأمانة ام بغيرها و يرون ان ذلك من احكام دينهم فردّ الله عليهم بأنهم يقولون على الله الكذب و هم يعلمون انهم كاذبون فى هذه النسبة .



و هذا الأعتزاز بالذات الذى منى به اليهود منى به اغلب المتعنونين بأنسابهم و مكاناتهم الاجتماعية فأنهم يرون ارتكاب الجريمة شبيه مغفور لهم فيها وغير مستكثر عليهم أما اغترارا بحد يث النفس و أما اغراقا فى الجهل .

و الأتيان ببلى الجوابية اشعار بنفى السابق عليها بمعنى ان الله لم يجز الخيانة و لم يأمر بها و لا يحبها من كل احد كائنا من كان، بلى من اوفى بعهد ه و لم يغدر و ادى امانته و لم يخن و اتقى ربه فى ذلك و لم يتهجم فان الله يحب المتقين وهم الأوفياء لا الخونة ، و القنطار: هو المال الكثير و يقابله الدينار مقابلة القليل للكثير و المراد بالأميين هنا غير اهل الكتاب المعهودين و جاء فى الأثار عن رسول الله (ص) انه قال ثلاث من كنّ فيه فهو منافق و ان صلّى و ان صام و زعم انه مؤمن من اذا حدّث كذب و اذا وعد اخلف و اذا ائتمن خان .

\* ( انّ الذين يشترون بعهد الله و ايمانهم ثمنًا

قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة و لا يكلمهم

الله و لا ينظر اليهم يوم القيامة و لا يزكّيهم

و لهم عذاب أليم ) \*

المراد بعهد الله كلّما عهد به الى المكلفين من تكاليف و آداب لازمة و هدف الآية ان كل مكلف يتاجر بدينه فيقدّم المادة اذا تعارضت هى و الدين بأن يحلّ الحرام او يحرمّ الحلال او يخون او يحلّف كاذبا تحصيلا للمادة كان بحاجتها ام لم يكن فهو لا نصيب له فى الآخرة و لا يكلمه الله يوم القيامة اهانة له و استهانة به و لا ينظر اليه بعطفه و رحمته و لا يغمض عن ذنوبه فيزكّيه و مع ذلك كله له عذاب مؤلم



يتكافأ هو و جرائمه .

\* ( وان منهم لفريقا يلون السننهم بالكتاب

لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون

هو من عند الله و ما هو من عند الله و يقولون

على الله الكذب و هم يعلمون ) \*

الضمير فى منهم يرجع لأهل الكتاب يعنى ان فى اهل الكتاب اناسا

مرموزين كفره فى البواطن يتاجرون فى العقيدة فيحذفون من الكتاب ما

هو جزء من حقائقه و يضيفون اليه ما هو اجنبى عنه ليمشوا بذلك

مقاصدهم الفاسدة و منوياتهم الزائفة و ينسبون كل ما هو من تزويرهم

الى الكتاب السماوى و ما هو منه و الى الله و ما هو من عند الله و يقولون

على الله سبحانه ما ليس بقائله و هم يعلمون انهم مزورون كذبة جالون

مردة و لى اللسان تقلبيه و طيه و فتله .



\* ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم و  
النّبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون  
الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب  
و بما كنتم تدرسون ، و لا يأمركم ان تتخذوا  
الملائكة و النبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد ان  
انتم مسلمون ) \*

طبيعيا غير معقول أن ينتخب الله من عباده نبيا و وسيطا بينه  
و بين خلقه في كافة امور دينهم و دنياهم ثم ينقلب هذا النبي داعيا  
لعبادة نفسه مكذبا امر ربه ذلك لا لأنّ البشر لا يتأتى منه الضر بل  
لأنّ الله لا ينتخب للرّسالة الاّ من يعلمه مخلصا له أتم اخلاص مقرا  
بعبوديته ابلغ اقرار مفنيا لنفسه في سبيله و بعد أن يكون في ذاته  
كذلك يعصمه حتى لا تختلج فيه آية نفس و لا يحتل في حقه ادنسى  
احتمال انحرافى .

فمعنى ما كان لبشر انه يستحيل فيه ذلك وهو جمع النقيضين من  
كونه نبيا مرسلا منتجبا و كونه داعيا للناس الى عبادة نفسه دون الله  
نعم من لازم هذا المنتجب و من ضرورة وظيفته ان يأمر الناس بتصيير  
انفسهم ربانيين اى منسويين للربّ في أخلاقهم بأن يتخلّقوا بأخلاق  
الله و يترسموا خطواته فيما دعا اليه من ملازمة الفضيلة و مجانبة الرذيلة .  
و هذا المجمل هو مفاد ما عرفه المتشرع من تعلّمه كتاب الله و تعليمه  
آياه لمن يجهله و مفاد ما درسه على العلماء الراسخين و كذلك من  
لازم النّبوة ان لا يجوز لعباد الله أن يتخذوا الملائكة و الأنبياء أربابا  
مع الله و لا اربابا من دونه و اذا أجاز ذلك لهم فقد اجاز لهم الكفر



بخالقهم فان اتخاذ غير الله معه او من دونه كفر صريح وعباد الله

مسلمون بالفطرة و بدعوة الانبياء لهم الى الاسلام .

و هذا الآية فيها ردّ واضح فاضح لليهود و النصارى و كل من

كان على منوالهم من تابعى شرائع السماء بالانتساب اليها فان اليهود

الذين يقولون عزيز ابن الله لا يخلو قولهم هذا من لزوم نسبة شائنة اما

الى العزيز مع اعترافهم بنبوته واما الى انفسهم .

و العزيز النبى تتناقض دعواه النبوة لله و ادعائه النبوة عن الله

المبرأ عن الجسمية و لوازمها و المادة و لواحقها فهو مع ادعائه النبوة

الصادقة يستحيل عليه ان يدعى النبوة من الله و مع ادعائه النبوة لله

فهو ليس بنبى بل دجال متحيز يريد من هذه النسبة ان يستغوى

جملة من عباد الله ليعيش على اكتافهم اذا فادعاه بنوة العزيز من

الله خرجت من اكياسهم فقط و لاشك انها توجب كفرهم و كذلك القول

فى النصارى و ادعائهم ان المسيح ابن الله .

قيل فى مورد نزول الآية وجوه منها ان رجلا قال يا رسول الله

نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي

ان يسجد لأحد من دون الله و لكن اكرموا نبيكم و اعرفوا الحق لأهله .



التفسير ج ٢ اخذ الله ميثاق ابلاغ الرسالة من رسله ٧٢  
 \* ( واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من  
 كتاب وحكمه ثم جائكم رسول مصدق لما معكم  
 لتؤمنن به ولتنصرنه قال ، أقررتم و اخذتم على  
 ذلك اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا  
 معكم من الشاهدين : فمن تولّى بعد ذلك  
 فأولئك هم الفاسقون ) \*

احسن ترتيب اتصوره لهذه الآية بهذا اللون واذ اخذ الله ميثاق  
 النبيين للذي آتيتكموه من كتاب و حكمه يجب عليكم ابلاغه و ايفاءه للناس  
 ليسعدوا و تتم الحجة عليهم و كذلك اخذ الله ميثاق النبيين متى  
 جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه فما الموصولة المسبوقه  
 بلام الابتداء من قوله لما آتيتكم من كتاب مبتدأ خبره ما قدرناه من قولنا  
 يجب عليكم ابلاغه و ايفاءه للناس و هذه الجملة الخبرية بيان للميثاق  
 المأخوذ من النبيين و كذلك قوله ثم جائكم رسول بيان للميثاق ايضا  
 فيكون عطفًا على الجملة الخبرية المذكورة .

و عليه فمفاد الآية يكون هكذا اخذ الله سبحانه من كل نبي اختاره  
 للوساطة بينه و بين خلقه ميثاق ابلاغ الرسالة و ايفاء النبوة و تعليم  
 الخلق بما يريد الله منهم لصالحهم كما اخذ ميثاقه من كل نبي أن  
 يبشّر قومه و الجيل الذي هو فيه بتصديق كل نبي يأتي بعده فيؤمن به  
 الشاهد متى صادف زمان بعثته و يوصى به اهله و من يسمع منه ان لم  
 يصادفه .

ولا شك ان كل نبي لاحق مصدق لكل نبي سابق و لجميع ما جاء  
 به و ان طرأ على بعض ما جاء به نسخ فان المنسوخ في ظرفه حكم الله



يجب التصديق بكونه من الله و ان تعقبه النسخ فأيمان الرسول السابق برسالة الرسول اللاحق تصديق بما وعد الله به وهكذا الأمة السابقة وجودا على رسالة الرسول اللاحق زمانا معنى ايمانها تصديقها بالتقديري به و الفعلى بوعدته تعالى .

و نصره النبي للنبي تثبيت واقعيته في القلوب سابقا كان ام لاحقا وهكذا نصره المؤمنين ، و الأصر هو العهد و قالوا اقرنا اى كافة الأنبياء اقرؤا الله بالمواثيق المأخوذة منهم قال فاشهدوا على انفسكم و انا معكم شاهد عليكم فمن تولى و حاشا الأنبياء ان يتولوا عن ذلك و انما الشرطية لبقية المكلفين ، فأولئك هم المنحرفون عن عهد الله و مواثيقه و الفسق هنا قد استعمل بمعناه اللغوى وهو الميل والأحراف لان الفسق بمعناه الآنف يوجب كفرا .

هذا وقد تكون الآية تبشيرا بنبوة نبي الاسلام عليه السلام على الخصوص او انها و ان كانت من مصاديق الكلية الأمان لمصداقيتها ظهورا و بروزا و يستدل على ذلك بأن الألف و اللام في النبيين تفيد العموم لدخولها على الجمع و بعبارة اخرى الجمع المحلى بأل يفيد العموم و ليس بعد محمد نبي فيكون هو الرسول الجائى المصدق لما معهم فبقية الانبياء هم المقرون على انفسهم بالأيمان به و نصرته و هم الشاهدون على انفسهم بذلك و المشهود على شهادتهم بشهادة الله و ان كل من يتولّى عن قبول رسالة رسول الاسلام فهو فاسق عن دين الله كافر به و بأنبيائه .

و تفيد الآية ان الله يريد بسلاسل البشرية كلها ان تكون بمنزلة حلقة مفرغة لا يعرف اين طرفها المزيد التشابه الأخلاقى الأيمانى بين عامة افرادها سواء منهم الأبيض و الأسود و العربى و العجمى و الشرقى



التفسير ج ٢ الاسلام هو دين الله الذي لا يقبل غيره ٧٤  
والغربي والقديم زمانه والجديد حتى كأنك لا ترى فجوة بين فرد وفرد  
ومهما باعدت بينهما الاعتبارات في العنصر واللسان والبلاد والزمان  
وحتى ترى الفرد يعترف بأخوة من لم يأت الى الوجود بعد اعترافا  
تقديريا مشفوعا بكمال الاخلاص والصدقة والذي اتي و سبقه  
بأجيال و اجيال النبي بالنبي و الأمة بالأمة و بالأنبياء و لا يعقل في  
مقام تصوير الوثام و الوحدة و المؤاخاة معنى اعلا من هذا المعنى  
ولهذا يجب ان يعتبر الدين اعلا مقياس في النزاهة و عدم التحيز .

\* ( أفغير دين الله يبعون و له اسلم من في

السماوات و الأرض طوعا و كرها و اليه يرجعون

: . قل آمنا بالله و ما انزل علينا و ما انزل على

ابراهيم و اسماعيل و اسحاق و يعقوب و الأسباط

و ما اوتى موسى و عيسى و النبيون من ربهم لا

نفرق بين احد منهم و نحن له مسلمون : و من

يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في

الآخرة من الخاسرين ) \*

قوله تعالى افغير دين الله يبعون اخبار عن كل من يد دين بغير  
دين الاسلام كتابيا كان ام غير كتابي بصورة استفهام انكارى دعا الى  
المجىء به انجرف الناس مع الالهواء بعنوان انها نظام حياة لهم. في  
حال ان اكثرها مضلة و مغواة و تمايل الى الشهوات العمياء و ميول  
النفس الرعناء و ينطبق هذا المعنى انطباقا ظاهرا فيما عليه هذه  
العصور التي استبدلت بالتمايلات عن كل ما ينسب للسماء من رسالات  
سواء في ذلك عثها و سمينها و لئن تعلل القوم بأن ما يلوح لنا من



فعل المنسويين للدين تكثر فيه الخرافات والمجازفات فقد كان ممن  
لازمهم تحريّ الحقائق فيه فان فيها بلغة للعاقل .

وفي الخلاصة تعنى الآية ان دين الله واحد لا متعدد اذ لا معنى  
لتعدد الأديان مع كون الهدف ترسم مافى متن الواقع الذى يخبر عنه  
الله لانه علام الغيوب واذا كان دين الله واحدا فكيف يبغون غيره وهنا  
كان قائلا يقول ما هو رصيد الدين حتى نتعبد بما يقرره لنا و يخططه  
من نظام لحياتنا فقال تعالى ان رصيد الدين ذلك المبدأ الذى انقاد  
له كل مافى الكون من هامد و متحرك طائعا كان ام متمردا لأن حصاة  
معلوليته تلجأه الى علة تقوم بكيانه و لولا العلة المقومة لما كان وقام  
فكينونته و قيامه بذاته دليل على وجود العلة التى قامت به .

و كما انه هو المبدأ كذلك المعاد لان المادة و مهما طال عمرها  
تتلاشى صورها و تتبدل غرائزها و انما يلبسها صورا اخرى مقترنة  
بالحياة ام بدونها فاعلها الأول اذ كل فاعل سواء مفعول له و معلول  
فأذا ثبت الرصيد و قام البرهان على ثبوته و وجوده فقل يا محمد لكافة  
من يعقل آمنا بالله الذى هو الرصيد المتحدث عنه و آمنا بما أنزل  
علينا من كتاب وهو القرآن و كذلك بما انزل قبلنا على ابراهيم واسماعيل  
واسحاق بن ابراهيم و يعقوب بن اسحاق و أسباط يعقوب و ما أوتى  
موسى بن عمران من التوراة و عيسى بن مريم من الأنجيل و ما أوتى  
النبىون بالأسر من نظم و دساتير سماوية لانفرق بين احد منهم لأن  
هدف الجميع واحد وهو الدعوة الى الله و نحن مسلمون منقادون لله .  
و دين الله الواحد الذى أشرنا فى صدر البحث اليه هو الإسلام  
لجامعيته لأشرف نظام و ابلغ دستور و اعلا ادب و بعده عن كل موهن  
فمن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه لأنه مبتدع و لا قيمة لمبتدع فى



قبال الله سبحانه وهو في الدنيا والآخرة من الخاسرين ، أما خسارانه في الدنيا فكما نراه في كل متحيز عن الاسلام و دنياه التي يعتبرها دنيا مؤفه ليست بسالمة و أما خسارنه في الآخرة فلأنه مخالف لله و الآخرة ملك خاص لله لا يشركه و حتى بحسب الظاهر فيه احد ومخالف الله لا يلقى عنده وجهها .

و بالأخرة غير مبتغى الاسلام اما مبتغى واحد من سائر الأديان فان في مبتغاه من الخرافات الشيء الكثير على مقولة التشكيك فما من نزعة دينية قد يمة او حديثة الا وتعتورها الخرافات بطور مد هس و أما مبتغى الاديان القائمة على الاحزاب و الآراء الشخصية فتلك تميموج بحسب السوانح ولاقرار لها على نوع خاص .

أما دساتير الاسلام و آدابها فهي بمقتضى العقول السليمة من ارقى ما يمكن التعرف عليه و العنل به و مباحدة الأجيال الحاضرة له منشؤها انها التصقت بطوارىء التجدد فعادت تستغربه وتعد اللخوق بموكبه مبعدا لها عن قافلة الأحياء في هذه الدنيا .

قيل في مورد نزول الآية ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام فغضبوا و قالوا و الله ما نرضى بقضائك و لا نأخذ بدينك فأنزل الله أفغير دين الله يبيغون .



\* ( كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا

ان الرسول حق و جائهم البيئات والله لا يهدى

القوم الظالمين : اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة

الله و الملائكة و الناس اجمعين : خالد بن

فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

: الا الذين تابوا من بعد ذلك و اصلحوا فأن

الله غفور رحيم ) \*

كيف هنا استفهام استبعادى على حسب الطرق الطبيعية المسلوكة

فان هداية الله للأنسان هو ان يتوفق للأيمان الصحيح فاذا ارتد

عنه فأيّة هداية تكون له و ماذا بعد الحقّ الا الضلال .

و القوم الظالمون الذين لا يهدى بهم الله هم الذين ظلموا انفسهم

بصرفهم لها عن الله و ابعادهم اياها عنه فالذين يكفرون بعد ايمانهم

بالرسول و شهادتهم انه رسول واقعى قد شفعت دعواه النبوة آيات

بينات كالقرآن بالنسبة الى نبي الاسلام اولئك جزاؤهم ابعاد الله لهم

عن ساحة رحمته و دعاء الملائكة و الناس عليهم بالطرد و الأبعاد

خالد بن في هذه اللعنة لا يخفف عنهم عذابهم الذى استحقوه بمرور

الزمن و لا يمهلون عن اقتران العذاب بهم اذ لا داعى للأمهال الاّ

الذين تابوا الى الايمان بعد الكفر و تابوا الى الله بعد الرجوع عنه

و اصلحوا عقائد هم و اعمالهم فانّ الله غفور لذنوبهم وان كانت كبيرة

رحيم بعباده و ان لم يشبوا لرحمته .

قيل ان الآية نزلت فى اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي (ص)

قبل مبعثه و ينوهون به و بدينه ثم كفروا به بعد مبعثه حسدا و بغيا



التفسير ج ٢ لا يهدى الله المرتدين عن الهداية ٧٨  
و ذكر فى وجه نزولها غير ذلك .

و يقال فى خلاصة مفاد الآيه لم لا يهدى الله عباده الكافرين حتى  
يلازموا الايمان و لم لا يهدى تعالى الفسقة من عباده حتى يلازموا  
الطاعة فان فى ذلك لظفا بهم و اللطف على الله بالنسبة الى عباده  
واجب فأجاب القرآن بما مفاده ان الهداية الواجبة على الله من باب  
اللطف بعباده حصلت منذ اصل الخلقة من طريق الفطرة فانه ما من  
مولود يولد الا على الفطرة الداعية الى ملازمة الحق و مجانبه الباطل  
كما حصلت من طريق الأنبياء المرسلين و الأوصياء المنتجبين و العلماء  
الصالحين و الكتب المنزلة و سرد العبر و المواعظ فيها بكثرة .

لكن انحرافه انما يتأتى اذا تضاربت فيه الشهوات فتدعوه نزوات  
النفس حتى الى الخطأ الواضح و مع ذلك فباب هداية الله له بعد  
مفتوح بأقبال العبد على ربه و تنصله من ذنبه فان الله حينذاك يتوب  
عليه و يتقدم بالطفاه اليه اما اذا اصّر مدبرا عن ربه و لازم مواقع ذنبه  
و نسى كل شىء غير نفسه حتى ان الله لا يأتى له على بال ولا يطرق له  
على لسان فأى توقع من الله أن يهديه الا بالقسر و الألجاء و القسر  
و الألجاء يضادان التكليف و اختيار الانسان لنفسه ما يصلحها حتى  
يؤجر و يثاب .



\* ( ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا

لن تقبل توبتهم و اولئك هم الضالون ) \*

هذه الآية يرتبط مضمونها بمضمون ما سبق و معنى كفرهم بعد ايمانهم - كما اسلفنا - هو وقوفهم فى وجه نبي الاسلام و قوف مخاصم معاند بعد أن كانوا مبشرين بظهوره منوهين بدينه و اما زيادة كفرهم فهو تخذيلهم للناس عن الايمان به و تشويشهم الوضع و خلقهم — المشكلات امام دعوته و ليس وراء امثال هؤلاء ضالّ عن الجادة يشار اليه بل منتهى الضلال ما هم عليه و اما ان توبتهم لا تقبل فبشرط الموافاة على تلك الحال بدليل ان الآية السابقة صرّحت بقبول توبة الكافر بعد ايمانه اذا تاب من بعد ذلك و اصلح .

و ينطبق مضمون الآية على من كان فى طفولته ماشيا لفطرته فاذا بلغ اشدّه و انحسر بشهواته و انجرف معها تجاهل بفطرته و اخذ كلما يكبر يزداد معصية و طغيانا حتى يوافيه الموت وهو مجموعة ضلالات كثيرة فى التنوع مديدة فى الزمان مضافا الى ما يحصل فيه من اضلال و اغواء للباقيين بأقواله و افعاله كما هو مشاهد محسوس .



\* ( انّ الذين كفروا و ماتوا وهم كّفار فلن يقبل من احد هم ملء الارض ذهبا و لو اقتدى به اولئك لهم عذاب اليم و مالهم من ناصرين ) \*

لا شك ان الموافاة على الكفر لا علاج معها لان دار العمل تنقطع بموافاة الأجل و مسألة الأفتداء يملء الأرض ذهبا فرضية لأعلا و أغلا ما يمكن تقديره و الأفتداء به اذ ليس فى عالم الآخرة من هذا المذكور شىء قال بعض المفسرين يچاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا لكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك فلم تفعل .

\* ( لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبّون و ما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم ) \*

هذه الآيّة واحدة من عشرات الآيات الحاثثة للفرد الأنسانى المؤمن على الأنفاق فى سبيل الله حيث يقول سبحانه لن تنالوا برّ الله بكم و توجهه اليكم و عطفه عليكم حتى تنفقوا ممّا هو عزيز عليكم محبوب لديكم و ان كان ماتنفقونه من قليل و ذليل ثابتافى علم الله و لكنّ الصيد كل الصيد فى جوف الفرا و روى أن عليا اشترى ثوبا فأعجبه فتصدق به و ان ابا طلحة الأنصارى قسّم حائطا فى قومه عند نزول هذه الآيّة و كان احبّ امواله اليه فقال له رسول الله بخ بخ هذا مال رابح و اضاف ابو ذر رجلا فقال له انى مشغول و ان لى ابلافاخرج و ائتنى بخيرها فذهب الرجل و جاء بناقاة مهزولة فقال له ابو ذر خنتنى بهذه فقال و جدت خير الأبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو



ذران يوم حاجتى اليه ليوم اوضع فى حفرتى مع ان الله يقول لن تنالوا  
البر حتى تنفقوا مما تحبون .

وفى خلاصة ذلك ان العالم بأسره خلق على نظام خاص لا يتعداه  
لانه اذا خرج عن النظام انهار بلا ريب مثلاً هذه المجموعة الشمسية  
لولا حفظ التوازن فى ابعاد بعضها عن بعض لحصل تشويش عام فى  
الحياة يؤدى الى بطلانها و من جملة ذلك المجموعة البشرية فأنها اذا  
لم تمش على نظام تترايط فيه الأفراد كلها اصابها من الارتباك ما تعود  
الحياة معه و بالا كما ترى ذلك واضحاً فى حياة المتوحشين والتمدنين  
و من جملة النظم التى تسير بالأجتماع الحيوى سيراً صحيحاً التعاون  
على الحياة بين المقتدر و المعوز و القوى و الضعيف و هلم د و اليك  
فأذا لم يحبب الانسان اخاه النوعى كما يحب نفسه ولم يهتم بأمره كما  
يهتم بأمر نفسه عادت الحياة خطراً و هذا التلاعب فى الدنيا قد يمها  
و حد يثها نتيجة عدم اهتمام احد بأحد و ذلك مما يورث عقدا نفسية  
فى المظلوم و المهضوم و المحروم تراه لأجلها يتحيين الفرص لأيجاد  
انقلاب او ثورة و هذا المعنى هو الذى اشارت الآية الى طرف منه .



\* ( كلّ الطعام كان حلاً لبني اسرائيل الا ما حرم

اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل

فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين : فمن

افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك

هم الظالمون ) \*

الطعام هو ما يطعمه الإنسان اى ما من شأنه ان يكون مطعوما له بحسب ذوقه البشرى و يجد له طعما فى ذوقه مطلوباً له لا ما يمكن أن يؤكل وعلى هذا لا يتناول الطعام كل ما يمكن أن يأكله الإنسان بل انما يتناول ما هو مأكول عند النوع اختياراً بحسب السليقة البشرية .  
فالخبائث فى ذاتها ليست مطعومات و هكذا كل ما هو ناب عن الذائقة الفطرية بعنوانه طعاماً و الشرع ان حرم ذلك فهو ارشاد منه الى ما تدعو اليه الطبيعة البشرية بحسب فطرتها فعلى هذا كل مطعوم بالأصل حلال .

وعلى هذا الكلية جاء قوله تعالى كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل ومعنى الاستثناء فى قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه ان يعقوب بن اسحاق هو من نفسه حرم على نفسه بعض المطعومات لا ابتداء و اختراعاً و نسبة منه الى الله فان ذلك تزوير وافتراء لا يجوز على اقل المكلفين فضلاً عن الانبياء بل انما حرم ذلك على نفسه زهادة منه دون ان يد بين بحرمة عليه شرعاً و ذلك لا محذور فيه لان الانسان يجوز ان يزهد فى الحياة المادية حتى يربى نفسه على الفضيلة و يقف امام ضراوتها و غلمتها فان الضراوة و الغلظة تقودان الى مالا تحمد عقباه .



التفسير ج ٢ ما الذى حرّمه اسرائيل على نفسه ٨٣

و اختلف المفسرون فى الذى حرّمه اسرائيل على نفسه فقيل انه لحم الأبل و كان احبّ الطعام اليه و قيل غير ذلك ممّا هو قريب الأقم منه كمها ان مورد نزول الآيّة هو انكار اليهود تحليل النبى (ص) لحوم الأبل فقال (ص) لهم كل ذلك كان حلالا لأبراهيم فقال اليهود كل شىء نحرّمه فانه محرّم على نوح و ابراهيم و من بعدهما فأنكر الله عليهم ذلك و أبان ان لحم الأبل انما حرّمه اسرائيل على نفسه من نفسه لا بافتراض شرعى و تحريمه هذا سابق على نزول التوراة لا انه مستمد منها على ان التوراة فاقدة لهذا التحريم فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين و هذا من النبى (ص) تعجيز لليهود و معجزة له باعتبار انه أخبر عمّا فى التوراة وهو لم يرها و لم يدرسها ولم يسمع هذا المطلب ممّن سوى الله تعالى لان اليهود كانوا مطبقين على تحريم لحوم الأبل قولا و فعلا فمن اين جاءه علم ذلك .

ثم هدّد و ندّد سبحانه بكل من يزور عليه ما ليس بصاد رعنه واعتبره ظالما لنفسه و لعقيدته بالمبدأ : وقوله من بعد ذلك اى من بعد علمه واطلاعه انه ليس من الله و ينسبه اليه فهذا هو الذى يقال له مزور لا ما ينسبه الأتسان عن سماعه من غوغاء الناس فان ذلك ليس بتزوير اذا كان هو من جملة غوغائهم ايضا .



\* ( قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا و ما

كان من المشركين ) \*

الخطاب لنبي الاسلام في ان يقول لليهود لاشك ان الحق مع الله لا معكم حيث تنسبون لمانه تعالى حرم على نوح و ابراهيم و من بعدهما لحوم الأبل و انه ذكر ذلك فيما انزل من التوراة على موسى و ان هذا ابراهيم الذي هو معزز المكانة عندكم مقبول لديكم كما تدعون فاتبعوا ملته و دينه الذي جاء به و شرعه لأتمته و انما امرهم باتباع ملة ابراهيم مع ان ملة موسى جاءت بعده و قد يكون فيها ما هو ناسخ لبعض ما كان في ملة ابراهيم و المتشرع بملة موسى لا يجوز له شرعا ان يحمس عنها رغبة بالملة التي كانت قبلها - انما فعل ذلك - ليبين لهم خطأهم حتى مع ملة موسى التي يلتزمون بالتعبد بها مع انها ليست وظيفة لهم بالفعل بعد ما جاء عيسى عقب موسى و بعد ما جاء محمد (ص) عقب الجميع و انهم لم يعملوا حتى بالطريقة الموسوية .

فان طرائق الانبياء كما اسلفنا من حيث جوهر الشريعة و احسدة و انما تختلف في قوانين جزئية كانت فنسخت في الملة اللاحقة اولم تكن بالمرّة ثم حدثت و دين محمد كدين ابراهيم و موسى و عيسى من حيث اصل الجوهر و ان حدثت في الديانة الاسلامية طبقا لما أريد بها من مماشاة الأجيال كلها اشياء لم تكن آنفا او نسخ فيها بعض اشياء شرعت في وقتها لمصالح ادعت اليها

و ليس ابراهيم وحده من بين الأنبياء كان حنيفا مائلا عن الباطل منسجما مع الحق و لم يكن من المشركين بل كل انبياء الله كانوا كذلك و لكن الله ساق ذلك تنديدا و تعريضا بأهل الكتاب الذين ينسبون



لأنبيائهم نسبا يجلون عنها من شرك وباطل وانحراف غافلين عن ان ذلك لا ينسجم مع عنوان النبوة و ايا كان هو النبي .

\* ( ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا

و هدى للعالمين / : فيه آيات بينات مقام

ابراهيم و من دخله كان آمنا ولله على الناس

حج البيت من استطاع اليه سبيلا و من كفر فان

الله غنى عن العالمين ) \*

قيل ان اليك بالباء هو التزاحم فيقال تباك الناس اذا ازدحموا و سميت مكة بذلك لاذحام الناس فيها على بيت الله و بقية المشاعر فيها و حولها ، و أما مكة بالميم فقد قيل ان معناها هو ذلك و ان الميم ابدلت من الباء كما يقال ضربة لازب و ضربة لازم فتكون الكلمتان بمعنى واحد و قال قائل هفا اثنتان و ان الملك بالميم هو المصّ الشديد فيقال امتك الفصيل اذا مصّ الضرع مصا شديدا و على هذا ( تكون الكلمة الفارسية - مكيدن ) مأخوذة من هذه اللفظة ، و يكون معنى مكة حينئذ انها لخلوها من منابع الماء تمص الماء من بطونها مصا شديدا لتؤمن بلغتها و بلغة قاطنيها و المبارك هو الثابت خيره .

و مفاد الآية ان اول بيت وضع كمشعر و منسك للناس لهو البيت الذي عين و اسس بمكة حال كونه ثابت الخير بارادة من الله سبحانه و هاديا للعالمين الى مرضاة ربهم باقامة العبادة فيه وقد جعل الله فى هذا البيت علامات و اوضحات لدرج مرضاته و اجره و ثوابه و تلك العلام و المشاعر كمقام ابراهيم و حجر اسماعيل و الحطيم الذى هو بين الحجر الاسود و باب الكعبة و بئر زمزم فان لاقامة الشعائر فيها اثرا و اوضحا فى



الشرائع السماوية وقد ندب الاسلام الى ذلك و اجزل عليه من الفضل  
و الثواب .

و من دخل هذا البيت كان آمنا حتى يخرج منه فقد ورد في الفقه  
الاسلامى ان من يلتجأ اليه لا يجوز ازعاجه منه الا ان يكون مرتكب  
جريمة توجب حداً فيضيق عليه فى المطعم و المشرب حتى يخرج منه ثم  
يقام عليه حدّ الله خارجه و خارجه خارج الحرم لا البيت وحده .  
و قد اوجب الله سبحانه حجّ هذا البيت وقصده على كلّ مكلف  
و جوبا فورياً بشرط استطاعة الذهاب اليه و القيام بأعماله هو اعتبر الكافر  
بهذا الواجب بعيدا عن الله و أنّه فى جانب شاسع عنه و ان الله غنى  
عنه و عن غيره من المعرضين و أنّه انما اوجب هذه الواجبات و قرّر  
هذه الوظائف لصالح البشرية حتى تنال سعادتها و ليس لله فى  
ذلك غاية سوى ما أشعرنا به .



التفسير ج ٢ توبيخ الله لأهل الكتاب على جملة من الانحرافات ٨٧

\* ( قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله و الله

شاهد على ما تعملون : قل يا أهل الكتاب

لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها

عوجا و انتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ) \*

الخطاب لنبي الاسلام ليقول لليهود و النصارى - وانما لـ

يخاطبهم الله سبحانه مباشرة هنا اشعارا باستنقاصهم وانهم ليسوا

اهلا لأن يكونوا طرف خطاب له الا بواسطة -

كما انه تعالى لم يكلف نبيه ان يقول لهم مناد يا بسماهم الخاصة

وهي اليهودية و النصرانية بل كلفه ان يناديهم منسوبين للكتاب

اشعارا بزيادة تضليلهم و تجهيلهم بأنهم مع ادعائهم النسبة الى

كتب السماء الآمرة بالايمان الناهية عن الكفر المرشدة الى الفضيلة

المبعدة عن الرذيلة كانوا ابعد ما يكونون عنها .

قل لهم يا نبي الاسلام ان كنتم آمنتم بموسى و بالتوراة للآيات

البيانات التي اقامها الله تدليلا على صدق من جاء بها فلم تكفرون

بنظير تلك الآيات التي جاء بها نبي الاسلام فأنها آيات تدل من

نفسها على نفسها انها من رب السماء اقامها تأييدا و تشييدا لنبوّة

محمد بن عبد الله .

فهذا الاستفهام استنكار من الله و توبيخ لليهود و النصارى : وقوله

و الله شهيد على ما تعملون تهديد لهم بأن ما يصدر منهم ويكون عنهم

منظور لله مشهود له و قل يا نبي الاسلام لهم ايضا ان كان التعنت

عن قبول الاسلام حملكم على التجافى عنه و عدم الايمان به فلم تقفون

حجر عثرة و سدّا امام من يريد الايمان به ثم يترقى بكم التمرد الى ان



التفسير ج ٢ نهى الله المؤمنين أن يطيعوا اهل الكتاب ٨٨

تحوكوا للمؤمنين به شبهة تحاولون من طريقها صرفهم عما آمنوا هذا كله و انتم فى واقعكم شهداء على اغمالكم الخبيثة و منوياتكم الفاسدة و انفسكم المتنزّية على الحق و الحقيقة .

و لا تحسبوا ان ما تأتون به من وراء شتار غائب عن الله غير ملحوظ له فان الله ليس بغافل عما تعملون .

\* ( يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من

الذين اوتوا الكتاب يردّوكم بعد ايمانكم

كافرين : و كيف تكفرون و انتم تتلى عليكم آيات

الله و فيكم رسوله و من يعتصم بالله فقد هدى

الى صراط مستقيم ) \*

الخطاب فى هذه الآية للمسلمين جىء به ايقاظا لهم و تحذيرا من دسائس اليهود الذين لم يألوا جهدا فى التهريج على نبيّ الاسلام و تشويش الوضع عليه من كافة جنبااته ، و مفاد الآية انكم مع فرض انجرافكم - لاسمح الله - مع مكائد اهل الكتاب تكونون من اتعس الخاسرين باعطائكم الايمان المنقود من ايديكم و تلبسكم بالكفر المزور عليكم .

ثم اظهر سبحانه الأستبعاد من انحرافهم مشيا على الطريقة الكلامية لا لعدم علم له بذلك بأنهم كيف يكفرون و من اى طريق يؤخذون و آيات الله المعجزة الدالة على صدق الدعوة الاسلامية تتواتر عليهم فى الآنات و رسول الدعوة قائم حتى بين، ظهرانينهم يظهر لهم اروع الكمالات و افضلها و يقيم لهم حجة و يدفع عنهم شبهة، ثم اعطاهم كلية ذات اهمية و هى ان الأعتصام بالله و التوثق به و التمسك



التفسير ج ٢ نهى الله المؤمنين أن يطيعوا اهل الكتاب  
بألطافه مما ينير لهم الطريق المظلم ويرفع عنهم وحشة الشكوك ويسير  
بهم فى اقنوم طريق .

وهذه الآية بملاكها العام تعطى مفاداً عاماً وقيل نزلت فى  
الأوس والخزرج خاصة لما تدخل اليهود بينهم بالفتنة واخذوا  
يشيرون لهم دفائن السوابق من الحروب التى كانت تشن بينهم على  
حساب الجهل والتعصب المقيت ولا شك ان اثاره الفتن تلوى بالأنسان  
الى ورائه بعد ما كان متوجها الى امامه مستقبلاً لأشياء أخرى هى هنا  
التوجه لتعاليم الاسلام والتخلق بأخلاقه .

وتنطبق هذه الآية بملاكها على الجوامع البشرية فى هذا العصر  
الذى عاش اهله قبل طغيان هذا التمدن الكاذب مؤمنين بما رسمته  
لهم الأديان الصادقة وثقوه من اهل الفضيلة المعاصرين لكن صياح  
الجهلة وتهريجهم عليهم مما خف بهم الى الالتحاق بحزبهم والتنصل  
والتزوع عما كانوا عليه بلا علم افادوه ضد ما كانوا عليه من مبدأ ولا ثقافة  
صحيحة الزمتهم بلحوق مواكب الزمن بل كانت القضايا معهم على  
العكس فان ما طرأ عليهم من تغلّت وانخلاع عن النظام والمقررات  
الصحيحة واخلاقهم الى اللأابالية الصرفة فى كل الأشياء اوضح لهم  
بدقة قوة ما كانوا عليه لأن الأضداد تظهر اضدادها .

فالمؤمن فى عالم اليوم معه كل الدلائل التى تؤيد ايمانه الصحيح على  
رغم انتشار هذه الكمالات المادية فى الحياة لكن بشرط ان يوجه ذهنه  
الى المحاكمة بين المنطق الذى كان عليه ومنطق هؤلاء الجدد فان  
هؤلاء الجدد ضمن تحبيبهم له ما هم عليه من انفلات وانخلاع يقولون  
له عشم على العقيدة زمانا بلا اسالة ماء ولا اناة كهرباء ولا مذياع ولا  
حاكى ولا مبردة ولا مدفئة ويكثرون عليه تعداد ما انتجته الحضارة



التفسير ج ٢ نهى الله المؤمنين أن يطيعوا اهل الكتاب ٩٠  
الفعلية اذا فالعقيدة لم تفدكم شيئاً .

و نحن لما طلقناها بتاتا و نزعنا رقابنا منها تماما يسرنا لأنفسنا  
الحياة المرفهة كما نهوى و كما ترون ، فالمؤمنون اذا وجهوا اذهانهم  
للمحاكمة كما اشرنا علموا ان ما قاله هؤلاء سفسة مفتوحة ان لا ربط لما  
ذكروه بعالم العقيدة فان العقائد تعاليم قررت لتنظيم حياة البشر و  
كيفية استفادتهم منها احسن الاستفادة من حيث الراحة و الطمأنينة  
ولا صلة لذلك بعالم الاختراعات ، و الاختراعات انما لم تكن فى سابقها  
لاعراض الناس عن التوجه اليها و الفكر فيها ، و الجدد انعموا كل  
بالمهم فى هذا المجال فأفادوا كماليات يسرت لهم العيش ماديا . وان  
اركستهم فى بلايا اخلاقية لا منزع عنها الا بمراعاة تعاليم العقيدة  
الصحيحة كما هو واضح مكشوف ، ولو ان اهل الاختراع ادبوا انفسهم  
بأدب الدين الصحيح لكانت دنياهم من اروع ما يمكن تصويره فى الحياة  
للانسان .



\* ( يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا

تموتن الا و انتم مسلمون : واعتصموا بحبل الله

جميعا ولا تفرقوا و اذكروا نعمة الله عليكم اذ

كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

اخوانا و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم

منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ) \*

صيغة تقاة تأتي جمعا لتقى فيقال هم تقاة ومصدرا كالاتقاء والتقوى  
و المراد بها هنا هو المعنى الثانى ( المصدرى ) بمفاد خافوا الله  
فى جميع مجاريكم الحيوية و راقبوا ما توعد به المنحرف عن نظامه و ما قرره  
من دين .

و حقّ التقوى هو مراعاتها على كل حال ، و لا داعى لأن يقال ان  
هذا المفاد ينافى التقية و يناقضها لان مراعاة تقوى الله على كل حال  
نقيض صريح للتقية التى هى تغطية للتكليف و ستر له - ذلك - لأن  
الزام التكليف الأولية يرتفع فى موارد الاضطرار و التقية من موارد و مع  
ارتفاع التكليف الأولى يكون التكليف بالحكم الثانوى .

و النهى فى قوله ولا تموتن الا و انتم مسلمون وان ورد فى ظاهر  
التكليف على الموت الذى هو خارج عن قدرتهم لكنه فى المعنى و ارد  
على الانحراف عن الدين و مفاد لزوم مراقبتهم لانفسهم من غوائل  
الشبه و التشكيكات حتى لا تذهب اعمالهم السابقة على وفق الدين  
هدرا عليهم بالموافاة على الكفر به - نعوذ بالله - و ذلك هو الأعباط .  
و الاعتصام هو قوة التمسك و حبل الله هو الأمر الرابط بينه و بين  
مخلوقه و ذلك هو الدين فالمتدين بدين الله متمسك بحبله موصول



برحمته قريب من لطفه و المنفصل عنه بعيد منهم محجوب عن توجهاته .  
 و انما نهى سبحانه عن التفرق لأن افتراق واحد عن واحد لا يكون  
 الا عن دواعى تنشمر بالأفراد بعضا عن بعض و هذه الدواعى مما تقود  
 الى العداة خفيفا كان ام شديدا .

و العدو وان كان بظاهر الحال متباعدا عن عدوه الا انه فى  
 الواقع مشغول به لآن حرص النفس فى الجاهل يدعوه الى ملاحظة  
 ما حرص عليه و الألتفاف حوله و هذا المعنى يوجب انصرافه عن تحررى  
 ما يوجب له السعادة كما يتحرراه المجرد عن حزازات العداوات .  
 و من هنا يستبين ان نسيان العداة و تذويبه من النفس نعمة  
 كبيرة تدعو الى ائتلاف القلوب و الأخوة و حد الأقل حصول راحة  
 القلب له .

و شفا الشىء طرفه و جرفه ولا شك ان المتعاد بين الذاكرين  
 لعدائهما على شفير جهنم الدنيا بالانفجار الذى يترقبه الواحد من  
 الآخر و على شفير جهنم الآخرة ايضا فان ادخال الضرر على العدو  
 لأجل العداوة فقط ضلال لا يرضى به الله و المعصية تقود الى النار .  
 و انقاذهم منها ابطال دواعى العداوة القائمة بين طوائف سگان  
 الجزيرة قبل الاسلام بورودهم فى الاسلام الجامع الوحيد لهم على كلمة  
 سواء بينهم ، كذلك اى كالبیان السالف يبين الله لكم دلائله على لزوم  
 التحاب و التصادق و الابتعاد عن العداة و التباض لعلمكم تهتدون  
 بهديه و تستنبرون بنور تعاليمه .

قيل فى مورد نزول الآية ان رجلين من الأوس و الخزرج تفاخرا  
 جريا على ما كان معهودا عندهم من التباهى الجار الى المشادة  
 و المعارضة و بالأخير الى الحرب و الضرب فقال الأوسى منا خزيمة بن



التفسير ج ٢ لا يجوز للانسان ان يكتفى بظواهر الطبيعة ٩٣

ثابت ذو الشهادتين وحنظلة غسيل الملائكة وعاصم بن ثابت وسعد ابن معاذ وقال الخزرجي منا ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وسعد بن عباد ودار الحديث بينهما حول ذلك حتى ابعدهم الفجوة عليهما فغضبا وناديا بقبائلهما فجاء الأوس والخزرج ومعهما السلاح فبلغ ذلك رسول الله فركب وأتاهم وقرأ عليهم هذه الآيات التي نزلت بهذه المناسبة فاصطلحوا .

وفي خلاصة الآية يقال انها وان نادى بالذين آمنوا عن اختيار منهم لكنّها في لبّ الواقع تشعر بلزوم الإنسان للغيب والايان به - ذلك - لأن الانسان بالنسبة الى مجارى هذا الكون كلما ازداد تعمقا فيها ازداد جهلا بها ومن المستحيل ان يقف الإنسان من طريق العلوم على هوية كلّما حصل وما هو حاصل لأن في ذلك من الرموز والطلاسم الشيء الكثير ولا يستطيع الطب ولا غيره ان يعلّل بروز الأمراض وطول الأعمار وقصرها مثلا ابناء محيط واحد بل ابناء اسرة واحدة تعيش عيشة شبه متشاكله او متساوية و نرى فيها من التفاوت في الصحة و المرض وقصر الاعمار وطولها ما يثير العجب وليس باستطاعة اهمّ طبيب اختصاصي ان يبين السرّ في ذلك بل يقف امامه واجما سببا وعلاجا فهذا وامثاله ممّا يدع الانسان متحيرا غير واثق بالطبيعة ولا بمجاريها ولا شك ان كل ذلك ممّا له اسباب ولا يكون جزافا .

ومع كل التمرد على الغيب فلا اقلّ من احتمالها واذا كان الأمر كذلك فلا بد من الاحتياط بمتابعة خطى الشرع حتى يحرز الإنسان نفسه ولا يستطيع ان يحرزها الا بالدين وان كان في تحمّله ثقل على العاطفة فان الانسان يتحمل لدفع الأذى عن نفسه كل مشقة حتى انه ليحمل الاحمال الثقيلة على رأسه او ظهره لأعاشة نفسه بالقوت المنزور



فكيف بموجبات السعادة الآبدية و الشقاء الأبدى .

\* ( و لتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر و اولئك هم

المفلحون : و لا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا

من بعد ما جاءهم البينات و اولئك لهم عذاب

عظيم ) \*

كاف الخطاب فى قوله منكم للمؤمنين لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يكونان إلا فى اطار الايمان و التوجه اليه لان غير المؤمن لا يعرف من ذلك شيئاً و لا يشعر به و لا يعيره نظراً لان شمارته و غفلته و اعراضه عن المحاسن و مثل هذا حكمه حكم الميت .

و كلمة من فى — منكم — للتبويض اذ غير معقول ان الأمة بأسرها تكون أمرة بالمعروف و ناهية عن المنكر لان الامر والنهى المذمورين يتوقفان على معرفة المعروف و المنكر فى انفسهما و هذه المعرفة علم جليل و من المستحيل عادة ان يكون الناس بأسرهم علماء من هذا الطراز و حتى بهذا المقدار بل الأكثرون يجهلون مواقع اقدامهم فهم ليسوا من هذه الصلاحية فى شىء و المعروف هو كل ما حسنه العقل او الشرع و المنكر هو كل ما قبحه العقل او الشرع و وجوب الأمر و النهى المذكورين المستفاد من لام الأمر عقلياً شرعياً لأن نظام البشرية لا يستقيم بدون الموعظة و النصيحة تكونان عن العالمين العاملين .

فمقام الوعظ و الأرشاد من اهلهم مقام نبوة و امامة و من هنا جاء فى الأثر عن النبى (ص) انه قال من امر بالمعروف و نهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه و خليفة رسول الله و خليفة كتابه ، و لا شك ان



ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يولد بأسا وقنوطا واشاعة للفحشاء و تسلطا للظلمة و انحطاطا بمقام المتقين وامانة للدين و المتدينين كما هو جاهر مكشوف .

كما لا شك ان الفلاح في النشاطين منوط بذلك ، وكما أمر سبحانه المؤمنين ان يولدوا من بينهم وعظة و مرشدين نهاهم عن التخاذل و التفرق و انتباز بعض عن بعض بأى داع كان فان دواعى التفرق كللها مرموزة باطلة بعيدة عن الحق ومهما بسط لها من شروح اقناعية ولا فرق فى موجب التفرق بين ان يكون ناشئا عن الأختلاف فى المباني العلمية او لترهات الدنيا .

و اكثر انشعاب الفرق الاسلامية قائم على الاختلاف فى المسائل العلمية فى حال ان الأختلاف فى الاراء و الأفكار لا يسيغ شرعا وعقلا التباض و التحايد و الأنحياز وأقام سبحانه لنا العبرة فى هذا الموضوع بتفرق اهل الكتاب و انشعابهم من بعد ما جائتهم البينات السمعية من لدن الربّ ولا اختلاف فيما جاء عن الربّ و انما الاختلاف مخلوق للانتهاز حيث يريد المنتهز أن يعيش على اكتاف الناس من تحييزه برأيه فى الدين و العقيدة و المشرب العلمى وقد حكم الله على امثال هؤلاء بأنّ لهم عنده عذابا عظيما يفدون عليه جزاء ما شتتوا عباداه و وزعوهم فرقا و طوائف .

و فى خلاصة مفاد الآية يقال ان المجموعة المتصادمة آمنة من داخلها فارغة لمقارعة غيرها ففيها أمل/الانتصار على كل حادث اما المجموعة المتحللة فلما كانت قواها مصروفة فى داخلها ففيها فضلا عن الأنهيال الداخلى استعداد للمغلوبية امام اقلّ الحوادث فان الحادثة كما لا تجد جمعا بل ترى اوزاعا لا تجد فى هؤلاء الأوزاع قنوة



لتذوّبها في المناورات الداخلية .

و اهل الكتاب الذين أشير اليهم في الآية انهم تفرقوا واختلفوا لم ينتصروا في يومهم هذا من طريق دينهم وانما انتصروا لنبذهم ففروا د ينهم وراء ظهرهم وتوجهوا نحو مصالح دينهم توجهوا واحدا بلافق بين اليهود و النصارى اما المسلمون فانهم نبذوا دينهم وراء اظهرهم ولم يتوجهوا لهدف يجتمعون عليه حتى يرقّهم لذلك انهاروا انهيارا تاما كما هو محسوس .

ثم ليعلم ان الدعاية من الأسلحة المهمة التي تؤثر مفعولها حتى في قلوب الشياطين لأنها متكأة على الأصرار بشعوزة و الأصرار لايعدم اثره قطعا وهي من الموارد التي يستغلها حتى الحاكم المستبد لأنها تقوم له مقام الجيوش الجرارة وهي في الزمان الحديث اكثر جريانا منها في القديم لأن الوسيلة التبليغية في القديم كانت منحصرة باللسان غير المسلح و بالقلم المحدود .

اما اليوم فوسائل الدعاية عظيمة و منتشرة و يستطيع الداعية ان يعلم العالم كله بكلمة يلقيها من وراء مذيع : و الدعاية تنقسم من حيث الحكم الشرعي بانقسام متعلقها فان كان واجبا كانت واجبة و ان كان حراما كانت حراما و لقد استفاد العصر الحديث من الدعاية لأجل ترويج الضلال اهمّ الاستفادات و اعظمها و من نتائجه انحراف كافة المنسويين للديانات عن دياناتهم الا من عصم الله و من هنا كان الامر بالمعروف و النهي عن المنكر في هذه الأزمان واجبا . محتما لامحيص عنه و ان كان في القديم كذلك الا انه في هذه الادوار يلزم ان يكون اقوى و اشد .



يوم تبيضّ وجوه و تسودّ وجوه

\* ( يوم تبيضّ وجوه و تسودّ وجوه فأما الذين اسودت

وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما

كنتم تكفرون : واما الذين ابيضت وجوههم ففى

رحمة الله هم فيها خالدون ) \*

كلمة يوم هنا ظرف لما سبق فى قوله واولئك لهم عذاب عظيم يعنى ان ظرف هذا العذاب يكون فى يوم تبيضّ فيه وجوه و تسودّ وجوه و كل فرح مسرور يسفر لونه و ينبسط وجهه و تحلوا ساريره و كل حزين كئيب ينقبض وجهه و يكدر لونه و تتعجر اساريره و لاشك ان يوم القيامة هو يوم ملاقاتة الأفراح الواقعية و الأتراح الحقيقية .

فأما الذين تكدر وجوههم و تنقبض فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم سواء كان هو الأيمان القائم بفطرة كل انسان و ان عاش طول عمره كافرا او هو الارتداد عنه بعد التلبس به زمانا و لاشك ان المترصد من الانسان هو ترقيه من الجهل الى الفضل لا تسفله من الكمال الى الضلال فمن هنا يسخر من هذا الضال و يقال له ذق العذاب فأَنَّ الذائقة انما اعدت لتواجه ما هو حلو الطعم لذينه لا مره و كريبه .

و اما الذين تبيضّ وجوههم و تسفر للأيدى البيضاء التى أسلفوها لأنفسهم فهؤلاء غارقون فى رحمة الله مكثفون بها من عامّة جوانبهم و كلمة فيها تأكيد لقوله ففى رحمة الله فانّ الحروف ادا اكدت أعيدت هى و متعلقها و ذيل هذه الآية من شواهد هذا الباب .



\* ( تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد

ظلما للعالمين : والله مافى السموات ومافى

الأرض والى الله ترجع الأمور ) \*

تلك اشارة الى ماسبق ذكره من الدلائل والحجج التى اقامها ربّ العزة فى تنفيذ الكفرة والتنديد بالمنحرفين وتشديد المؤمنين نتلوها عليك يا نبيّ الإسلام بالاصاله وعلى المؤمنين بك بالتبع تلاوة حكمة و صواب لتتجه بها وتعرف النقض والأبرام وتطرد عن ساحتك شبهه المشككين وضلالات المغويين ولتقف انت وكافة المكلفين على مايراد منكم من انجاز تكليف و امتثال وظيفة حتى تكونوا عالمين بما يوجب لكم الثواب ويدفع عنكم العقاب فهذا التعريف والأرشاد كله ارصاد لما تستحقونه غدا من ثواب على عمل خير وعقاب على فعل شر وحتى لا تسبوا الله سبحانه بأنه ظلمكم حقوقكم او عاقبكم وانتم جاهلون بمورد العقوبة وحاشا لله من الظلم فان الظالم أما جاهل بموارد عمله واما طامع وكلا صفتى الجهل والطمع بعيدتان عن قدسه لان العلم بكل شىء حقيقة ذاته واستغنائه عن كل شىء وافتقار كل شىء اليه من اصول صفاته ولذلك صحّت مالكيته لجميع مافى السموات والأرض لأنّه مبدؤها الأول وعلّة كافة العلل فمنه كافة الاشياء واليه تنتهى وترجع عامّة الأمور .



\* ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف  
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن  
اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون  
واكثرهم الفاسقون ) \*

فى معنى كان هنا وجوه ( احدها ) دلالتها على الزمان  
الماضى بمقتضى صيغتها بمعنى انكم كنتم فى علم الله خير أمة ( ثانيها )  
دلالتها على التمام بمعنى الوجود و الحصول اى وجدتم فيما بين  
الأمم خير أمة ( ثالثها ) زيادتها و انما جىء بها للتأكيد بمعنى انتم  
خير أمة .

و تاء الخطاب فى كنتم ليست للمسلمين قاطبة بقهر الطبيعة لأنهم  
لم يكونوا بالأسر أمريين بالمعروف و ناهين عن المنكر لعدم تأتى ذلك  
من كل مسلم كما اسلفنا فأن الآمرية بالمعروف و الرادعية عن المنكر لا  
تأتیان من كل احد لاحتياجهما الى علم و ثقافة و دين متين سميّن و  
هذه الصفات ليست ممّا تتسنى لكل مسلم اذا فالخطاب مصروف الى  
خيار المسلمين و ابرارهم و كانوا كثيرين فى صدر الاسلام خلافا لسائر  
الأدوار الإسلامية .

فان الروح الانقلابية بالحق و بنفع الحق المتربعة فى احناء  
الصحابة الأخيار هى التى شعشت الاسلام بعد النبى طيلة ثلاثين  
سنة على كافة الموهنات التى احتفت بها بعد موت نبى الاسلام ثم لما  
مات الامثال قتلا و حتف انف فى هذه الفواصل و حكم الناس من لا  
يعرف للأسلام حرمة كما لم يذق منه طعما اخذ الاسلام يتدّب حتى  
اسودّت اكثر القلوب و الوجوه الصادق عليها قوله تعالى و تسود وجوه



فأما الذين أسودت وجوههم أفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون كما صدق على أولئك الأفاضل المناضلون قوله يوم تبيض وجوه و أما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون فأما بياض وجوههم فانتصارهم و نيلهم للعزة و الكرامة و أما انغماسهم في رحمة الله فلا نعدام كل شنشنة في داخلهم بخلاف تلك الأدار السود التي انقسم أهلها على انفسهم فذابوا من الوجود على كثرتهم و ذاقوا الأمرين من داخلهم و خارجهم .

و لو آمن أهل الكتاب بنبيّ الأسلام كما نعتته كتبهم و انبياءهم لكان خيراً في دنياهم بمسيرهم على الجادة القويمة و النظام الأتم و في آخرهم ايضاً لقيامهم بوظيفة الربّ التي حولها على عاتق كافة المكلفين و من أهل الكتاب من آمن و لكن الأكثرين فسقوا عن دين الله و لم يصيبوا الهدف الذي اريد منهم في عالم العقيدة .



\* ( لن يضرّوكم الآ اذى وان يقاتلوكم يولّوكم الأدبار  
 ثم لا ينصرون : ضربت عليهم الذلة اين ماثقفوا  
 الآ بحبل من الله و حبل من الناس و باؤا  
 بغضب من الله و ضربت عليهم المسكنه ذلك  
 بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون الأنبياء  
 بغير حقّ ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون ) \*

يرجع ضمير الغيبة فى قوله - لن يضرّوكم - لأهل الكتاب و ضمير  
 الخطاب للمسلمين بمعنى انهم ليس بمقدورهم ايراد الضرر عليكم الا  
 بنحو لا قيمة له ولا اهمية وهو السبّ و الطعن و التهريج غير المؤثر وان  
 يصفوا لكم فى ميدان لا يثبتوا لأنهم لا ايمان لهم حتى بعقائد هم  
 و لأنكم مؤمنون بعقيدتكم اشدّ ايمان و اتمه  
 و قد انعكس الأمر باليهود و المسلمين فى هذه العهود التى  
 اعطى المسلم فيها عقيدته من يده و عاد كافرا بمبدئه بعد ايمان  
 اسلافه به و لذلك انخذل امام كل من بارزه و انكسر فى قبال كل من  
 اراده بسوء .

ثم لا ينصرون اى انهم ليسوا من اولئك الأحرار الذين قد يفرون  
 فى حرب و لكنهم يكرّون الرجعة فيمحون اثر الفرّه، ضربت على اليهود  
 من ايدى المؤمنين الذلة اينما وجدوا و كانوا و على كل حال الآ اذا  
 عقدوا ذماما بينهم و بين المؤمنين وهو المراد بقوله الآ بحبل من الله  
 و حبل من الناس و رجعوا بعد تلويهم على اوامر الله مغضوبا عليهم  
 من الله و احاطت بهم المسكنة احاطة القبة بساكنها حصل لهم كل ذلك  
 بسبب انهم كانوا حتى أزمان انبيائهم يكفرون بآيات الله بمعنى انهم



تكن تؤثر فيهم اثرا عملياً بل كانت اعمالهم على نقيضها و كانوا يقتلون انبياء الله لشدة خبثهم وظلمة بواطنهم و تنعمهم على الحق و الحقيقة و بسبب عصيانهم لأوامر ربهم و اعتدائهم على حقوق غيرهم و تجاوزهم عن النظام المقرر لهم .

\* ( ليسوا سواً من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون

آيات الله آناً الليل وهم يسجدون : يؤمنون

بالله و اليوم الآخر و يأمرن بالمعروف و ينهون

عن المنكر و يسارعون فى الخيرات و اولئك من

الصالحين ) \*

تقدم آنفاً قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون و اكثرهم الفاسقون فرأى جملة من المفسرون إعادة ضمير ليسوا الى افراد هذين الفريقين بمعنى ان المؤمنين و الفاسقين منهم ليسوا سواً عند الله وهو واضح .

و عليه يكون قوله من اهل الكتاب أمة ابتداءً كلام و استئناف و لكن يلوح عليه اثر الأقتضاب و التفكك و يجوز ان يكون واو الجمع فى ليسوا علامة جمع فقط و أمة اسم ليس و ساء خبرها و معادل الأمة القائمة محذوف لوضوحه بهذا التقدير ليس أمة قائمة و أمة متعاضة منحة من اهل الكتاب سواً و المراد بقائمة هنا النشيطة لتلاوة آيات الله فى اطراف الليل البعيد عن التدليس الواجد لفرغ البال المكتنف بالأخلاص الخاضعة لله بسجودها له سواً كان سجودها ضمن الصلاة ام خارجها المؤمنة بالله ايماناً صادقاً لا كأيمان المشركين المجسمين له الناسبين كل رذيلة و منقصة الى مقام قدسه المنزه و بالمعاد عليه



لحساب على الصغيرة والكبيرة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر  
المسارعة في الخيرات التي يندبها اليها وهذا الفريق بالصفات  
المذكورة هو الصالح الفالح .

أما السافل المنحط الذي يقضى اوقاته في شهواته البعيد عن آيات الله  
وتلاوتها غير الخاضع لله ولا المؤمن به ايمانا نزيها ولا بالمعاد عليه  
والوقوف بين يديه ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لانه غارق في  
المنكرات البطية عن الخيرات فذلك هو البعيد عن الجادة القائمة  
والطريقة الهادية الهالك بلا شبهة .

\* ( و ما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم

بالمنتقين ) \*

اسلفنا ان الكفر هو الجحد وهذه الآية جاءت كمؤكّد للآية السابقة  
بأن فاعل الخير لا يجده مجحودا عليه من ناحية الله سبحانه وان تغافل  
كثير من الناس عن احسان من يحسن اليهم وانما خصّ علمه هنا  
بالمنتقين مع انه عالم بما يفعله الصالح والطالح لان سياق الكلام مع  
المتقى فخصّ ذكره لان السياق معه .



\* ( انّ الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون : مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ اصاب حرت قوم ظلموا انفسهم فأهلكته و ما ظلمهم الله و لكن انفسهم يظلمون ) \*

و كما أبان الله اوصاف المؤمن و جزائه فى الآيه السابقة أبان الآن اوصاف قبيله و ما يستحق من جزاء فقال ان الذين كفروا بالله وانكروا وجوده او اعترفوا به اعترافا لا يليق بقده من تجسيمه و اتخاذ الشركاء له و وصفه بنسب يجلّ عنها قدس صانع العالم مبدأ كل المبادء لا تدفع مؤاخذه الله عنهم اموالهم و ان كان المال من اهمّ وسائل دفع المكروه و طرد الشرّ ولا اولادهم و ان استحكمت بناهم و تعددت افرادهم - ذلك - لان كفاح القدرة الهائلة غير متيسر بهذه الوسائل و هو<sup>٤</sup> لا محكوم عليهم بنار جهنم و الخلود فيها .

ثم اوضح سبحانه ان كل اعمال البر اذا لم تكن عن رصيد ايمان فلا قيمة لها اصلا و ضرب لذلك مثلا فقال مثل ما ينفق هو<sup>٤</sup> فى هذه الحياة لأجل استجلاب و تأمين حاجة فرد او مجتمع كمثل ريح فيها برد شديد او سموم قاتل تعصف بحرث قوم قد زها بخضرته و نباته فتهلكه اما ببردها الشديد او بحرّها الماحق انتقاما من اهلها الظالمين لأنفسهم و نكالا بهم و تاديبا لهم ولم يظلمهم الله بأهلاك حرثهم ولا يقطع عمل اولئك من الثواب و لكن انفسهم يظلمون بكفر الأولين بالله المنعم عليهم بكل شىء و من جعلته المال الذى انفقوه و ظلم الآخريين



التفسير ج ٢ الصداقة يجب ان تكون مع اهل الصدق ١٠٥

لأنفسهم التي هي ودائع عندهم يلزمهم احترامها بتسييرها فيما يجلب لها الخير ويدفع عنها الشرف فلم يحسنوا حفظ الأمانة بل اضاعوها  
شراعاة .

\* ( يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم

لا يألونكم خبالا و دوا ما عنتم قد بدت البغضاء

من افواههم و ماتخفى صدورهم اكبر قد بينا

لكم الآيات ان كنتم تعقلون ) \*

البطانة الوجه الداخلي للقباء و الظهارة وجهه الظاهري والخبال  
فساد الشيء وحصول الخلل فيه و العنت المشقة و البغضاء العداوة :  
في هذه الآية حذر الله المؤمنين من مصادقة غيرهم من اهل الملل  
و النحل و اتخاذهم خاصة لهم و مداخلتهم ايهم في بواطن الأمور  
موضحا لهم ان هؤلاء في واقعهم اعداء الداء لا يحبسون وسعا في  
حطكم و ايراد الأضرار بكم و عليكم و يرغبون في مشقتكم و تعبيكم و وقوعكم  
في المكارة و من شديد ما يضررون لكم من عداوة لا يستطيعون ان يملكوا  
اعضائهم في كبت بغضائهم بل بين حين و آخر تظهر من افواههم  
و على طيات السنتهم كلمات العداة و المشادة و الذي تكنه صدورهم  
ابلغ واهم مما يلوح لكم من افواههم و هذا المعنى الذي حذر الله منه  
وراء المجاملة و حفظ الظاهر فان اتخاذ الانسان بطانة معناه اتخاذ اقرب  
كل شيء منه كقرب البطانة من بدن اللابس و ليست كذلك المجاملة  
فأنها ظاهر مصنوع تطلّى به ظواهر المجتمع حذرا من التأزم فيه :

و معنى من دونكم من غيركم اي كلّ انسان غير مسلم لا يجوز لكم ان

تخالطوه مخالطة الصديق الحميم و المحب الصميم لان من لا يكون على



دينك لا يكون مصافيا لك بحسب العادة الجارية بين عموم الناس .  
 لا يألونكم خيالا معناه لا يقصرون في افسادكم و ادخال المضار عليكم  
 ،ودوا ماغنتم : معناه يحبون من صميم قلوبهم و قوعكم في المشباق و  
 والمكاره : قد بينا لكم الآيات يعنى الدلائل الواضحة على كشف هذا  
 المطلب و شرحه .

\* ( ها انتم اولاء تحبونهم و لا يحبونكم و تؤمنون  
 بالكتاب كله و اذا لقوكم قالوا آمنا و اذا خلوا  
 عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم  
 ان الله عليم بذات الصدور ) \*

ها للتنبية يؤتى بها جلبا لتوجه الطرف واولاء اسم اشارة للجمع  
 و العَضُّ هو تقريب الأسنان بعضا من بعض على ما يتوسط بينها و  
 الانامل اطراف الأصابع و هذه الآية شارحة اتم شرح لسابقتها ومبرهنة  
 على مضمونها بأنكم يا هوءلاء المؤمنون لصفاء بواطنكم تحبون اولاء  
 الخارجين عن دينكم اما لسابقة صداقة او جوار او حلف او قرابة و لا  
 تعتنون بمخالفة المذهب و الطريقة مادتم ترون انفسكم غير متأثرة بما  
 يقولون لكن هوءلاء المحبوبين لا يبادلونكم الصفاء و المودة و الأخلاص  
 بل هم في قرارة قلوبهم يبغضونكم و فارق آخر بينكم وبينهم انكم كما  
 تؤمنون بنبي الاسلام و ما جاء به من كتاب تؤمنون بكل نبي سبقه و كل  
 كتاب انزل قبله و هم لا يؤمنون بنبيكم و لا بكتابه و فارق ثالث ان هوءلاء  
 منافقون فاذا لقوكم قالوا لكم نحن مثلكم مؤمنون بدین الاسلام و اذا خلوا  
 لأنفسهم وصفا الجور لهم اظهروا التحرق عليكم غيظا من تقدمكم في دينكم  
 و تأخرهم و توالى الانتصارات لكم دونهم ثم توجه سبحانه الى نبي



الاسلام وأمره ان يقول لهم مستهينا بهم موتوا بغیظكم حسداً وكمداً  
 مادام المؤمنون جادّين فی ايمانهم ناصرین لدینهم ، ان الله علیم بذات  
 صدوركم انتم و بذات صدور اولئک عالم بصفاتكم و بغضائهم .  
 \* ان تمسککم حسنة تسؤهم و ان تصبکم سيئة  
 يفرحوا بها و ان تصبروا و تتقوا لا يضرکم کيدهم  
 شيئاً ان الله بما تعملون محيط ) \*

وفى هذه الآیة أبان لهم فارقا آخر و اوصاهم بوصیة هی بیت القصيد  
 فی انتصار المسلمین و انكسارهم أما الفارق فهو ان هؤلاء بالقياس  
 اليكم اعداء الداء فكما تدر من افواههم كلمات العداة تظهر علی  
 سخنات و جوههم المسرة متى تصابوا بسوء اى سوء كان و تظهر علیها  
 المسائة متى تمسککم حسنة و آية كانت و الأهم من كل ما سلف ایصاؤه  
 لهم بأنکم اذا اردتم فلاحکم و نجاحکم و تقدّمکم رابطتم مواقفکم و صدمتم  
 لمقاصدکم و اتقيتم ربکم فأحللتم حلاله و حرّمتم حرامه و تقدّمتم متى اراد  
 منکم التقدم و تأخرتم متى طلب منکم التأخر فأنکم اذا فعلتم ذلك لا يعود  
 يضرکم کيد اعدائکم ولا يهيمکم مكرهم بکم ان الله بما تعملون من خير و شر  
 محيط لا يشدّ عن علمه قليل و لا كثير .



\* ( واذ غدوت من اهلك تبوء المؤمنون مقاعد

للقتال والله سميع عليم : اذ همّت طائفتان

منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون ) \*

غدا اي مشى غدوة و بؤاه جعل له مباءة و مرجعا و مثالا و الهم هو التصميم و الفشل الانخزال و الخسران ، تشير هذه الآية الى وقعة احد و تاء الخطاب في غدوت للنبي (ص) و المراد باهلك هنا البيت اي من منزلك و تبوء المؤمنون مقاعد للقتال اي تهيأ و تعد لهم مواضعهم و تخطط لهم مخطط حربك مع هذا العدو و الداهم و هم قريش و الله يسمع ما تقوله لأصحابك عليم بدفائن ضمائرهم اذ عزمت طائفتان من الانصار او طائفة من المهاجرين و طائفة من الانصار على متابعة ابن ابي سلول المنافق المعروف في الرجوع الى المدينة بترك القتال لكنهما لم تفعلتا ما هممتا به بل جدتتا التصميم على وفق اخوانهم و كأن الله سبحانه لم ير في همهما عابا عليهما و كأنه كان هماً غير مبعوث عن خبيثة و نفاق و لذلك قال و الله وليهما ثم ختم الآية بما يلزم المؤمن ان يفعله في اقداماته المشروعة وهو التوكل على الله لترتفع و حشته و اضطرابه .

و خلاصة ماجاء عن غزوة احد وان فصلنا القول عنها في كتابنا نتائج الفكر تفصيلا يليق بكتاب السيرة ان قريشا لما رجعت مفلولة من بدر الى مكة قال ابو سفيان يامعشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فان الدمعة اذا خرجت اذ هبت الحزن فلما غزوا رسول الله (ص) يوم احد اذ نوا لنسائهم في البكاء و النياحة و خرجوا من مكة في ثلاثة



آلاف فارس و ألفى راجل و اخرجوا معهم نساءهم فلما بلغ رسول الله ذلك جمع اصحابه و حثهم على الجهاد .

فقال ابن ابى سلول يارسول الله لانخرج من المدينة بل نقاتل فى ازقتها حتى يكون الرجل الضعيف و المرأة و الطفل رء و عونا و ما خرجنا الى عدو الا كان له الظفر علينا : اقول : وفى ذلك فريه واضحة فاضحة فانهم خرجوا قبل وقعة احد الى بدر فانصروا انتصارا باهرا و ما بدر بعيدة عن احد .

فقام سعد بن معاذ و غيره من الأوس فقالوا يارسول الله ما طمع فينا احد من العرب و نحن مشركون فكيف يطمعون فينا و انت بين ظهرانينا فنحن نخرج اليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيدا و من نجا منا كان قد جاهد فى سبيل الله .

اقول و هذه الكلمة هى الكلمة المحنكة لافى هذه القضية الخاصه بل فى عموم مجارى الحياة فان الأنسان اذا اتخذ التدبير اللازم بحيث لا يقال فى حقه انه اهوج كان من وظيفته التقدم فان احرز منظوره فذاك و الا فهو معذور قطعاً .

فقبل رسول الله رأيه فوافقت قريش و رسول الله مع سبعمائة من اصحابه الى احد و وضع (ص) عبد الله بن جبير فى خمسين من الرماة على باب الشعب و أشفق ان يأتيهم الكمين من ذلك المكان و أكد على عبد الله ابن جبير و اصحابه ان لا يبارحوا امكنتهم حتى لو بلغهم النصر النهائى على قريش و وضع ابو سفيان خالد بن الوليد فى مأتى فارس كميناً وقال لهم اذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هنا الشعب .

و دفع رسول الله الراية الى امير المؤمنين و حمل المسلمون على



مشركى قريش فانهزموا هزيمة قبيحة و انحطّ خالد بن الوليد فى اصحابه على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهم فرجع و نظروا اصحاب بن جبير اصحاب رسول الله ينتهبون سواد القوم فقالوا لصاحبهم قد غنم اصحابنا و نبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فان رسول الله قد تقدم الينا ان لانبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا يتسللون رجلا فرجلا حتى أخلوا مراكزهم و بقى عبد الله بن جبير فى اثني عشر رجلا فانحط عليهم خالد بن الوليد فقتلهم ثم اتى المسلمين من ادبارهم و نظرت قريش فى هزيمتها الى الراية قد رفعت فلادوا بها و انهزم اصحاب رسول الله .

و تشعرنا هذه الحادثة فى اطار الآيه المترجم عنها بنكات :

(١) ان الهمّ هَمَّان همّ عن داعى خبث و سوء فذلك غير معفو عنه كهّم ابن ابى سلول المنافق و همّ عن بساطة و صفاء و ذلك مغفور كهّم الطائفتين المشار اليهما فى الآيه .

(٢) ان رأى العاقل على الأخص المثالى المحنك الناصح لا بدّ من اتباعه بعد عرضه مبرهنا نظير ما اشار به النبى على اصحاب ابن جبير .

(٣) ان مخالفة امثال الرأى المزبورنتيجته خسارات لا خسارة واحدة فان القوم بعد ان خالفوا قول نبيهم خسروا فتحهم لأعدائهم و خسروا الغنيمة التى حاولوا و خسروا انفسهم بالمرّة وهذه خسارات عظيمة جدا فليعتبر اولوا الألباب بذلك .



\* ( و لقد نصركم الله بیدرو انتم اذ لة فاتقوا الله  
 لعلکم تشكرون : اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم  
 أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين  
 : بلى ان تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا  
 يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسؤمين : و  
 ما جعله الله الا بشرى لكم و لتطمئن قلوبكم به  
 و ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ) \*

يد راما اسم موضع خاص بين مكة و المدينة و اما اسم ماء هناك  
 سمى باسم صاحبه و الأمداد هو المساعدة و الفور هو السرعة الناتجة  
 عن قوة الداعي كفوران القدر الناتج عن قوة النار و المسوم هو الذى  
 عليه السمة اى العلامة و البشرى هى البشارة و المراد بقوله وانتم اذ لة  
 اى قليلون من ناحية مغمورون من ناحية ثانية ان لم يكن لهم قبل يوم  
 بدر اسم و لارسم سوى مجرد التسمية بالأسلام نظير هذه الادوار  
 الخاملة : و الذلة من حيث القلة لاتنافيها العزة من حيث الروح فاتقوا  
 الله لتكون تقواه ذخيرة لكم و نصرا و عزة و موجبة للشكر اذ تقول يا محمد  
 للمؤمنين أليس بواف كاف لنصرتكم ان يمدكم الله بثلاثة آلاف من  
 الملائكة منزلين من السماء الى الأرض - بلى - يعنى ان ذلك كاف  
 لكم و حاصل من الله بشرط ان ترابطوا موقفكم و تخافوا الله فى التولى  
 و الأدبار و ان يأتكم العدو بشدة و حدة و سرعة حاسمة ليأخذكم بها  
 يمددكم لأجل تثبيتكم فى مواضعكم بخمسة آلاف اى اكثر من ثلاثة آلاف  
 مسؤمين اى عليهم علائم تشعر بعظمتهم .

و ما جعل الله هذا الأمداد الا بشارة لكم اى خيرا سارا يطمئنكم



من مستقبلكم ويشدّ من قلوبكم والآية تشعّر بأن الأمداد بالملائكة كان إعدادا لا إمدادا فعليّا بحيث حصلت منه مقاتلة ومجالدته ثم اعلموا أنّكم حتى مع الصبر والأمداد لا تنصرون إلا باللّه والتوكّل عليه والأحتماء بعزّته وتفويض الأمر الى حكمته فقد تدعو الحكمة الى النصره وقد تدعو الى عدمها .

وخلاصة وقعة بدر ان رسول اللّه (ص) سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى غير لقريش عظيمه وفيها ثلاثون رجلا او اربعون فندب المسلمين اليهم وقال هذه غير قریش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعلّ اللّه ينفلكموها (وانما ابيح مال الكافر لان دمه هدر فما قيمه ماله بعد اهدار دمه وأما اهدار دمه فلأنّه معّم لمجرى الحياة الصحيحه وكل من كان كذلك فقلعه عن عرصة الوجود شىء لازم) فانتدب الناس فحفّ بعضهم وثقل بعض لأنهم لم يظنّوا ان رسول اللّه يلقى حربا او لأن حبّ الحياة ولو على مضض من شيمه النفوس المنحطه .

وأفاد ابو سفيان خيرا من بعض الركبان ان محمّدا قد استنفر اصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر من بعثه الى مكة لياتى الى قریش فيستنفرهم واجمعت قریش المسير وخرج رسول اللّه فى ليالى مضت من شهر رمضان وكان اصحابه ثلاثمأة وبضعة عشر رجلا وكان المشركون الف مقاتل او يقلّون قليلا ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقد امر رسول اللّه اصحابه الا يحملوا حتى يأمرهم وقال ان اكتنّفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل وبعد أن قتل اثنان من المسلمين حرّض رسول اللّه اصحابه وقال والذى نفس محمّد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله اللّه الجنة واخذ رسول اللّه حفنة من الحصباء فاستقبل قریشا بها ثم قال شاهت الوجوه



ثم نفتحهم بها وامر اصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من اشرافهم .

ثم اقبل رسول الله قافلا الى المدينة ومعه الأسارى من المشركين فلما خرج من مضيق الصفراء قسم هنالك النفل الذي افاء الله على المسلمين على السواء قال ابن ابي الحديد فجميع من قتل ببدر فى رواية الواقدى من المشركين فى الحرب وصبرا اثنان وخمسون رجلا قتل على منهم مع الذين شرك فى قتلهم اربعة وعشرين رجلا وقد كثرت الرواية ان المقتولين ببدر كانوا سبعين .

والخلاصة ان نصر الله لعبده هو ارادته الخير له دائما وابدا ولكن مقرونة بأرادة العبد لنفسه هذا الخير وجدّه فى سبيل ذلك فليست ارادة الله هنا ارادة تكوين بل ارادة حبّ وشفقة فمتى شفعت بأرادة العبد وصرامته فى تحقيق ارادته حصل من بين ذلك شىء قطعاً قلّ ام كثر والأمر بتقوى الله معناه الانقياد مع ارادة الله فان الانقياد معها محقق الثمرة المتوخاة بقلة او بكثرة كما اشعرنا فاذا تحققت الثمرة كان المجال للشكر عليها متسعا .



\* ( ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكتبهم فينقلبوا

خائبين : ليس لك من الأمر شيء او يتوب عليهم

او يعدّ بهم فانهم ظالمون ) \*

القطع هو الأبطال هنا يقال قطعه عن العمل اذا صيره باطلا من هذه الناحية لا يستفاد منه والكتب هو الخزي والبوار : والخيبة هي اليأس : وارتباط هذه الآية لأجل تصحيح تركيبها وصحة معناها هكذا يكون ، وما النصر لأى احد كان الا من عند الله القادر على نصر من يريد الحكيم فى كافة تصرفاته ونصره تارة يكون لأجل ان يهلك طرفا وجماعة من الذين كفروا ليخفّ ميدان الكافرين من غوغائهم واخرى يكون بخزيهم وخذلهم أمام المؤمنين حتى ينقلبوا خائبين من مغالبتهم وثالثة يوفقهم للتوبة اليه فى هذه الدنيا فيعودون مؤمنين بعد أن كانوا كافرين مدعوا عليهم بالفناء والهلاك ورابعة يرخى لهم فى دنياهم ويعدّون فى آخرهم لا استمرارهم ظالمين لأنفسهم .

فأنت يا نبىّ الاسلام ليس لك من امر هذه المطالب شيء لا الذى نقطعه وانت قد لا تريد قطعه او نكبه وانت لا تكتفى بخزيه فقط او نوقه فيما بعد للتوبة وانت تريد القضاء عليه فعلا او نبقى عليه ونرعى له وانت تجد من وجوده مزاحمة وانما امر ذلك الى الله سبحانه الحكيم فى كافة تصرفاته فيكون قوله ليس لك من الأمر شيء اعتراض بين ما قبله وما بعده .

وخلصه الآية ان الله سبحانه لعلمه بالبواطن وما تكنه الضمائر له

مع عباده المنحرفين تارات اربعة بحسب علمه وتوزينه لدخائلهم :

(١) اهلاك فريق منهم لان فى وجوده مضايقة تامّة للحق مع اليأس



- عن نزوعه من ذنبه واصلاح شأنه ولو فيما بعد .
- (٢) كبت فريق آخر واخزأؤه وابقأؤه حيا وهذا يتصور على قسمين  
قسم منه انه يرجى له منقلب صحيح وكبته بالفعل اي قاف لأذاياه وقسم منه  
انه تشديد للتنكيل به فان اتلافه مرة واحدة اراحة له .
- (٣) سكوته عن بعض الكافرين لان كفرهم كان عن تضليل من الغواية  
لا عن خبث نفس وهؤلاء قد يلتفتون الى الهداية فيهدونهم وتحصل  
منهم التوبة .
- (٤) الأرخاء لهم بدون تعذيب ليزدادوا اثما وتعذيبا في الآخرة .  
وهذه المقاصد قد تضيع على غير الله سبحانه فلذلك يرى في نفسه  
غير ما يراه الله تعالى .

\* ( ولله ما فى السموات وما فى الأرض يغفر لمن

يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ) \*

هذه الآية كعلة وملاك لتفاصيل الآية السابقة التى كان مفادها انه  
يهلك تارة ويخزى فى الدنيا تارة اخرى ويتوب تالفة ويعذب رابعة كل  
ذلك على وفق الحكمة ولأن له ما فى السموات وما فى الأرض بطور ملك  
خالص يجوز له ان يتصرف به كيف يشاء ولذلك قال يغفر لمن يشاء  
ويعذب من يشاء لكنه لحكمته لا يغفر لمن لا يستحق المغفرة ولا يعذب  
من نزع يده من الذنب وأتاب اذن فلا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة ، وسئل  
بعض العارفين ان الله كيف يعذب عباده بالذنوب مع انه واسع الرحمة  
فأجاب ان رحمته لا تغلب حكمته .



\* ( يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا  
مضاعفة واتقوا الله لعلمكم تفلحون : واتقوا النار  
التي أعدت للكافرين : واطيعوا الله والرسول  
لعلمكم ترحمون ) \*

سبق تحريم الربا في سورة البقرة وأكد الآن بهذه الآية وكونه  
اضعافا مضاعفة معناه ان الربا بورود ه على اصل المال أولا وعليه وعلى  
ما تحمّل الأصل من زيادة بعد تجاوز وقته ثانيا وهلمّ جرّاً يكون اضعافا  
متكررة بالنسبة الى اصل المال الذي سلّمه المرابي للمقترض .  
وخافوا الله في امثال هذه المحرّمات بالأنتهاء عنها لعلمكم تفلحون  
في الدارين وخافوا الله ايضا للنار التي اعدّها للكافرين به وحكم  
المنحرفين عن نظمه بما حكم الكافرين من دخولها وان اختلف الفريقان  
في الخلود وعدمه واطيعوا الله في اوامره والرسول فيما يأمركم به لعلمكم  
من طريق هذه الطاعات تكونون مشمولين لرحمته وفضله .



\* ( وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها  
السموات والأرض أعدت للمتقين : الذين ينفقون  
فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين  
عن الناس والله يحب المحسنين ) \*

المسارعة هى المبادرة والمسابقة واقتناص الفرص والتعجل الى  
الشيء متى تسنى الوصول اليه والمنظور بذك التيقظ الى ما يوجب  
رحمة الله ولطفه ويحرز رضاه ويجلب توجهه هذا من ناحية معنوية وأما  
من وجهة مادية فالجنة هى مجمع النعم ومنبعث الخيرات والرغبات  
النفسية الطاهرة وكون سعتها كعرض السموات والأرض كناية عن عظمتها  
ورخائها وليس المنظور بمثل هذه التعبيرات مطابقة عين اللفظ لأن  
ذلك غير مراد قطعا وقد اشبعنا هذا الموضوع بحثا فى رسالة مستقلة  
نشرناها ضمن البحوث والآراء من شرح نهج البلاغة .

وأما اعدادها فهو تقديرى ان اريد بها الجنة التى هى مباءة  
الناس يوم المعاد ذلك لان الله افادنا فى آيات مفصلات كثيرات ان  
قيامه القيامة معناها تغيير هذا العالم بشرائره وعليه فلا معنى لخلق  
الجنة فعلا وتغييرها بقيام الساعة وابداعها من جديد لان خلقها  
الأول يكون لغوا .

والمتقون لله من بعض سماتهم انهم ينفقون على الخدمات الفردية  
والاجتماعية التى ندب الله والوجدان اليها ما يمكنهم انفاقه فى يسر  
وعسر فى فرح وحزن والذين لا يماشون عواطفهم فى الغيظ والرضا بل  
يتحرون المتانة والرزانة مهما استطاعوا اليها سبيلا والذين تتفوق  
روحياتهم العالية على تسويلات نفوسهم فيعفون عنّ يقدرون على انزال



العذاب به تشفيا وترضيا لنفوسهم وكل هؤلاء محسنون والله يحب  
المحسنين .

\* ( والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم  
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر  
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم  
يعلمون : اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات  
تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم  
أجر العاملين ) \*

هاتان الآيتان عطف على ما سلف من بيان حال المتقين فقال تعالى  
ومن المتقين ايضا اولئك الذين تخطلهم نفوسهم من عقولهم فالعين من  
جانب والأذن من جانب واللسان من جانب وشهوة البطن والفرج من  
جانب والنزوات الحمقاء من جانب فيواقعون الفاحشة ويلابسونها والمراد  
بالفاحشة المعاصي التي تلفت النظر او يظلمون انفسهم وهذا من عطف  
العام على الخاص لأن ظلم النفس يكون بكل معصية جلية تكسون  
للأنظار في تسفلها ام لا وقد يكون المراد بالفاحشة ما يكون مع الغير  
كالزنا واللواط والقذف والسباب وما الى ذلك وبظلم النفس ما يخص  
نفس الإنسان بلا تعدد الى الغير كأبقائها جاهلة متسفة ، ثم بعد  
ذلك ينتبهون من غفلتهم ويلومون انفسهم ويتحرقون على ما صدر منهم  
ويطلبون المغفرة من ربهم على ما بدر منهم لعلمهم ان لا مقام يلجأ اليه  
في العفو غير الله تعالى لان عفو غيره لا يؤثر في ازاحة هذا العار وان  
تصور العوام ان حق الزنا بذات البعل مثلا للزوج في حال ان الحق  
في ذلك لله سبحانه وعفو الغير وعدمه فاقد للأثر كأسقاط القضاة



المرتشين حقوق الناس بالرشوة .

وأقلعوا بعد تذكرهم لمعصية ربهم عن الاستمرار حال كونهم عالمين بوجه العصيان غير جاهلين له لان الجاهل بالشئ لا يعرف فيه حزاة حتى يقلع عنه وليس معنى ذلك ان الجاهل معذور على طول الخط لأن جملة من الناس جهلهم تقصيري لا قصوري لعزوبهم عن التكليف والمكلف ومثل هؤلاء يعاقبون بلا ريب - هلا تعلمت -

اولئك بالوصف المار متى استغفروا ربهم غفر لهم وتفضل عليهم لطيب انفسهم وطهاره ضمائرهم من دن الخبث بجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بعد دخولها ونعم المغفرة من الله وملابسة الجنة أجر العاملين .

\* ( قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض

فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين : هذا بيان

للناس وهدى وموعظة للمتقين ) \*

السنن جمع سنة وهى الطرائق وهذه الآيه من اهم الدلائل القائمة على لزوم اعتبار الإنسان بالمجارى الحيوية وما يطفح فيها ويرسب يخاطب الله بهذه الآيه معاصرى نزول القرآن بأنه قد سبقتم أجيال وتقدمت عليكم ازمان وصبغت تلك الأجيال والأزمان الوان حسبما اتخذت قطعان الجماعات لها من اخلاق وماجرت لأهلها من سعادة وشقاء وانتم بعد ان تمعنوا النظر فى ذلك تستطيعون ان تفهموا معنى الحياة الصحيح وان اى خلق يكون نافعا وايا يكون ضارا .

ومن جملة ما تنتظرون فيه مسايمة الأمم لأنبيائها وان المصدق بهم كيف نجح وافلح ، والمكذب لهم كيف تدهه وتدهور وانقطع عن ملابسة



الحياة فهذا الارشاد منّا بيان للناس وهداية الى طريق السعادة وموعظة لمن اقبل عليها و احبّ تفهّمها اما المعرض عن الشئ غير الكائن بصدده فهو بالنسبة الى سوق المواعظ له كالسالبة بانتفاء الموضوع .

وفى الخلاصة ان كلّ انسان شاهد بأحداقه على طول مسافة عمره الوانا من الحياة لاتعدّ ولا تحصى فى نفسه وغيره من سلم وحرب وفقر وغنى وعزّة وذلّة وضحة ومرض وحزن وسرور وشيبة وشيخوخة وما سوى ذلك وشاهد من الوان الناس براّ وفاجرا تقيا وشقيا ملكا وسوقة الى غير ذلك وبأحداقه رأى ان مسير الأكوان لا ربط له بالشقى والتقى والفقير والغنى والأمام والمأموم وان الجميع لعبت بهم ايدى التصريف فلا ذو اللباقة يسّرت له لباقته العسير ولا الظالم هوّن عليه مشكلات الحياة ظلّمه وتعدّيه مع ما يدرك بأّم عينيه أنّ التقى خير عند المجتمع من الشقى والعادل خير من الظالم والصادق احسن حالا من الكاذب هذا من الوجهة الدنيوية المحضة واما الذى عند الله فهو من الوضوح بمكان ومع هذه المقدمات يلزم كل انسان ان يكون مستقيما لامنحرفا والذى ذكرناه من شواهد الاعتبار محسوس من غير تجسّم سير فى الأرض ولا نظر فى الآفاق والآية امرت بالسير فيها ليقف الانسان على ما هو العجيب الغريب لاتساع الكون وتنوع عجائبه وغرائبه .



\* ( ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين

: ان يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك

الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين

آمنوا ويتخذ منكم شهداء<sup>٤</sup> والله لا يحب الظالمين ) \*

الوهن هو الضعف والمسّ هو اللصوق والقرح يقال لأثر الجراحة

والمداولة هي تغيير الشئ<sup>٤</sup> عن زمانه ومكانه الى زمان ومكان غيرهما

بأخلاء<sup>٤</sup> الأوّل وملاً الثاني والشهداء<sup>٤</sup> يكون جمع شهيد وهو المقتول في

سبيل الحقّ ويكون جمع شاهد وهو حامل الشهادة .

والخطاب للمسلمين الذين لا بسوا وقعة احد فخسروها فقال لهم ربّ

العزّة لا تضعفوا بانكساركم في هذه الواقعة ولا تحزنوا على ما اصابكم منها

من تلف الاموال والانفس فانّ لكم في مستقبلكم علواً وارتفاعاً على من

اوقع بكم ذلك لكن بشرط ملازمتكم للإيمان واندفاعكم عنه .

فان انهياركم في احد انما حصل لكم لتجافيك عمّا امركم به الرسول

من ملازمة مراكزكم وسدّ ثغركم ومع هذا فلا يأخذ منكم الجزع مأخذه فانكم

ان يمسسكم قرح في هذه الواقعة فقد مسّ القوم وهم كفار قريش قرح

مثله في بدر وفي احد ايضاً ، وتلك اشارة الى حاضر في الذهن يفسره

قوله : الأيّام نداولها : اي نجعلها لهذا مرة وينفعه ولذلك اخرى

اختياراً وامتجاناً لثابت الأيمان ومتزلزله .

وهذه الأختبارات لمّا واجهت الطغام واغلب افراد البشرية على

هذا الوصف قلّت مفعول الايمان في الناس لأن اغلب الناس قشريون

بسطاء ينظرون الى الظواهر ويسايرونها بأيّ لون اصطبغت به وليعلم

الله من طريق هذه المداولة الذين آمنوا اي ثبتوا على ايمانهم او زالوا



عنه و ليس معنى ذلك حصول العلم لله من طريق الاختبار بأن يكون جاهلا بحال الشيء و من طريق تجربته يحيط به علما بل معناه اظهار معلومه للناس ليقفوا عليه و يعرفوا المؤمن الواقعى من غيره .  
 و يتخذ منكم انتم المؤمنون الواقعيون الذين شهدتم كيف ثبت المؤمن الصحيح مع ايمانه و كيف انجرف غيره عن مدعاة شهودا على الطرفين يوم الوقوف بين يديه و الوفود عليه عند الحساب و الله لا يحب الظالم لنفسه الذى يدعى جنوحها لشيء و لكن فى وقت الأختبار يزم بها عنه .

\* ( و ليحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين ) \*

التمحيص للشيء تحقيقه لتخليص الخليط منه لتصفو حقيقته من كل خليط اجنبى و المحق هو الأتلاف و الاهلاك و الأعدام و هذه الآية من لواحق الآية السابقة و مفادها ان مداولة الأيام بين الناس كما تكون لتمحيص المؤمنين و طرد الخليط عن الصافى الصريح كذلك تكون لمحق الكافر و اتلافه و تخليده فى العذاب .



\* ( ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين : و لقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون ) \*

ام فى هذا المورد ككثير من نظائره انقطاعية و الاستفهام للأستبعاد و الاستنكار و الآيه من حيث التركيب النحوى يجب ان تكون بهذا اللون أحسبتم ان تدخلوا الجنة و لما يبرز الله علمه للناس بكم فى انكم تنساقون مع امره بالجهد لعدوكم و كذلك يبرز الله علمه بكم فى صبر الصابر منكم على بلائه و انخذاله عنه .

فقوله يعلم الصابرين بالنصب بأن مضمرة تنسبك مع ما بعدها بمصدر و تكون الواو عاطفة له على مفعول و لما يعلم الله ، و مفاد الآيه ان الجنة وهى الجزاء الضخم فى مادته لا تكون للمكلف بمجرد تظاهره بالإيمان و لى لسانه بالأمتثال بل لا بد لتحصيل هذا الجزاء من تحمّل مشاق من جعلتها جهادكم فى سبيل الله و الصبر على الله و ها انتم جملة منكم كانوا يتظاهرون بالإيمان و يظهرن الانتصار له و الموت فى سبيله فلما رأوه فى ساحات القتال أربعوا منه و فرّوا عنه نظير فرارهم فى غزوة احد عن رسول الله (ص) و قوله و انتم تنظرون جملة حاله مؤكده لقوله فقد رأيتموه اى فقد رأيتموه رؤية عين فلما تحققتموه اكدتم انفسكم فى امانكم و مضمون الآيه ان الأهداف لما كانت ذات قيمة و المقاصد عالية

كان التعب عليها وفيها و تحمّل المشاق كثيرا و من هنا قال الشاعر :

و اذا كانت النفوس كبارا      تعبت فى مرامها الأجسام

و ليعلم ان المعنويات نظير الماديات بالضبط فى ان التوفر من



الثانية قائم بالمتاعب والجهود الجبارة فالاولى نظير ذلك فلا يشرف  
الإنسان ولا يكرم ولا يحصل المقام العالى الاً بأجهد نفسه فى طلب  
المعالى فلا تحصل الكرامة فى الحياة بدون مجاهدة و صبر كما لا تحصل  
المادة من دون تعب و نصب و نيل درجات الآخرة بالنسبة الى الدنيا  
كذلك .

وكما انّ تمنى المال لا يثمره كذلك تمنى المعالى لا يحرزها وكذلك  
تمنى الآخرة لا يهيئها و كثير اولئك الذين يكتفون لنيل مقامات الآخرة  
بالدعاء و التضرع و اما فى المراحل العملية المثمرة فأصفار خالصّة  
و هو لاء سوف تكذبهم ظنونهم فان الدعاء و التضرع لا يتجاوز ان يكون  
تكديا محضا و التكدى لا يثمر بضاعة مرموقة و لا تشعشعا فى المال .

و اصل الخطاب فى أحسبتم لمسلمى عصر نزول القرآن و مفاده لا  
يتوهمن احد منكم ايها المسلمون انكم باعتناقكم للكلمة الاسلام توفرون  
لأنفسكم مستقبلا زاهيا كبيرا بثمراته فان الثمن الغالى لا يدفع الا فى مقابل  
مثم مہم و المثلن المہم ليس هو التظاهر بكلمة الاسلام فان ذلك من  
البساطة بمكان و انما المثلن هو تحقيق الاسلام عمليا فى كافة مجالاته و  
اهمها تقوية العقيدة و تثبيتها بين الناس باستنتاجها و استثمارها  
و استنتاجها هو عزة الدين و حرية افراده فى التظاهر و استقلالهم فى  
حوزاتهم الاسلامية و تشعشع اسمهم و تطبيق برامج الاسلام على بلادهم  
فعلا للواجب و تركا للحرام اعلاء للفضيلة و طردا للرديلة كما هو الداعى  
الأصلى لبعثة الرسل عامّة و لرسول الاسلام خاصة و الآ فدين واهن  
و عقيدة لا تتجاوز الأدمغة و عمل منحط لا يفترق فيه الموحّد و الملحد لا  
يحسب دينا و انما هو مهزلة من مهازل الحياة .



\* ( و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل  
 أفأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب  
 على عقبيه فلن يضر الله شيئا و سيجزي الله  
 الشاكرين ) \*

نزلت هذه الآية على اثر وقعة احد و انهزام المسلمين فيها باللون  
 الذى اسلفنا خلاصته و فى هذه الحادثة شجّ وجه رسول الله وكسر انفه  
 و رباعيته و صاح صائح قتل محمد و فشا ذلك فى الناس فقال بعض  
 المسلمين ليتلنا رسولا الى عبد الله بن ابيّ ( المنافق المعروف ) حتى  
 يأخذ لنا امانا من ابي سفيان و بعضهم جلسوا و القوا بأيديهم و قال  
 أناس من اهل النفاق ان كان محمد قتل فالحقوا بدينكم الأوّل فقال  
 عمّ انس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فربّ محمد لم يقتل و ما  
 تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قتل عليه و موتوا على ما مات .  
 قال كعب بن مالك انا اوّل من عرف رسول الله حيّا رأيت عينيه .  
 تزهرا ن تحت المغفر فناديت بأعلا صوتى يا معشر المسلمين ابشروا فهذا  
 رسول الله حى سالم فأشار الىّ ان اسكت فانحازت اليه طائفة من  
 اصحابه فلامهم النبىّ على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بأبائنا  
 و امهاتنا اتانا الخبر بأنك قتلت فأرعبنا و ولينا مدبرين فأنزل تعالى  
 و ما محمد الا رسول بمعنى اننا لم نقل فى محمد انه حى لا يموت ولا  
 يصاب بالمؤلمات بل قلنا انه رسول و سيط بين الله و عباده يؤدى اليهم  
 رسالة ربهم و الرسول بشر تطرأ عليه كافة الحوادث فيجوع و يظما و يصح  
 و يمرض و يموت على فراشه او يقتل ، قد خلت من قبله الرسل : و سبقته  
 مجيئا الى الوجود و ذهابا عنه و كان ذلك فيهم غير مخلّ بعقيد تكلمهم



فعلام اضطربتم عندما سمعتم بموت محمد و قال قائل من بينكم لو كان نبيا  
لما مات .

هذا و محمد وسيط و موت الوسيط لا يرتبط بمن ارسله و جعله  
واسطة ايصال محمد ان مات فالله حي لا يموت على طول تسلسل الأجيال  
و ايمانكم انما كان بالله على يد هذا الوسيط فعلام استعد كثير منكم  
للقفز من الأيمان الى الكفر الذى كان عليه و كل من اراد ان ينقلب على  
عقبه و يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا كما انه لو بقى على ايمانه لم  
ينفع الله بشيء و انما نفع نفسه و سيجزى الله الشاكرين له بلسان بقائهم  
على الأيمان به فى المآزق المحرجة .

\* ( و ما كان لنفس ان تموت الا بأذن الله كتابا

مؤجلا و من يرد ثواب الدنيا نؤته منها و من يرد

ثواب الآخرة نؤته منها و سنجزى الشاكرين ) \*

يشجع الله فى هذه الآية المكلفين بأن الجهاد الذى تدعون اليه  
للذب عن حيثياتكم العقائدية الاجتماعية الحيوية ليس من لازمه على  
كل حال موت المجاهد البارز الى سوح القتال حتى تنكصوا الى الوراء  
فكم من مناضل باشر الحروب العشرات المرّات فلم ينقص من وجوده شىء  
و كم من انسان أخذ الى الراحة و الانكماش فى جحور البيوت فأتاه  
الموت مبكرا كل ذلك لأن آجال الناس مقدرة مكتوبة .

و المجاهد و كل من يعمل بأرادة الله ان كان الأهم من دواعيه  
للعمل رياء دنياه فنحن نؤتيه قسطا منها و الدليل عليه ان مسلمى  
صدر الاسلام لما جدوا فى الدفاع و صدقوا فى المناجزة توسعت حالهم  
المادية الى ابعد حد يتصور فبينما كان الرجل الأعرابي قبل اسلامه



تتعاوره الحشرات على لقمة سائغة بسيطة اذابه بعد مناورات الاسلام  
يحسب في اهل الثراء الطائل .

و من كان داعيه ثواب الآخرة فحقه محفوظ فيها ، و بما أن هو لاء  
شاكرون لأنعم الله بامثال او امره فان الله يجزيهم على شكرهم له وليس  
المنظور ان المطيع لربه ان كان اهمّ دواعيه تيسير امور حياته و نيسرها  
له انه لا يستحق في الآخرة شيئاً و هكذا من كان هدفه الآخرة و يحفظ  
له حقه فيها ليس المنظور به حرمانه في هذه الحياة و انما ذكر الله  
ما ذكر جريا على ما اهتم به الممثل لاعلى حصر حقه في ذلك .

\* ( و كآين من نبيّ قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا

لما اصابهم في سبيل الله و ما ضعفوا و ما استكانوا

و الله يحبّ الصابرين : و ما كان قولهم الا أن

قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا و اسرافنا في امرنا

و ثبت اقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين :

فآتاهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة

و الله يحبّ المحسنين ) \*

و في هذه الآية نوع تشجيع آخر و حضّ للمؤمنين على الجهاد في سبيل  
الله و العزة و الكرامة و كآين بمعنى كم الخبرة و الربيون منسوبون للرب  
اي المختصون به لمعرفةهم بشيء من شأنه — ما عرفناك حق معرفتك —  
و انما كسرت الرء سماعا لاقياسا و الوهن هو الأسترخاء و الكسل و  
الأستكانة الذلة الجارة الى الانقياد للمعتز بنفسه و الأسراف الأفراط  
و التساهل المنجر الى فوت ما لا ينبغي فوته .

و مفاد الآية ان الأنبياء الذين ناجزوا العتاة في تثبيت كلمة الله



فى الارض بين عباده لم يعدوا الأصحاب المخلصين و الأحرار من المؤمنين فقد قاتل معهم فى سوح الميادين ربانيون كثيرون و أصابهم فى هذا المجال ما يصيب غيرهم من موت اعزائهم و الجراح فى انفسهم فما وهنوا ولا كسلوا من وقوع ذلك بهم ولا ابدوا من انفسهم ضعفا او خضوعا للخصم بل ثبتوا و صمدوا فى كل تلك المجالات ولا شك ان الله يحب الصابرين على الوصف المذكور وهو <sup>٤</sup> لم يكتفوا فى اطاعتهم لمولاهم بتلك المواقف و ذلك الثبات بل كانوا دائما يقولون حذرا من التقصير الذى قد يكون منهم ولا يشعرون به ربنا اغفر لنا ذنوبنا التى قد نكون لا نتميزها حين ارتكابها فان الربانى لا يرتكب ذنبا وهو قاصد له وافراطنا الذى يجربنا الى التساهل فيما لا نعرفه من وظائفنا و ثبت اقدامنا فى ميادين العلم و الجهاد فى سبيلك و انصرنا على المنحرفين الضالين الملازمين لضلالتهم .

و لا شك ان كل مكلف يحمل هذه الروح الطيبة المرنة النزيهة يؤتية الله حسبما يراه من مصلحة عبده ثواب الدنيا و متعتها و جاهها و تشخصها و حسن ثواب الآخرة التى هى المقصد الأقصى و الله يحب المحسنين الى انفسهم احسانا عقليا و لا ينحصر فى الأحسان اليها بالماديات و الشهوات .

و فهرست مفاد الآية يا اصحاب محمد كم من نبي سابق على زمان نبيكم قاتل معه لأجل تحقيق الحق بين الخلق ربانيون مثاليون يزنون الحقيقة بما هو ميزانها فما استرخوا ولا كسلوا لما اصابهم فى اعزائهم و فى انفسهم لما كان ذلك فى سبيل الله وما ضعفوا عن المقاومة لما اخذت منهم المصائب مأخذها بل بقوا نشيطين كما لم يلقوا بانفسهم فى احضان العدو لما خسروا موقعتهم معه بل ثبتوا و واصلوا سيرهم



معه جهادا و دفاعا و هم على هذه النكايات التي تصيبهم و تمض بهم و الصمود الذي يبدونه من انفسهم في قبال عدوهم لم ينبسوا ببنت شفة تشعر بتذمرهم بل كل ما كانوا يقولونه هو دعاؤهم ربهم ان يغفر لهم ما لعله كان تقصيرا منهم في حق عقيدتهم و تساهلهم في امرهم وان يزيدهم طمأنينة و ثباتا و استقامة و ان ينصرهم على القوم الكافرين حتى ينتشر الحق بين الخلق و الله سبحانه لما شاهد منهم الصدق آتاهم ثواب الدنيا و اعمم ما فيها عزتها و سمعتها و جاهها و حسن ثواب الآخرة وهو السعادة الدائمة بكل ألوانها و الله يحب المحسنين لأنفسهم يجلب السعادة لا المسيئين لها بتقريبها من الشهوات الدنيئة المبعده لها عن الصفات الرفيعة .

\* ( يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا  
يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله  
مولاكم و هو خير الناصرين ) \*

هذه الآية قد تحمل على الملاك العام وهو تحذير المؤمنين من اطاعة الكافرين فيما يشيرون به عليهم في الأمور الاعتقادية او ما ينجر ولو بالآخرة الى ذلك لان الكافر بالأمس و اليوم على قسمين قسم يعتقد بدين خارج دين الاسلام كاليهودية و النصرانية و قسم ملحد بالأديان كلها و كلا القسمين عنصر هدام بالنسبة الى المسلم و على كل حال فأن اطاعة المؤمنين لهؤلاء بطرف جلى او خفى مما يجعل المؤمن ضعيفاً دينه متهما لعقيدته و الأتهام في العقيدة ينجر الى الشك فيها و بالنهاية الى نبذها و عدم الأعتناء بها بل لا يجوز للمؤمن ان يعتد بولاية احد و اطاعة احد الا بولاية الله و طاعته و الركون اليه و الأعتداد



التفسير ج ٢ لزوم اخذ الحذر على المؤمنين من غيرهم ١٣٠  
بوصاياهم و مواعظه و تكاليفه فانه خير الناصرين لبعده نصرته عن الانحياز  
و الانتهاز و المنتصرون الآخرون لا ينتصرون الا لغاية يستهدفونها ممن  
ينتصرون له و لقد رته الواسعة التي من طريق سعتها يستطيع بألوان  
عديدة ان ينصر عبده بالظاهر و الباطن و القاء الرعب في ذهنية الطرف  
و تقوية من ينتصر له .

و كل الانهيارات التي لا بست الأجيال الاسلامية على الأخص  
هذه القرون المتأخرة التي سلخت المسلم من دينه لا قسرا و جبرا بل  
تسويفا و خداعا نتيجة لايمان المسلم بالكافر و اعتماده عليه في كافة اموره  
الحيوية و الاجتماعية و العقائدية و السياسية ولا شك ان الكافر لا يعطى  
نفسه للمسلم وهو باق على اسلامه بل يسعى السعى كله حتى يفارق بينه  
و بين عقيدته ليسهل اخذه و لقه و هذا ما شاهدته عيون كل الناس في  
هذه الأزمنة التي حاربت العقيدة الاسلامية بالوان شتى بفلسفتها  
الألحادية بمعارفها الداعية الى الخلاعة بأنتاجاتها الجارحة التي  
التسفل بسياستها الخداعة بمساعداتها المادية التي ترضخ للمأجورين  
حتى يطيحوا بالدين و المتدينين .

كما قد تحمل الآية المعنونة على الملاك الخاص وهو نهى المؤمنين  
( بالنسبة الى غزوة احد ) عن اطاعة الذين قالوا لهم ان كان محمد نبيا  
لم يقتل و قد قتل فعودوا الى ما كنتم عليه من دين اسلافكم اوليت لنا  
رسولا الى ابن ابي ليأخذ لنا ميثاقا من ابي سفيان حتى لا يحيق بنا  
ماحل بأخواننا الذين قتلوا في هذه الواقعة .

فأنهم بأطاعتهم لهؤلاء المهرجين يعودون بعد الايمان مرتدين  
خاسرين لأتاعبهم الماضية و لمستقبلهم عند الله سبحانه و في المجتمع  
بل من لازمهم ان يتولوا الله خاصة فانه حي لا يموت و قادر لا يهن وهو



خير لهم من ابي سفيان وغيره ممن يظنون به الانتصار لهم اذا ركضوا اليه لان ابا سفيان و نظرائه انتهازيون يأخذون من الطرف فوق ما يعطون و الله يعطى عبده بلا أن يأخذ منه ولأن ابا سفيان و نظرائه محدودوا القدرة و الله سبحانه لا حدّ لقدرته و ان ينكسر عبده فى موقف فلأرادة اختباره لا لأخزائه او التوهين به .

\* ( سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا و ما وهم النار و بئس مشوى الظالمين ) \*

يهدف سبحانه فى هذه الآية الى ان الكفر مغلوب بالمنطق على كل حال غالبا كان الكافر ام مغلوبا فان غالبية الظاهرية لاقية لها فى الواقع لكونه مرعوبا بالمنطق يدلى به اليه انما المقصر فى هذا المجال هو المؤمن المنخذل بنفسه المنكمش براحته القشرية .

و منطق الله الغالب فى هذا الباب مفاده ان الكافر يتعبد بالممكن و الممكن ضعيف من كافة جوانبه و مهما كان فى مادته عظيما كالشمس و القمر و سائر الكواكب ام حقيرا كالحجر ينحت صنما ثم يتخذ معبودا و القوى هو علة علل كل الموجودات كما تشعر به عناوينه و السلطان هو الحجة و البرهان .

و قد تكون الآية هادفة الى منظور خاص وهو القاء الرعب فى قلوب مشركى الجزيرة بعد انتصارهم فى وقعة احد وكان الواقع كذلك فأنهم انكسروا بعدها مرات حتى آمنوا طوعا فى نهاية المطاف .

و الخلاصة ان الكفر تارة ينظر به المبدأ و العقيدة بالخالف و توابعها و تارة ينظر به النظام الحيوى اما الكفر بالمبدأ فصاحبه



مرعوب بالمنطق الجلى والحجة القائمه ويكفى فى محكوميته ان الكون اثر وكل  
اثر من نفسه حاكم بلزوم المؤثر، واما الكفر المنظور به النظام الحيوى  
فالكافرون بهذا المعنى وان فتحوا و أرعب غيرهم اولئك الذين يدعون  
الى العفاف والنجابه والصدق والأستقامة لكن النتائج السيئه سوف  
تطوح بكراماتهم و بالأخرة بمجتمعاتهم و تمر عليهم حياتهم .

والآية وان حقت مفادها فى كفره عصر القرآن وهى بالفعل لم  
تحقق مثل ذلك المفاد بالنسبة الى كفره هذه العصور الا ان ذلك  
سوف يتحقق بالتدرج حيث ينسلخ الاجتماع البشرى بحكم التفسخ من  
كافة حسناته و يصبح كالحيوان الهامل فى كل شىء من صفاته و اذا خرج  
الانسان من انسانيته و التحق بعالم الوحوش فذلك اقصى ما يمكن من  
تنزله معنويا و ان ارتقى ماديا .



\* ( و لقد صدقكم الله وعده اذا تحسّونهم بأذنه حتى اذا فشلتم و تنازعتم فى الامر و عصيتم من بعد ما أراكم ماتحبّون منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم و لقد عفا عنكم و الله ذو فضل على المؤمنين ) \*

هذه الآية مربوطة بوقعة احد وكون الله صدقهم وعده بالانتصار حقّ فان المسلمين فى أول مقارعتهم هزموا المشركين و اجلوهم عن مراكزهم و غنموا اموالهم و لم يقو عليهم المشركون حتى اخلا اتباع عبد الله بن جبير مراكزهم فالمسلمون انما قتلوا انفسهم بأيديهم .  
و معنى تحسّونهم تقتلونهم بتيسير ذلك لكم حتى اذا فشلتم و تأخرتم عن تأكيد النبىّ لكم بملازمة مواقفكم و تنازعتم مع ابن جبير هو يقول لكم بلزوم الملازمة و اطاعة قول النبىّ و انتم تقولون له هو اءاخواننا يغنمون و نحن ان رابطنا مراكزنا نبقى بلا غنيمة و عصيتم امركم من بعد ما اراكم الله النصر على اعدائكم .

و كان هذا النزاع بينكم و بين ابن جبير لان منكم من يريد الدنيا و الغنيمة و منكم من يريد الآخرة و طاعة نبىّه و اميره ثم صرفكم انتم الثابتون مع رسول الله عن المشركين يعنى لم يوجب عليكم استمرار مطاردهم لان فى ذلك فنائكم و لكن اوجب عليكم الدفاع عن نبىكم و انفسكم .

كل الذى صدر من فرار و ثبات و مخالفة لأمر النبىّ (ص) و ابن جبير كان اختبارا منه تعالى لكم لىتميّز امام الانظار المؤمن الصلب من المؤمن المتراخى و المدلس المنافق من المؤمن الصريح و لقد عفا عن المتراجع



منكم و المخطىء الذى جرّ به خطاه الى تلف نفسه و تلف غيره و الله ذو فضل على المؤمنين الذين لا يخلو جمعهم من بسيط و غر و قليل معرفة بما يصلحه و اخوانه .

\* ( اذ تصعدون و لاتلون على احد و الرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غمّا بغمّ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم و لا ما اصابكم و الله خبير بما تعملون : ثم انزل عليكم من بعد الغمّ أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم و طائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظنّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شىء قل ان الأمر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبذون لك يقولون لو كان لنا من الامر شىء ماقتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم و ليبتلى الله ما فى صدوركم و ليمحص ما فى قلوبكم و الله علين بذات الصدور ) \*

هاتان الآيتان تعربان عن جريان الهزيمة و منويّات حضار وقعة احد من مؤمن و منافق يقال ان الأعداد يكون بالسير فى مستوى الأرض و الصعود أنّما يكون فى الأماكن المرتفعة و ألوى عليه اذا عرّج عليه و الغمّ هو انقباض النفس و الأمانة الأمن نفسه و مفاد الآية ان تفرّون عن رسول الله و لاتعرجون على قريب منكم اوبعيد اغراقا فى الفرار و الرسول ينادىكم من ورائكم وهو ثابت فى مكانه ارجعوا الى عباد الله أنا رسول



اللّٰه فلم يجبه منكم أحد فجزاكم على ذلك غمّا في غمّ اي غموما متراكمة من الانكسار و قتل الأحبة و تدهور الأمور :

و ان يلابسكم هذا الفشل فلا تحزنوا على ما فاتكم من غنيمة و نصر و ما اصابكم من قتل و جراح و هوان و كان اللّٰه خبيراً بأعمالكم قبل وقوعها و إنّما اراد ابرازها لينكشف لكم ما تنطوون عليه ، ثم بعد ان انتهت المعركة أرجفت قلوب الكثيرين بخوف عود تهم عليكم فأنزل على المؤمنين منكم نعاساً لتفتربا ابدانهم و حواسهم عن العمل فلا تعود تعمل في خواطرهم الوسوس ، و إنّما غير المؤمنين الواقعيين ببقية خواطرهم تعبت بهم من جولان الخيالات المؤلمة فيهم و تلك الخواطر هي ظنهم باللّٰه غير الحقّ لأنهم لم يعتقدوا به كما هو حقّه يقولون مع استنكار و تعجب هل يعقل أن يكون لنا نصر على هؤلاء وفتح و اتساع ملك و هم بهذه الكثرة عدّة و عدداً فأجيبهم يا محمد بأن الأمر لله يسّط من يشاء عليه ولو كان قليلاً في عدته و عدده كما سلّط المسلمين على الكافرين في بدر و أوّل وقعة احد هذه .

يخفي المنافقون في انفسهم من سوء الظن بالمبدأ و الرسالات السماوية ما لا يبدونه لك من الظواهر الملائمة و المجاملات الكاذبة و من آية نفاقهم انهم يقولون لو كان لنا نصيب من الفتح و الغلبة و النصر باعتبارنا مؤمنين باللّٰه و مؤيدين لرسوله ماقتلنا ههنا فأجيبهم يا محمد ان الأيمان بالشىء حقيقة لا يتركز على الغلبة الظاهرية بل يتركز على الواقع الراهن من صحة الشىء في نفسه ولو اعرض عنه الجميع كما قال عمّار رضى اللّٰه عنه في وقعة صفين لو هزمونا الى سعفات هجر لکنّا على حقّ و كانوا على باطل :

و على هذا الأساس فان المؤمنين الواقعيين لا يتأخرون عن اجابة



دعوة الله لهم الى الجهاد ولو كانوا قلائل امام ارقام العدو ولبزرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم معتقدين ان صالحهم هو ذلك الذى اختاره الله لهم و صدر ما صدر فى هذه الواقعة من توج عارم ليبتلئ و يختبر الله ما فى صدوركم من كامن لم تبرزه الا هذه الحوادث لتفتضحوا بنفاقكم و ليقف الناس على حقائقكم و ليميز ما فى بواطنكم من غت و سمين ان كان فيها من السمين شئ و الله عليم بذات الصدور و لكنه لا يجازى على ما يعلمه من المكلف صرفا بل مشفوعا بالعمل المصحح بحقيقته ، و نعاسا منصوب على انه بدل من أمانة .

\* ( ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما

استزلمهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله

عنهم ان الله غفور حلِيم ) \*

استزلمه بمعنى جرّه الى الزلّة و هذه الآيّة كالأيات السابقات تتعرض لغزوة احد فقال سبحانه لم يتول ( اى لم يعط دبره ) احد منكم الا لطلب الشيطان زلته و استجابته له و الطريق الذى و جده فيهم فسلكه اليهم هو طمعهم فى الغنيمة و تهافتهم عليها قبل اتمام عملهم من جهاد العدو و كل ذلك لقيام الطمع فى انفسهم قياما خاطئا اطاح بهم و بكرامتهم و بما طمعوا فيه فيكون المراد ببعض ما كسبوا كسبهم قبل ايمانهم جملة من الصفات التى يجب ان يتنزّه عنها الأتسان المؤمن بالله و بقاء رذائل من تلك الصفات فيهم حتى بعد ايمانهم و من هذه الفجوة وجد الشيطان اليهم مسلكا فاستزلمهم منه و بما ان الله سبحانه يرى ايمانهم بالاسلام واقعا عفا عنهم هذه الزلّة و غفر لهم هذا الذنب و حلم عليهم ابقاء لهم .



\* ( يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا  
 لأخوانهم اذا ضربوا فى الأرض او كانوا غزى لو  
 كانوا عندنا ماماتوا و ما قتلوا ليجعل الله ذلك  
 حسرة فى قلوبهم و الله يحيى ويميت و الله بما  
 تعملون بصير : ولئن قتلتم فى سبيل الله او متّم  
 لمغفرة من الله و رحمة خير ممّا يجمعون : ولئن  
 متّم او قتلتم لألى الله تحشرون ) \*

هذه الآيات جاء بها الله سبحانه فى مقام المقارنة بين المؤمن  
 و ما ينطوى عليه من روحية و المناق و ما تظمّ عليه اضلاعه من عقيدة فى  
 مجارى الحياة : اما المناق فهو المادى الذى لا يعتقد بربّ ولا شريعة  
 سماوية ولا يعرف شيئا سوى هذه المادة الجائمة بين يديه و هـذـه  
 العقيدة ترى ان الموت يتسبّب قطعا من ملاقة الأقران فى سوح القتال  
 و من سلوك البحار و القفار و ما الى ذلك .

و انّ الرزق انما يكون بمساعى الإنسان و ان ليس وراء مسعاه  
 شىء لذلك نرى المادى يحرص على حياته و على راحته و على درهمه  
 حرصا يفرّق بينه و بين من يعتقد بالغيب و رسالة السماء و الحقّ مع  
 المؤمن فى ذلك لامع المادى بالتجربة فضلا عن الدليل الشرعى و الأثر  
 السمعى فانه ليس كل من ركب البحر غرق و لا كلّ من نازل الأقران قتل  
 و لا كلّ من بذل درهمه مات جوعا و لا كلّ من سعى حصّل من سعيه على  
 طائل و على هذا الأساس نهى سبحانه المؤمنين به ان يكونوا كالكافرين  
 حيث يقولون فى حقّ اخوانهم الذين يضربون فى الأرض للتجارة فيموتون  
 فى هذا الطريق او يغزون فيقتلون انّ هوءلاء لو كانوا فى قرارة بيوتهم



ما ماتوا و إنما أماتهم ركوب البحار و قطع المفاوز و القفار و الخروج الى سوح القتال و هذه العقيدة تزرع في قلوبهم الحسرة المؤلمة بخلاف من يعتقد ان موت من مات في بحر او برّ او ميدان كان بأجل لازم له حتى لو لم يخرج و قرّ في بيته لمات في تلك الساعة على وثير مهاده .  
 فمثل هذه العقيدة لا حسرة معها ان لا حسرة على امر لا بدّ من تحقّقه على كل حال و الله يبقى حياة الحيّ حتى في بطن الحوت في اجواف امواج البحر و يسلبها من المحكوم بالفناء حتى لو كان في برج مشيد عليه حرس و رصيد و اذا كان الأجل لازما فمصادفته للأنسان وهو يعمل في سبيل الله افضل من أن يصادفه وهو يعمل لمطامعه الخاصة بل لافضيلة في هذا بالمرّة .

ثم انكم سواء متّم موتا عاديا او قتلتم في سبيل الله او غيره فأنكم محشورون الى الله يحاسبكم على ما عملتم في ادوار الحياة من خير و شرّ :  
 و غزى بضم الغين و تشديد الزاء جمع غازى كطلب مشدّد اللام جمع طالب .

و في الآية رد عظيم عن تخذيل جملة من الناس سالك طريق الفضيلة عن سلوكه لها قائلين له ان ماتزاوله فضلا عن كونه تعباً و من غير نتيجة و شذوذا عمّا عليه درجة النوع فيه تفويت لملاذّ ما عليه الناس من لا اباليّة و عدم قيد و استفادة من مزايا الحياة و ايّه كانت خفيفة في نظر الدين ام و زينة و المخذل ان كان حاملا و زر نفسه في ذلك فهو حامل فوقه اوزار غيره .



\* ( فيما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظًا غليظ  
القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر  
لهم و شاورهم في الأمر فأذا عزمت فتوكل على  
الله ان الله يحب المتوكلين ) \*

في هذه الآية يبين سبحانه الادب الرفيع الذي زين به انبيائه  
و امرهم باتخاذهم و المشى عليه حتى يكونوا نموذجا كاملا للبشرية و ظاهرة  
من احسن ظواهر الانسانية فقال سبحانه انك لئن العريكة بحيث  
تنسجم مع كل احد من الناس لأن المادة اللينة جاهزة لأن تسبك في  
اي قالب اراد المرید أن يفرغها فيه و اعلم ان ذلك من رحمة الله بك  
و لطفه و فضله عليك و لو كنت فظًا شديدًا في لهجتك و لسانك غليظًا  
جافيا في قلبك لما دار دورك انسان باختياره لان الناس بهربون من  
الجفاف و الجفاء و بذاة اللسان و خشونة الكلام .

اذا فاعف عن اصحابك بوادهم و اطلب لهم المغفرة من ربهم ، واما  
المشاورة في الامور فاما ما يعود الى الشريعة منها سواء كان فريضة و  
وظيفة ام كان اديبا شرعيا و خلقا سماويا فذلك ليس للنبي نفسه فضلا  
عن الافراد المعادين ، و اما ما يعود للأمر السعادية الدارجة بين  
الناس في معاملاتهم و معاشراتهم مما هو مباح لهم فعله و تركه فجاءز  
للنبي أن يشاور فيه مع كمال عقله ، و قيل ان امره بالمشاورة لهم لتطيب  
نفوسهم و اعلاء شأنهم و سن سنة حسنة بينهم ان لا يترفع عن المشاورة  
منهم من علا مقاما و ارتفع شأنًا تكبرًا على من دونه و ترفعا عن اخوانه  
في الانسانية .

فإذا عزمت اي صممت على الفعل فتوكل على الله فان صرف تحقق



مقدمات الشيء بحسب الظاهر لا يحقق النتيجة الا بأذن الله تعالى ثم ان الله سبحانه يحب من عباده المتوجه اليه المعترف بحاجته و عبوديته له و اقصر كلمة قيلت في حق نبي الاسلام (ص) ما قاله شاعرنا عصره و باشره .

فما حملت من ناقة فوق ظهرها أبر و اوفى ذمة من محمد  
 و في خلاصة الآيه يقال ان الله يريد لعبده ان يروض نفسه على  
 محاسن الأخلاق حتى تتيسر له الحياة مع كل شكل من اشكالها ومع كل  
 فرد من افرادها وحتى يتم له ما يريد تأثيره من ابراز مقاصده و تثبيتها  
 فان لين العريكة يستطيع ان يهضم جاف الاخلاق شديدها و الصابر  
 يستطيع ان يحفظ ظاهرته بين الناس فيحسب بحساب غير المتأثر مع  
 المؤثرات التي تفضح الجازعين و تكثر الشامتين و الحلیم يحسب بحساب  
 المقتدرين العافين و ان لم يكن في واقعه مقتدرا حتى يصلح لأن يكون  
 عافيا و الكريم يشترى بكرمه حتى اعدائه فان المادّة تخضع العتّى في  
 شره الضعيف في نفسه الى غير ذلك من معالى الأمور التي تفيد في  
 الحياة فوائد لا توزن لعظمتها و ثقلها في كفة الميزان .



\* ( ان ينصرکم اللّٰه فلا غالب لکم و ان یخذ لکم  
 فمن ذا الذی ینصرکم من بعده و علی اللّٰه  
 فلیتوکل المؤمنون ) \*

فی هذه الآیة بیان لمعنی التوکل و لزومه علی العبد و ذلك ان  
 الانتصار و الأنکسار فی مجاری العالم كما هو مجرب لیساً مربوطین  
 بظاهر المقدمات المشعرة بالأنتصار و الأنتکسار فکم من فئة قليلة فی  
 عددها و عددها غلبت فئة كثيرة فی ذلك و تموجات العالم منذ عرف  
 الانسان نفسه و دون التاريخ اسلافه قاضیة بذلك و سوق  
 الشواهد علیه اطالة فی امثال هذه المباحث اذا فلا بدّ و ان تكون وراء  
 المقدمات الظاهرة اسباب تدبّ فی بطون الغیب تعمل ولا يشعر بها  
 الأنسان وهی التي تنصر الفئة القليلة و تكسر الفئة الكثيرة و علیه فكل  
 مؤمن باللّٰه یجب علیه ان یتوکل علی اللّٰه فی كافة اموره .

و لیس معنی التوکل هو الانخزال عن العمل و اختیار جانب  
 البطالة و الكسل فان ذلك مقوت شرعاً و کم ورد فی البطالة من اثر  
 یفند به صاحبه و لكنه الجدد المشروع بمعنی انه لا یجوز ان یتحلّ كل  
 واسطة فی الأیصال حتی لو كانت غیر مشروعة و مطلب آخر فی التوکل ان  
 المتوکل مفوض امره الی من یعلم انه احکم الحکماء فان وصل من جدّه  
 الی غایته فذاك و ان لم یصل لم تقطع قلبه الحسرات بخلاف المادّی فانه  
 یوسط لغایاته كل واسطة ولو كانت سفک دم بظلم و یجزع اذا لم یحصل  
 له مقصوده



\* ( وما كان لنبيّ ان يغلّ و من يغلل يأت بما غلّ يوم  
القيامة ثم توفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ) \*

الغلل هو الخيانة و ليس معنى الآية انه ليس للنبيّ أن يخون  
الغنيمة باعتبار صدور ذلك منه فان الخيانة على الأخص لا تلتئم مع مقام  
النّبوة المستلزم للنزاهة بأعلا مفاهيمها بل نزلت هذه الآية باعتبار  
حادثة في يوم بدر فقد فقدت فيه قطيفة حمراء من المغنم فقال بعضهم  
لعل النبيّ اخذها وهذا القائل ان كان من المسلمين لم يقصد بذلك  
ان النبيّ خانها بل قصد ان النبيّ اخذها لأنّها حقّه او يجوز له ذلك  
فأبان الله سبحانه ان النبيّ اجلّ مقاما من ان ينسب له ما فيه راحة  
الدناءة و الطمع نعم كل هذا يجوز على البشر السائر فحرام على المكلف  
ان يخون الغنيمة حتى بخيط او مخيط و ان فعل ذلك يأت يوم القيامة  
مفتضحا كأنه حامل السرقة على قفاه امام اعين الناس حيث توفّى في ذلك  
اليوم كل نفس ما كسبته في الحياة الدنيا وهو لا يظلمون لا يزداد المجرم  
على مقدار ما يستحقّه و لا ينقص من المحسن ما هو حقّه .



\* ( أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله

و مأواه جهنّم وبئس المصير : هم درجات عند

الله و الله بصير بما يعملون ) \*

هذه الآية تشرح و تحلل الكسب الذى يكسبه المكلف لنفسه  
 باختياره و يوفى ما يستحقّه و فقا لجنس مكسبه و مقداره فالمكلف الذى  
 يتحرى مرضاة الخالق و أنّها بأى عمل تكون يستحيل ان يعود بما يعود  
 به كاسب سخط الله فان رضوان الله اعظم من الجنة و الجنة دونه  
 بمراتب و مستحق سخط الله مأواه جهنّم وهى اتعس مصير لأى مخلوق  
 و فاعلوا الحسن كفاعلى القبيح فى انفسهم ذووا درجات متفاوتة فليس  
 المحسنون متساوين فى الاحسان كما أنّ المسيئين كذلك ليسوا فى رتبة  
 واحدة بل لكل فريق درجات سواء فى الجنة ام فى النار و الله بصير بما  
 يعمل عباده من خير على تفاوت رتبه و من شر على تفاوت درجاته .



\* ( لقد منّ الله على المؤمنين ان بعث فيهم رسولا  
من انفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم  
الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفي ضلال  
مبين ) \*

لا شك ان تعليم الجاهل منّة عليه و ارشاد الضالّ نعمة في حقه و  
هداية التائه فضل و معروف و الله سبحانه بأرساله الرسل الى عباده  
قام بكل تلك المنن و النعم و الهدايات و كون الرسول من البشر طبقا  
لهوية المرسل اليه فضل آخر لأنّ مجانس الشيء اعرف به و بكيفية دعوته  
و تعليمه و ارشاده و وظيفة الرسول هي الوساطة بين الخالق و المخلوق  
في تلاوة آياته التي ينزلها عليهم بوسيلته و تزكيتهم عملا بعد التعليم  
و الكتاب هو القانون المدوّن من لدنه و ان كان محرروه بالقلم هم افراد  
البشر و الحكمة هي بيان الحقيقة و انتشارها من بين اطباق الأوهام و  
الخرافات و لا شك ان البشرية في عموم اجيالها عاشت تترجح تحت الجهل  
و الضلال و لولا تعاليم الأنبياء لبقيت لحدّ الآن و حوشا هملا .  
و في الخلاصة ان الحقائق العلمية في طول عمر البشرية وليدة  
رسالات السماء ، وفلاسفة الكون حتى لو امتازوا بأنفسهم عن الأنبياء  
فأنهم عالة عليهم نعم لا شك ان جملة من الخرافات التي ألصقت  
بالشرايع هي التي شوّهت منظرة اهلها بين الناس و الأ فلا شك أن  
تعاليم السماء على يد الأنبياء قهّارة بحسب محتوياتها و ان من يراجع  
القرآن دقيقا و يعرض معارفه على المعارف الدارجة بين معاصريه او  
سابقه يجد الفروق الجلية بين الوهم و الحقيقة و الحقيقة ما عليه معارف  
القرآن و أمّا تحسّن جملة من المعارف في هذه العصور فهو من تشعشع



تعاليم القرآن وغيره من تعاليم السماء الأصيله وان كانت بصيغه اخرى هذا والمراد بالمؤمنين طالبوا الايمان وقاصدوه والمتعطشون لمعرفة النبي بين ظهرا نبيهم وعدم وجوده .

\* ( أو لما اصابتم مصيبة قد اصابتم مثلها قلت اني

هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل

شيء قدير ) \*

الواو عاطفة لهذه الآية على ما تقدّمها من آيات ( غزوة احد و تفاصيلها ) و الهمة للأستفهام يعنى يا ايها المسلمون لما اصابتم فى وقعة احد هذه المصيبة وهى انه قتل منكم سبعون رجلا و كنتم قد اصابتم من المشركين يوم بدر ضعف ذلك و مثليه بقتلكم منهم سبعين رجلا و اسركم سبعين آخرين و كان الله وعدكم النصر فى احد كما وعدكم فى بدر قلت كيف حلّ بنا و نحن مسلمون هذا الحادث الجلل و انتصر علينا المشركون خلافا لوعد الله فأجبهم يا محمد ان الله لم يخلف وعده لكم فانه شرط لكم النصر بشرط الطاعة لأوامره و اوامر نبيه فى كيفية قتالكم و تعيين مراكزكم و انتم زمن طاعتكم اول الوقعة انتصرتم و لما خالفتكم وصايا نبيكم انكسرتم فهذا الخسران من عند انفسكم لا من الله و ان كان الله على كل شيء قدير اى ان ينجىكم حتى مع خلافكم لنبيكم وللخطط الحربية و لكنه اى ان يجرى الأمور بأسبابها و ان لا يجعل الأعجاز اداة خالصة لاعمل لكم معها .



\* ( وما اصابكم يوم التقى الجمعان فبأذن الله و  
 ليعلم المؤمنين : و ليعلم الذين نافقوا و قيل  
 لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا  
 قالوا لو نعلم قتالا لا تبعنكم هم للكفر يومئذ  
 اقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس فى  
 قلوبهم و الله اعلم بما يكتنون ) \*

الآية الحاضرة من توابع الآيات السالفة فى غزوة احد و تفاصيلها  
 و كلمة - ما - فى صدر الآية موصولة بمعنى ان الذى اصابكم من الانكسار  
 اخيرا و الانتصار اولا يوم التقى جمعكم و جمع المشركين كان بأذن الله  
 و اذنه هو اجراؤه الأسباب على مقتضاها وان لطف بكم فى انتصاركم وانتم  
 قلة فى بادء الأمر و من مقتضى اجراء الأسباب ان تنكسروا بعد مفارقة  
 جملة منكم مراكزهم الحربية و القائم السلاح طمعا بالأسلاب مع علمكم  
 بوجود الكمين لكم و ان من تحاربون موتورون و اكثر منكم عددا و عُدّة  
 و بأجراء الأسباب على وفق مجاريها يعلم النشيط من الكسل و الجاد  
 من المتوانى و بهذا علم المؤمن الصلب منكم الذى لم يبارح مركزه كعبد  
 الله بن جبير و من بقى معه و كعلّى و الذين ثبتوا بثناته حين فرّ كافة  
 اصحاب رسول الله عنه و تركوه و حيدا فى الميدان .

كما عرف المنافقون معرفة اتمّ و اكمل لانهم فى المجارى العادية  
 كانوا يتظاهرون بالآيمان و انّ شأنهم كشأن بقية المسلمين الواقعيين  
 فلما جاءت نوبة العمل المثمر و قال لهم عبد الله بن عمرو ( ابو جابر  
 الانصارى ) تعالوا قاتلوا فى سبيل الله و اتقوا الله و لاتخذلوا نبيكم  
 او ادفعوا عن عصبياكم فأننا منكم فى العناصر اجابوه علام نقتل انفسنا



لو كُنّا نعلم قتالا اى نراه فرضا علينا من طريق الأيمان بهذه الدعوة لا تبعنّاكم .

فالمنافقون فى امثال هذه المواطن المائزة بين الحق والباطل والغثّ والسمين للكفر اقرب منهم للأيمان يقولون فى الرخاء بأفواههم ما ليس فى مواطن الشدّة مركزا فى قلوبهم والله اعلم بما يكتُمون من ضماير مظلمة و قلوب خبيثة و منويات فاسدة .

\* ( ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا

بل احياء عند ربّهم يرزقون : فرحين بما آتاهم

الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا

بهم من خلفهم الاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون :

يستبشرون بنعمة من الله و فضل و انّ الله لا

يضيع اجر المؤمنين ) \*

الخطاب فى لا تحسبنّ لكل من يتأتّى منه الحساب و انما صحّ

النهى عن حساب المقتول ميتا كسائر الاموات لان الميت حتف انفه

و الميت مقتولا بالسيف فى غير سبيل الله و المقتول فى سبيل الله جميعا

بحسب الظاهر واحد من حيث النتيجة كما قيل - تعددت الاسباب و

الموت واحد - فالله سبحانه فى هذه الآية و الآية التى سبقت فى سورة

البقرة بضمونها أبان ان هذا الظاهر الذى يشترك فيه المذكورون

قشرى و الذى وراءه متشتت و ان الموت و ان كان هو ابطال الحياة من

البنية النباتية فى الأقسام الثلاثة الانسان و الحيوان و النبات الاّ ان

ذلك لا ربط له بالحياة المتحدّث عنها هنا فأن المنظور بها فى هذا

المقام حياة الروح و تنعمها بالذائد المعنوية عند ربّها او بأضافة



أجسام مثالية تلبسها هذه الأرواح حتى كأن صاحبها خلق من جد يد كما وردت بذلك عدة آثار تشفعها قوة الاعتبار .

وعلى كلا التقديرين يصدق في حق الأرواح حياتها عند ربها أي بحسب الواقع الغيبي وان تخلف عنه الشهود الحسى وكذلك ارتزاقتها الرزق الذى يتكافؤ مع رفعتها وقد رهاو شرفها وانها فرحة بما آتاها الله من فضله وكما يجدون الحبور والسرور فى انفسهم من طريق الشهادة يتوقعون ذلك لأخوانهم الذين تركوهم ورائهم فى مضامير الحياة مستنين بسنتهم ومتهيئين للشهادة فى سبيل الله كما هيأوا من قبل ذلك انفسهم و فازوا بالفعل و يناجون انفسهم كأنها تمثل اخوانهم الذين لم يلحقوا بهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما يخاف بعد الموت غيرهم و يحزن و استبشارهم انما هو بنعمة من الله دائمة وفضل موفور مستمر و ان الله كما وعد على لسان انبيائه لا يضيع اجر المحسنين لانفسهم و للأجتماع كله باصطباغهم بالأيمان الصادق المفيد فى كل وقت ولكل شىء .

و مورد نزول الآية قيل هو شهداء بدر من المسلمين وقيل نزلت فى شهداء احد وقيل نزلت فى حق كافة الشهداء فى سبيل الله اخذا بعمومها وقيل نزلت فى شهداء بئر معونة .

و نحن قد ذكرنا خلاصة ماجاء عن غزوة بدر واحد و دونك الآن خلاصة ماورد فى شهداء بئر معونة .

قال ابن اسحاق كما عن السيرة الهشامية بعث رسول الله (ص) اصحاب بئر معونة فى صفر على رأس اربعة اشهر من احد وذلك انه قدم ابوا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنه على رسول الله المدينة فعرض (ص) عليه الاسلام و دعاه اليه فلم يسلم و لم يبعد عنه و قال يا



محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال (ص) انى اخشى عليهم اهل نجد قال ابو براء انا جار لهم فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله المنذر بن عمرو اخا بنى ساعدة فى اربعين رجلا من اصحابه وكثير من المؤرخين يرونهم سبعين رجلا .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وبعثوا واحد منهم بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل فلما اتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا ان يجيبوه الى مادعاهم اليه و قالوا لن نخفرا ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم اخذ سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عندهم آخرهم - يرحمهم الله - الا واحدا اسمه كعب بن زيد فأنهم تركوه وبه رمق وعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا .

وكان فى سرح القوم عمرو بن امية الضميرى ورجل من الانصار فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فاقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى اصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن امية ماترى قال ارى ان نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال الانصارى ماكنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه .

اقول هذا الانسان الذى تدعى له زعامة فريق من العرب (عامر ابن الطفيل) ترى كم جرت منه جنائيات و جاءت عنه جرائم لا عن داع



معقول يدعو الى ذلك أما الرّسل فمن عادة الجبابة معها فضلا عن غيرهم الاّ يمسوها بسوء ولو كانوا رسل حرب و انذار وقد كان حامل الرسالة داعية دين لا مهددا ولا منذرا فما الذي احلّ دمه لهـذا الوحشى ولم يظهر على جماعته اقلّ سوء يريدونه بأىّ انسان يفرض فعلام ترى هذا الضارى يستصرخ عليهم قبائل العرب .

و هل حدث هؤلاء المستصرخون انفسهم عند ما جائهم عامر يطلب نصرتهم للقضاء على هؤلاء النفر الاذكيا انه هل يسوغ لنا ان نتابع الرجل على قتل اناس أبرياء لاسوء بيننا وبينهم و ليسوا محلّ طمع من غنيمه تراد منهم او تجارته تساق معهم هذا وقد علموا امتناع بنى عامر عن اجابة ابن الطفيل فى شأن القوم وهم كانوا ادنى له من بنى سليم فكيف لم يمنعوا انفسهم وهم الأجانب عنه لكنه التوحش المحض و منه يعلم ما كان يقاسى رسول الله فى درر نبوته .

ثم اين ذهب عن ابى براء ثأر القوم الذين اجارهم و اعطاهم ذمته — ضلال فى ضلال — ولقد عزّ على رسول الله مصرع هؤلاء الانجباب حتى ورد الأثر عن انس بن مالك ( كما فى طبقات ابن سعد ) قال ما رأيت رسول الله وجد على احد ما وجد على اصحاب بئر معونة .



\* ( الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما  
 اصابهم القرح للذين أحسنوا منهم و اتقوا اجر  
 عظيم : الذين قال لهم الناس ان الناس قد  
 جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا و قالوا حسبنا  
 الله و نعم الوكيل : فانقلبوا بنعمة من الله  
 و فضل لم يمسسهم سوء و اتبعوا رضوان الله  
 و الله ذو فضل عظيم ) \*

الاستجابة هي الأجابة نفسها و تزيد عليها ان مادتها تعلن  
 بأنها وقعت عقيب طلب الأجابة بخلاف الأجابة فأنها لا تعطى من  
 نفسها هذا الأعلان و القرح هو الجرح و قد يراد منه الجراحات الناشئة  
 عن الجراثيم و الامراض كما يراد من الجرح فى الأغلّب ما يتسبب عن  
 الحوادث الواردة على البدن كوخزه بمسلة و بعجه بسكين و نظير ذلك  
 و اصل القرح الخلوص فيقال ماء قراح اى خالص و مناسبتة مع الجراحة  
 نفوذ المة الى النفس و الجمع هو الحشد : و معنى قول القائل حسبى  
 الله ان الله كاف لى : و انقلب فلان عن وجهه معناه رجع، قيل فى مورد  
 نزول هذه الآيات و جهان ( احدهما ) مارسه المؤرخون عن حادثه  
 حمراء الأسد ( و ثانيهما ) ما ذكره فى قضية بدر الضغرى ( اما الوجه  
 الأوّل ) فأن ابا سفيان و اصحابه لما انصرفوا من احد و بلغوا الروحاء  
 ندوا على انصرفهم عن المسلمين و تلاوموا و قالوا لا محمدا قتلتهم و لا  
 الكواعب اردتم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركتموهم فارجعوا  
 فاستأصلوهم فبلغ رسول الله ان المشركين قد عزموا ان يردوا الى المدينة  
 فيعيشوا بها فأحبّ ان يريهم قوة فصلّى الصبح يوم الأحد لثمان خلون



من شؤال و معه و جوه الأوس و الخزرج و كانوا باتوا تلك الليلة يحرسونه من البيات فلما انصرفوا من صلاة الصبح امر بلالا ان ينادى فى الناس ان رسول الله يأمركم بطلب عدوكم و لا يخرج معنا الا من شهد القتال بالأمس .

فخرج سعد بن معاذ راجعا الى قومه يأمرهم بالمسير و الجراح فى الناس فاشية و جاء سعد بن عباد ة قومه فأمرهم بالمسير و تتابع الناس و امر رسول الله بجمع الحطب فأذا أمسوا أمرهم ان يوقدوا النيران فيوقد كل رجل نارا فوقدوا فى تلك الليلة خمسمائة نار على عدد هم حتى كانت ترى على المكان البعيد و ذهب ذكر نيرانهم و معسكرهم فى كل وجه و كان ذلك مما كبت الله به عدوهم .

و جاء معبد بن ابى معبد الخزاعى وهو يومئذ مشرك الى النبى (ص) و كانت خزاعة سلما له فقال يا محمد عز علينا ما اصابك فى نفسك و فى اصحابك و لودنا ان الله اعلا كعبك و ان المصيبة كانت بغيرك ثم مضى معبد حتى وجد ابا سفيان و قريشا بالروحاء وهم يقولون لا محمدا صبتم و لا الكواعب اردتم فبئسما صنعتم وهم مجمعون على الرجوع الى المدينة فلما جاء الى ابى سفيان قال هذا معبد و عنده الخير ما وراءك يا معبد قال تركت محمدا و اصحابه خلفى يتحرقون عليكم بمثل النيران و قد اجتمع معه من تخلف عنه بالأمس من الاوس و الخزرج و تعاهدوا الا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم و قد غضبوا لقومهم غضبا شديدا و لمن اصبتم من اشرافهم قالوا ويحك ما تقول قال هو ما اقول لكم و ارسل معبد رجلا من خزاعة الى رسول يعلمه ان ابا سفيان و اصحابه انصرفوا خائفين و جلين فانصرف رسول الله بعد ثلاث الى المدينة : و حمراء الأسد من المدينة على ثمانية اميال .



( واما الوجه الثانى ) فذكر جملة من المحدثين فى سبب نزول هذه الآيات ان ابا سفيان قال يوم احد حين اراد ان ينصرف يا محمد موعد ما بيننا و بينك موسم بدر الصغرى فى القابل ان شئت فقال رسول الله ذلك بيننا و بينك فلما كان العام خرج ابو سفيان بأهل مكة حتى نزل مجنّه من ناحية الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له : فلقى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان انى واعدت محمّدا و اصحابه ان نلتقى بموسم بدر الصغرى و الذى نحن فيه عام جذب لا يصلحنا وقد بدد الى ان لا اخرج اليها و اكره ان يخرج محمّد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جرّة علينا فاذا احببت ان تلحق بالمدينة و تثبطهم ولك عندى عشرة من الأبل فافعل فأتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال لهم بئس الرأى رأيكم أبعده موقعة احد وهى فى دياركم تنتظرون النصره عليهم فى ديارهم فبان التضضع فى نفوس كثيرين .

فقال رسول الله و الذى نفسى بيده لأخرجنّ ولو وحدى فخرج رسول الله (ع) فى اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة و كان موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها فى كلّ عام ثمانية ايام فلم يلق رسول الله (ع) واصحابه احدا من المشركين ببدر و وافقوا السوق و كانت لهم تجارات فباعوها و اصابوا مكان الدرهم درهمين و انصرفوا الى المدينة سالمين : هذا هو خلاصة القول فى شأن النزول . و اما المعنى فقوله ( الذين استجابوا ) بمعنى لبوا الطلب الموجه اليهم من الله و الرسول الداعى لهم بالخروج الى ميادين القتال و مناجزة الأعداء و مواصلة النضال من بعد ما أصابهم القرع و اثر فيهم



( للذين أحسنوا منهم واتقوا ) اى استمروا فى احسانهم الى انفسهم وعقائد هم بالثبات عليها و الذب عنها ولم ينقلبوا على اعقابهم و لم يهدوا ما قام من بنائهم ( اجر عظيم ) يقوم بواجب تضحياتهم ( الذين قال لهم الناس ) والمراد بالناس هنا الوسطاء فى الأخبار ( ان الناس ) و المنظور بهم ابو سفيان و اصحابه ( قد جمعوا ) اى حشدوا جمعهم ( لكم ) اى لمانجزتكم فاحذروا منهم و كونوا على التفات فكانوا على تعبئة و حذر فزادهم الله ايمانا بمبادئهم لما صدقوا فى اعتناقها وقالوا فى انفسهم الله كافينا من هذه الغوائل وهو احسن و كيل فى الدفاع عنا فلما توفرت هذه الشروط فيهم رجعوا الى اهلهم بعد خروجهم قد ضفتهم نعمة من الله و فضل لم يمسههم سوء و جروا على ما يحرز لهم رضوان الله و الله ذو فضل عظيم على مستحق الفضل .

وقد صحت الرواية عن الصادق عليه السلام انه قال عجبنا لمن خاف كيف لا ينزع الى قول الله ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) أما سمع قول الله عقيب ذلك : فانقلبوا بنعمة من الله و فضل لم يمسههم سوء .



\* ( إنّما ذلکم الشیطان یخوّف اولیائه فلا تخافوهم

و خافون ان کنتم مؤمنین ) \*

المشار الیه بقوله تعالى إنّما ذلکم هی الأراجیف الّتی یطیّرہا المنافقون تخذیلا للمؤمنین و کسرا من شوکتهم فأبان اللّٰه سبحانه ان ذلک من فعل الشیطان لیخوف به اولیاء الرحمن فلا تخافوا المشرکین و المنافقین المرجفین بکم و خافونی انا ان کنتم مؤمنین بی ای ثابتین فی العقیدة ولا شک ان الثابت فی عقیدته یجب علیه ان لا ینحرف عنہا طرفة عین و الاّ فهو لیس من المؤمنین بہا .

\* ( ولا یحزنک الذین یسارعون فی الکفر انہم لن

یضروا اللّٰه شیئا یرید اللّٰه الاّ ینجعل لہم حظّا

فی الآخرة و لہم عذاب عظیم : ان الذین

اشتروا الکفر بالایمان لن یضروا اللّٰه شیئا و لہم

عذاب الیم ) \*

أبان سبحانه لنبیہ فی صدر الآیة ان المؤمن الثابت العقیدة بمبدئہ مثلک یا نبیّ الاسلام لا یقلق روحہ مسارعة الجہلۃ الی الکفر و تباطئہم عن الأیمان فان المؤمن الحقّ لا یزول عن مرکزہ بزوال غیرہ و عللّ سبحانه ذلک بأن کفرہم باللّٰه لا یدخل علیہ ضررا و ایمانہم بہ لا یوصلہ نفعا و إنّما نتیجۃ ذاک و هذا تضرر و انتفاع نفس الکافر بکفرہ و المؤمن بأیمانہ فی الدنیا و الآخرة جمیعا وان کان الضرر و النفع الأخریّان اجلا و آکد لاختصاص ذلک الیوم باللّٰه وحده .

نعم من وجهة دنیویة اجتماعیة یحزن النبیّ قلّة المؤمن بہ و تکالب



الكفرة عليه لانه يهوى سيطرة الأيمان على المحيط وكلّما كثر المؤمنون تأيّدت هذه السيطرة وكلّما قلّوا وهنت ونتائج سيطرة الأيمان او الكفر واضحة محسوسة في حطّ كيان المجتمعات ورفعها .

وقوله سبحانه يريد الله الأ يجعل ليس معناه ان الله يريد بالأرادة التكوينية اعتبارا الاّ يجعل لهم حظا في الآخرة فأن ذلك تحكّم لا يصدر من الحكيم واما ارادته لذلك تابعة لاختيار المكلف الكفر لنفسه .

واشتراء الكفر بالأيمان معناه مبادلة الأيمان بالفطرة بالكفر الذي يجلبه الانسان لنفسه بسوء اختياره و الايمان يضاف لله والكفر يضاف لغيره : ولو كان الايمان والكفر من السلع التي يتاجر بها لكان قلة نفاذ الايمان وكثرة جريان الكفر من الأضرار والمنافع التي تدخل على اصحاب مخازن الكفر و الايمان لكنّ هذا المطلب لا ينطبق على الله لانّ الله غنى عن كل شيء فلا ينفعه ايمان المؤمن به ولا يضرّه كفر الكافر به نعم ينتفع بذلك و يتضرر من يتاجر على هذا الحساب فتكون سعة حكمه منوطة بكثرة اعوانه و ضيقها بقلّتهم اذا فالمنتفع والمتضرر بالأيمان و الكفر في سوق العقيدة هو المكلف نفسه و الأجماع بتبعه .



\* ( ولا يحسبنّ الذين كفروا أنّنا نملى لهم خيراً  
 لأنفسهم أنّنا نملى لهم ليزدادوا اثماً ولهم  
 عذاب مهين ) \*

— ما — فى انما الأولى موصولة بتقدير ان الذى نملى لهم خيراً  
 لأنفسهم و أنّا الثانية حصرية : فى هذه الآية دفع دخل كثيرًا ما ندّد  
 به الكفرة باللّه المؤمنين به فقالوا لو كان هناك كما تزعمون ربّ موجود  
 لمات الكافر المناوء له جوعاً ولأثرى المؤمن به سنة جارية فى الحسب و  
 العداوة و الحال اننا نرى الكافر كالمؤمن منه ثرى و منه مملق ان لم يكن  
 الكافر اكثر تمولا من المؤمن بالنوع لأنّ مع الأيمان محدوديات فى الكسب  
 و ليس مع الكفر اية محدودية هذا هو الدخل .  
 و أمّا الجواب من اللّه فهو ان ما يراه الكافر من الراحة و الثراء فى  
 الدنيا ارخاء عنان له يستوجب به كثرة المسؤولية و ليس ذلك خيراً لنفسه  
 كما حسب و بالنسبة الى المؤمن فكلّ عناء ينوشه فهو كما يكون مكفّراً  
 لذنوبه ان حصل منه شىء فى ادوار تكليفه يكون سبباً لزيادة ثوابه واجره  
 بتحملة و عثاء الحياة راضياً بما قسم اللّه .



\* ( ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله و رسله وان تؤمنوا و تتقوا فلکم أجر عظيم ) \*

الخطاب في انتم للمشركين ولما كان الأتسان المشرك غير متعبد بدین لم يكن فارق بين الفرد والفرد منهم لان الفارق انما يكون بالوظيفة الملقاة على عاتق المكلف فباعتبار امثاله للوظيفة يعرف صلاحه و بعضيانه لها يعرف انحرافه اذا فعالم التكليف هو الذي يشخص البر من الفاجر و المطيع من العاصي و الطيب من الخبيث و من هنا قال سبحانه ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم ايها المشركون عليه من الأهمال و الأرسال حتى يميز الخبيث من الطيب .

و كأنه جواب عن وهم مفاده ان المشرك يقول ينبغي لله ان يريح اولئك الذين انضوا تحت رايته و اتبعوه و شيدوه لا ان يكلفهم بوظائف مهما كانت خفيفة فهي ثقيلة على العاطفة فكان الجواب ان ذلك بنفعهم و ان شق عليهم لان كل فضيلة و سعادة لا بد لها من مشقة تتحمل حتى تكسب صاحبها سمعة ظاهرية و حقيقة جوهرية .

و يذرف فعل مضارع بمعنى يترك منصوب بأن المصدرية المحذوفة بعد لام الجحود المسبوقة بكون ماض منفي : و ما كان الله ليطلعكم على الغيب كأنه سيق جوابا عن سؤال مقدر ايضا معناه ان المشركين قالوا لو كان الله حقا لأطلع عباده على ما يأتي عليهم حتى تقوى بصائرهم في



دينهم ودينهاهم و يأمنوا بوائق الدهر و حوادثه القابلة للأجتناب و الأجتنب فكان مفاد الجواب المطوى تفصيله فى مجمله ان الوقوف على الغيب فى بعض جوانبه ان أفاد فأَنَّ مضارّه او فرلان من يقف على ما يأتى عليه من طوارق الدهر من خير او شر فربما يطغوا قبل اوانه وربما تحترق و ذيله حياته قبل اوانها ايضا فعلى الإنسان عن علم ما يستقبل فيه نوع تسكين و تخفيف عليه ولكنّ الله قد يطلع خاصته على الغيب لقوة ايمانهم و ابدانهم و اذهانهم على تحمّل ما يلقي اليهم من علم مستقبل انفسهم و مستقبل الأغيار وهذا الأختصاص هو معنى الأجتنب و سياق الآيه مشعر به .

وقوله تعالى ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء يحتمل معنيين (الأول) ان رسل الله كعباده المؤمنين به متفاوتون فى المرتبة فالذى يختصه الله بتحمل علم الغيب هو المختار من الانبياء (والثانى) ان معنى قوله من رسله من كان واجدا لصلاحيه الرساله و ان لم يكن بالفعل رسولا لوجود من هو اكمل منه : فأمنوا ايها المشركون باللّٰه و رسله تسعدوا و ان يحصل منكم الأيمان عقيدة و التقوى عملا فان ذلك يوجب الأجر العظيم و الثواب الجسيم لكم .



\* ( ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرّ لهم سيّطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ) \*

البخل من ارنذل الصفات لأن فيه مجافاة للفطرة الأنسانية الداعية الى فعل الخير مع القدرة عليه و أنّما يزعها عن ذلك تسويلات النفس ولأنّ فيه احتكارا قدرا فأن البخيل يعلم أنّ ما يجمعه لا يأكله و إنّ ما ادخره يكون لامحالة سهما لآخر لم يسهر على جمعه طرفة عين و قد لا يكون ذلك الغير قريبا حميما او حرّيا بما جمع له و هذا هو معنى كون البخل شرّا للبخيل .

و أنّما تطويقهم به يوم القيامة فهو مسؤوليتهم به كيف جمعه و هل راعوا في جمعه الحق و الصدق اولا و لم لم يؤدوه في واجب عليهم سواء كان واجبا في الدين ام في الاخلاق .

و ليس البخل منحصر بالمال و ان كان هو بالمعنى الظاهر فيه بل يتعلق بالبخل و السخاء بكل ما يتمكن الإنسان بسببه أن يرفع ضرورة و يحلّ مشكلة من جاه و قدم و قلم و اشباه ذلك ممّا قل و كثر حيث ينتفع به فرد او مجتمع و سرّ ذلك ان الحياة بدون التعاون لا تتيسّر و هذا المعنى قد أفيد بكلمة النبيّ الشهيرة كلّم راع و كلّم مسؤل عن رعيته فان الراعي مسؤل بجميع ما يؤمن مصونية مارعا و بكلمته الأخرى حيث قال من بات و اصبح و لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس بمسلم و هذان الحديثان مع الآيّة ينصّان على ان الحقوق البشرية بأسرها حقوق متبادلة بتبادلها تتيسر الحياة و لا تتعسر و الآ فشدائدها لا تتسهّل بأمر آخر .



و معنى كون الله هو الوارث لما فى السموات و الأرض انه هو  
 الباقي بعد فناء العوالم كلها فالوارث الحقيقى هو لاغيره و الله بما  
 تعملون من خير و شر بخل وجود عليم خبير لا تخفى عليه من اعمالكم  
 خافية .

\* ( لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير و  
 نحن اغنياً سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير  
 حق و نقول ذوقوا عذاب الحريق " ذلك بما  
 قدّمتم ايديكم و ان الله ليس بظلام للعبيد ) \*

الآية نزلت فى اليهود المعاصرين لنبيّ الاسلام لأنهم هم الذين  
 قالوا ان الله فقير و نحن اغنياً عقيب قوله تعالى فى القرآن من ذا  
 الذى يقرض الله قرضاً حسناً و من المستبعد فى حقهم و مهما جهلوا  
 ان يعتقدوا فى هذا القول حقيقته و ان الأقرض يكون لله نفسه لحاجته  
 و لكنهم ارادوا أن يندّدوا بدين الاسلام الذى ينسب بزعمهم امثال  
 هذه النسب لله سبحانه فهم لا يرون الخالق بتعريف الاسلام له الخالق  
 الذى ينبغى أن يعتقد به رباً خالقاً للعالم و يستدلون على ذلك بأنهم  
 يرون انفسهم فى الأعم الأغلب اغنياً وهم مع ذلك مخلوقون لله مصنوعون  
 له فكيف يكون الصانع فى حاجة المصنوع و الخالق فى حاجة المخلوق .  
 و اشار سبحانه بقوله سنكتب ما قالوا الى ان اقوال و افعال  
 المكلفين فى هذه النشأة مرقومة مكتوبة مدخرة لهم فى يوم معاد هم على  
 ربهم لا أن ماتقوله السننهم و تدّرعه جوارحهم مهمل مغفول يقول  
 القائل و يفعل الفاعل و تمرّ الايام فيعود ما قال و ما فعل نسياً منسياً .  
 و يشعر قوله تعالى و قتلهم الانبياء ان الراضى بفعل المجرم المصحح



لخطأه شريك له فى جرمه فان الذين قتلوا الأنبياء كىحيى بن زكريا ليسوا هم الأسرائييين المعاصرين للاسلام بل اسلافهم لكن هو لاء الأخلاف لما برروا جميع اعمال سلفهم و مجدّوهم و استنوا بسنتهم كانوا مثلهم فى تلك المآثم .

هذا و نتيجة ضبطنا لما قالوا و فعلوا أن ينالوا جزاء اجرامهم و هو ذوقهم لعذاب الحريق اى ملابسة الحريق لكافة اعضاءهم و احشائهم كما ان الذوق يتلابس بجميع اجزاء الحاسة الذائقة و الذى نوره بهم من العذاب جزاء وفاق لما فعلته ايديهم و ان الله ليس بظلام للعبيد و لامتجاوز عن حريم الحق الى ما هو خارج عنه .



\* ( الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن  
 لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل  
 قد جائكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى  
 قلمتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين : فأن  
 كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك جأؤا  
 بالبينات والزبرو الكتاب المنير ) \*

يعنى ان الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء هم بأنفسهم  
 الذين قالوا ان الله عهد الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله  
 النار و أخذ هذا العهد ما يدعون ان الله كتب لهم فى التوراة من  
 علامة صدق اى نبي يأتهم مدعيا للنبوّة انه يأتى بقربان والقربان هو  
 كل ما يتقرب به الى الله سبحانه ويجوز ان يكون مصدرا واسم عيّن  
 فتنقض عليه نار من السماء فتأكله ومعنى اكلها له استيلاؤها عليه بنفاده  
 فانت يا محمد انسان تدعى علينا النبوّة و تريد منا ان نؤمن بك فأتنا  
 بقربان تأكله النار حتى نصدّقك فقال له الله قل لهم قد جاءكم رسل من  
 قبلى بالآيات البينات الداله على صدقهم كما جاءكم بالذى اردتم من  
 القربان الذى تأكله النار فلم تصدّقوا بهم ولم تعترفوا بنبوّتهم  
 وتجاوزتم فى ذلك ابعد الحدود فقتلتموهم فيها انا حتى لو اتيتكم  
 بقربان تأكله النار لانا ل طرفا من تصدّقكم فى لأنكم لم تصدّقوا مع  
 اسلافى من الأنبياء .

فأن قيل لم لم يأتهم بالقربان الذى ارادوا ولو تيقن مع ذلك انهم  
 لا يؤمنون به قلنا ان خرق الطبيعوتان كان هينا على الله الا انتم  
 لا يفعله الا عن حكمة واعية اليه والحكمة هنا مفقوده لفرض ان الطرف



مصرّ على العناد مضافا الى انّ الأعجاز والأتيان بالمعجز ليس منوطا  
بارادة مريده فقد يريد المكلف الجاهل من الله سبحانه امورا سخيفة  
لا تتفق مع المنطق .

ثم توجه سبحانه الى نبيّ الأسلام مسلّيا له عن تكذيب اليهود آياه  
و اصرار جملة من الجهلة على جهلهم في قبالة بقوله تعالى فان كذبك  
وتجافى عنك هؤلاء و اشباههم فقد كذب رسل من قبلك جاؤا اممهم  
بالآيات الواضحات التي لا غبار على صدقها و وضوحها و تأييدها لمن  
جاء بها كما جاؤهم بالزبر وهي المدونات المخطوطة المشحونة بالمواعظ  
و الزواجر و بالكتب التي يعلوها نور من مثاليّتها وقد سها و صدقها  
وصحتها و الحقائق المكشوفة كما لها انصار عاملون فأنّ لها مناوئين  
اشداء لأهداف مرموزة و اغراض فاسدة و منويّات شيطانية .



\* ( كل نفس ذائقة الموت و إنما توفون أجوركم يوم

القيامة فمن زحزح عن النار و ادخل الجنة فقد

فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ) \*

الموت و الحياة معنيان متقابلان تقابل العدم و الملكة فأن الموت عدم الحياة عمّا من شأنه ان يكون حيّا و الحياة فى الطبيعة ناموس اثره النمو و النماء و الحسّ على اختلاف مراتبه فالموت معناه انعدام هذا الأثر فلا ينمو الميت ولا يحسّ وكلّ حيّ لا بدّ له ان يعطى حياته من يده لأن مادته الطبيعية امّا ان تتلاشى بالاستحالة او تنقص و كـلا الأمرين يسببان الموت هذا من وجهة طبيعية لا عقلية و امّا العقل فلا يمنع استمرار الحياة فى قابلها اذا حصل له حافظ يصونه و بالأخرة لا تمنع بين حكم الطبيعة و حكم العقل يفهم ذلك ممّا اشعرنا به .

و النفوس التى يجوز ان تكلف ميدان تكليفها هذه النشأة و محل جزائها يوم القيامة و ان يحصل نوع مجازاة فى هذا العالم فهو شعاع خفيف عن المادة المحكوم بها غدا على المجرم او له و هذا هو معنى وفاء الأجور .

فمن زحزح عن النار اى ابعده عنها و ادخل الجنة و هى النعيم فقد فاز وسعد و الا فقد شقى و بئس و هذا اللسان منذر محذّر للعاقل عن ان يقذف بنفسه فى لهوات هذه الحياة التى مآلها الى الفناء و الفساد مع أنّها فى ظرفها ايضا غرور و خداع، فأن عمر الانسان لو حللناه لوجدنا آفات نعيمه ان ناش نصيبا من ذلك فى طويل ايام بلائه و عنائه لا قيمة لها حقا و من هنا صح ان يقول ربّ العزة و ما للحياة الدنيا الا متاع الغرور .



\* ( لتبلونّ في اموالكم و انفسكم و لتسمعنّ من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم و من الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فأن ذلك من عزم الأمور ) \*

اللام في قوله لتبلونّ و هكذا المشدّدة جيء بها للتأكيد بمعنى ان تلبس المؤمن في ادوار حياته بالبلاء قلّ ام كثر ضربة لازب لان تقيدّه بمقيدات دينيه يجرّ عليه ما لا يلائم نفسه المادية و لا ينسجم مع ادواق المنحرفين .

و من جملة ذلك انّ ماله لا يسلم له كما يسلم للآ ابايين لان بعض الملابس قد توجب عليه ان يفتكّ نفسه او حرّية عقيدته بمال غير مستحق عليه و هكذا قد يصاب بنفسه ما لا يصاب بمثله الفاقد للأيمان المذبذب في جريان الحياة و هكذا قد يسمع من شتم عرضه ما يؤذيه اذية غالبية من رقبائه في العقيدة كرقابه اهل الكتاب للمسلمين و رقابة المشركين للمؤمنين .

و لكن رصيد كل ذلك للمؤمن صبره و تقواه فان الحازم لا يعطى متانته من يده و يروض نفسه حتى يخضعها لمضغ الحوادث و هضمها . و ليعلم ان الايمان الصحيح و العقائد الصحيحة من لوازم الفطرة المستقيمة التي و هبها الله لكل انسان سوى الخلقة كالمزاج الطبيعي الذي هو من لوازم البنية السالمة اذا فمن الطبيعي ان يعتقد الانسان بالحق كما انه من الطبيعي أن يشتغل المزاج شغلا صحيحا و يعمل كل جهاز لما أعدّ له لكن لما مالت الالهواء المتسفلة بالأذهان السالمة و العواطف المرذولة بالعقول الصحيحة و عبث الانسان بكرامة مزاجه



التفسير ج ٢ اخذ الله الميثاق من العالم بتعليم الجاهل ١٦٧  
فسيره على خلاف مقتضيات الطبيعة وكثرت هذه الانحرافات فأصبح  
الايان الصحيح عزيزا الوجود من ناحية وطاردا من ناحية ثانية بحكم  
الرقابة كما ان المزاج الصحيح جاء بهذه المثابة فكما ان سالم البنية  
مثار غبطة و حسد للباقيين كذلك سالم العقيدة محلّ مطاردة و مبارزة  
لكونه في جانب اقلية .

و من هنا وصّى الله سبحانه عباده المؤمنين بالصبر على بلاء  
المعاندين الذين يريدون اضرارهم في اموالهم و انفسهم و أفساد ان  
ذلك من لازم كل مستقيم في قبال الشواذ و المنحرفين .

\* ( و اذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب

لتبيننه للناس و لا تكتمونه فنبذوه و راء ظهورهم

و اشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ) \*

الميثاق هو القول المقرّر سواء كان بالمواجهة بعضا من بعض او  
بتقرير من له السلطه في كتابه الى من قرّر عليه و الطرز الثاني هو نحو  
اخذ الله الموائيق من عباده المكلفين .

و معنى الآية أنّ الله اخذ ميثاقه من بنى اسرائيل الذين آتاهم  
التوراة او التوراة و الانجيل ليشمل النصرى : او انه تعالى اخذ  
الميثاق من كل امة انزل عليها كتابا بلا استثناء لتبينن الكتاب الذى  
انزل عليكم لكافة الناس فانّ فيهم العوام الذين يحتاجون الى من يتلوه  
عليهم و يبين حتى ظواهره لهم كما انّ فيهم اولى مكاسب و حرف تنهب  
اوقاتهم من ايديهم فلا يحصل لهم من الفراغ الاّ الزمن المنزور فيجب  
على المتوسعين فى اوقاتهم و افهامهم الاّ يغفلوا تلك الفرص ولا يضيعوها  
بل يترصدوها منهم لبيان احكام الله لهم المودعة فى كتابه المنزل



التفسير ج ٢ اخذ الله الميثاق من العالم بتعليم الجاهل ١٦٨  
و الجارية على لسان نبيّه المرسل .

و يحرم على امثال هؤلاء كتمان ما علموه من الكتاب وعرفوه من  
الشريعة و فى هذه الآيه دليل واضح على وجوب نشر العلم من العالمين  
به كائين من كانوا و حرمة كتمانهم اشاعة للفضيلة و طردا للرديلة فان  
الفضيلة بنت العلم و الرديلة اخت الجهل : و ليعلم انه لا علم الا ما نفع  
و ان تحصيل العلم بمجردة لا قيمة له بل قد يكون مجلبة للأثم اكثر مما  
يجلبه الجهل .

و قد حدّث الحكم بن عتيبة عن نجم الجزّار قال سمعت على بن ابي  
طالب عليه السلام يقول ما أخذ الله على اهل الجهل ان يتعلّموا حتّى  
اخذ على اهل العلم ان يعلموا .

فنبذوه اى نبذ اهل الكتاب الذين أوتوه ذلك العهد و الميثاق  
و لم يعيروه و فاء كالملقى للشىء الكائن امامه و راء ظهره و باد لوابه هذا  
الميثاق مصالح تافهة لأجل رواج رغبتهم من مال منزور او جاه ميسور او  
تقد يما لبطالة الانكماش على تعب العمل و هذا هو المنظور بقوله  
تعالى و اشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشتررون : و اما كون ذلك شيئا بئسا  
فلأن الانحراف عن المقرر الصالح مآله الى بوار شامل و شرّ عام و قد  
جربت البشرية ذلك فى ادوار اجيالها تجارب محققة اتت عليها بالدمار  
المالحق و مع ذلك لا يعتبر اللاحق بما ابتلى به السابق .



\* ( لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن  
يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من  
العذاب ولهم عذاب اليم ) \*

هناك الكثيرون الذين يفرحون بما يكون عنهم خيرا كان ام شرّاً  
لحبّهم لأنفسهم و اعتزازهم بها و بنائهم على ان كل ما يأتونه او يذرونه  
هو الحقّ ولا شكّ ان هؤلاء جهلاء ومهما علت مقاماتهم وهناك الكثيرون  
الذين يحبّون ان يحمدوا ويمدحوا حتى على ما لم يصدر منهم ويرضخون  
الرضائخ الدسمة على تزوير نسب الخير لهم و ما اكثر ما حصل من ذلك  
فى الدنيا غابرا و حاضرا فأمثال هؤلاء لا تحسبهم بعيدين عن العذاب  
لأن خبث ضمائرهم الذى دعاهم الى كل تلك الهنات يقربهم الى  
العقوبة .

\* ( و لله ملك السموات والأرض و الله على كل

شياء قدير ) \*

لا شك ان خالق الشياء و مبدعه من العدم هو المالك الحقيقى له  
و كل مالكيّة وراء ذلك فهي شعاع لا اساس لها ولما كانت العوالم  
السفلية و العلوية مبدعة لله تعالى اوجدها بعد أن لم تكن كانت ملكا  
له بالحقيقة الخالصة من الغلوّ و الأسفاف و اذا كان هذا الكون الزّخار  
بالموجودات المتنوعة خلقه لله تعالى كان من لازم ذلك ان الله على كل

شياء قدير .



\* ( ان فى خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار آيات لأولى الألباب : الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات و الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار : ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا فآغفر لنا دنوبنا و كفرنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار : ربنا و آتتنا ما وعدتنا على رسلك و لا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ) \*

السموات عبارة مختصرة عن جميع العوالم ماعدا الأرض و الأرض هى كرتنا التى نعيش عليها وهى على ما فيها من عجائب الخلقة و صنوف الأبداع الفاتئة عن الدرك و الأحصاء صغر فى قبال ما سواها من موجودات الكون و لا شك عند كل احد ان فى خلق السماوات و الأرض اخاذية لعموم البصائر و الأبصار فأن العالم الأخصائى يفنى عمره فى المطالعة عن ذرة مما لا يحصى من كائنات الكون وقد تفوته نكات عميقة فيما بحث عنه فكيف بصنوف العالم كلها و ادعاء أن كل ما هب و دب و تحرك و سكن و جد جزافا كل ذلك مطرود عن ساحة العقل اذا فهناك مبدأ قهار تعجز العقول عن دركه اوجد هذه العوالم و ضاعها بهذه الصياغات التى نعلم قليلها و نجهل الأهم الأعظم منها .

نعم الذى جرأ الكثيرين على نكران الصانع هو وجود ما لا يفهمونه من اسرار تسييرها بهذا اللون الذى أحسّت به البشرية منذ كانت و تحسّ به الى ابدالها بدين فهذا الأرتباك المزعج فى السير الحيوى و ما



تعتوره من حالات و تارات بما لا يتحمل القليل منه اعظم الصابرين من الناس هو الذى ارخص قيمة هذا الكون فى نظر اهله و جعلهم ينظرون اليه بحقد باطنى و يتلهف الكثيرون على بقائهم عدما صرفاحتى لا يبتلوا ببلاء هذا الوجود و تصاريفه .

و معنى اختلاف الليل و النهار وقوع احد هما يعقب الآخر و خليفة له و اولوا الألباب هم اهل العقول لا القشريون من الناس ثم اخذ سبحانه يعرّف بأولى الالباب و يقول انهم هم الذين بعد أن ادركوا عظمة الخالق من عظيم الخلقة اخذت بواطنهم لا تبارح ذكره و التفكر فيه و جوارحهم لا تسأم من عبادته و ابراز الخضوع له حسب ما تساعد هم الظروف عليه قياما و قعودا و على جنوبهم و كلما امعنوا فى اسرار الخلقة و وقفوا على شىء من غوامضها قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا بل لداع حكيم و منشأ قويم فقنا عذاب النار التى وعدت بها المقصرين فى حرك المتجافين عما يتقاضاه جليل مقامك .

ربنا انك من تحكم عليه بدخول النار و ملابستها فقد أهنته امام نفسه و غيره و ليس له فى مقابلك ناصر يلتجأ اليه و يستنجد به .  
ربنا اننا سمعنا بأذان عقولنا من طريق بدائع الجبارة و بأذاننا المعادية من طريق رسلك و دعائك مناديا ينادى بلزوم الأيمان بك فآمنّا منقادين صاغرين فاغفر لنا ذنوبنا و امح عنا بفضلك سيئاتنا واحشرنا مع البارئين بك غير المتجافين عنك و آتنا ما وعدتنا من الثواب على لسان امناءك و لاتهنّا يوم الوفود عليك و ان لم نكن اهلا للأعزاز انك من اصدق الصادقين و اوفى الاوفياء .

و قد صحّ عن النبىّ (ص) فى هذه الآيات الخمس انه قال ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتأمل ما فيها .



\* ( فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذي ين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ) \*

هذه الاستجابة وقعت عقيب طلب الأجابة من عباد الله الذين قالوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة : وهذه الآيات تدل على مرغوبة الدعاء لما فيه من امكان استجلاب الجواب .

و كون الله لا يضيع عمل عامل من شرائط العدالة فى التكليف كما ان العامل لا يفرق فيه بين الذكر والانثى لان الجميع من هوية واحدة فى الموارد التى يستويان فيها و ان اختلف الذكران عن الأناث بفوارق طبيعية الا ان هذه الفوارق لا ربط لها بأصل موضوعية التكليف : وهذا هو معنى قوله بعضكم من بعض الذى هو جملة ابتدائية جىء بها تعليلا لعدم الفرق بين الذكور و الأناث فى عالم التكليف و الجزاء عليه . ثم ساق تعالى نموذجا من الاعمال التى بها يستحق العبد الجزاء الحسن على ربه فمن ذلك الهجرة من دار يضغط فيها على المكلف فى مقابل تظاهره بعقيدته فلا يكون المؤمن تام الايمان حتى يفرج عن عقيدته بالترفيه عنها و ذلك من طريق الهجرة الى دار يكون فيها حرا غير مضغوط عليه .

و من ملاك ذلك بعده عن كل ما يضعف عقيدته عنده كالخليط



الفاقد للعقيدة او المستهين بها و كحضور مجالس تبليغ السوء و ما الى ذلك مما يوجب الاحتكاك معه ضعف الدين حتى يؤل به الأمر الى

ذوبان دينه .

و منه تحمّل الأذى فى سبيل الله كالصبر على سخريه الساخر به و الطاعن عليه و الشاتم له و منه الخروج الى سوح القتال و القتل فى سبيل الله فأن هذه الحسنات تقع مكفرة للبوادر الحاصلة من العبد امام ربّه كما تكون موجب له لدخول الجنة و التنعم بنعيم الله : وانتصاب ثوابا على انه مفعول لأجله و معنى قوله و الله عنده حسن الثواب ان غير الله و مهما شهم و كرم لا يساوى الله فى حسن جزائه فانه يضاعف لعبده المؤمن ما لم يخطر له ببال .



\* ( لا يغرّنك تقلب الذين كفروا فى البلاد : متاع قليل ثم مأواهم جهنّم ويئس المهّاد : لكن الذين اتقوا ربّهم لهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدون فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار ) \*

كاف الخطاب فى قوله لا يغرّنك يجوز فيها العموم لكل من تتأتى منه الرؤية او السماع كما يجوز فيها الخصوص بنبىّ الاسلام والتقلّب هو التصرف و تسهّل الموارد و المصادر و المتاع ما يستمتع به و المهّاد ما مهّد من المكنّ و المأوى و الآية فيها ازاحة شبهة و نوع من التسليّة للعموم من النبىّ و المؤمنين به كما فيها دفع دخل يورده غير المتديّن على المتديّن بأن الكافر خير فى حاله من المؤمن لأنّه لا يتحرج من شىء و يسعى فى كل مسعى يثمر له ثمرا : و لذا نرى الكفرة يتمتعون بالمال و الجاه و انبساط الامور و ترى المؤمنين فى هذه الحياة بالعكس مشردين مضامين متعسرى الأمور .

و جواب هذا و ذاك ان الكافر كما ذكر يتقلب فى البلاد مهياً الراحلة و الزاد و المؤمن فى نوعه قد لا يكون كذلك الا ان حياة الكافر فى هذه النشأة محدودة و عقباها فاسدة و نتيجتها العذاب المستمر غير القابل للتحمل و حياة المتقى فى هذه الدنيا الضيقة تثمر له حياة غير محدودة فى اللذة و الرخاء و الدوام و الاستمرار : و الذى عند الله من حسن المآب خير للأبرار من حياة الكافر فى الدنيا من كافة الجهات .

و يروى عن عبد الله بن مسعود أنّه قال ما من نفس برّة ولا فاجرة



الآ والموت خير لها من الحياة و تفسير ذلك ان وراء الموت للبرّ رخاء غير مشوب و دائما غير منقطع ولا شك ان الموت الذى يثمر ذلك خير من ادامة البقاء فى هذه الحياة المنغصّة و مهما قرب موت الكافر فانه يقلل من بلواه و يحدّد من خطاه و يحذف من جرائمه و يقصر من سيئاته

\* ( و انّ من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله و ما انزل

اليكم و ما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون

بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند

ربهم ان الله سريع الحساب ) \*

بعد أن ندّد سبحانه بأهل الكتاب فى آيات عديدة و ذكرهم بالعناد و الانحياز الى الرموز أبان أنّه قد يحصل فى كثراتهم الجوفاء من يملك اللبّ و ينطوى على صادق الحبّ لما يتولاه من عقيدة و انه انما تهوّد او تنصّر لأجل الله الذى آمن به فانه يدّين بالاسلام لأجل ذلك فهو كما احبّ موسى و عيسى فى الله يجب عليه ان يحبّ محمدا لهذا السبب فأحبّه و آمن بالجميع فى عرض واحد بداعى الخضوع لله لا للفرد و لا للعنوان الخاص و لانحيازها الى رمز او انتهاز المطمع كما يفعل المنافقون ذلك .

فان اليهودى الذى تتجلّى له حقيقة المسيحية و لا يؤمن بها ليس بيهودى ايضا و انما هو صرف منتسب لها و هكذا اليهودى الذى تتجلّى له واقعية الاسلام و يجحد ها ليس بمؤمن بالله سبحانه بل هو مرموز حتى فى يهوديته .

و ما ذلك إلا لأجل ان هذه العناوين لاقيمة لها فى نفسها وانما قيمتها بالمبدأ الذى امر بها وقد أمر المبدأ بعيسى بعد ارساله و



بمحمد لعد بعثته فالتلوي على عيسى و محمد تلوا على الله تعالى .  
 اذا فالذى يؤمن بالله و ما أنزل على نبيّ الاسلام و ما أنزل على  
 من قبله من الرسل كموسى و عيسى خاضعا فى قبول ذلك لربه الذى  
 امره فلم يتمرد فى عبوديته امامه و لم ينتهز مندوحة اغراضه الشخصية و  
 ميوله النفسية فهو له اجره الموفور عند ربه يصل اليه فى اول اوقاته و  
 بالعكس فان الذى يدّرع الانتهاز فى العقيدة فانه شرّ من الكافر الملحد  
 بالله لتجافيه عن التعرّف بالله لعوامل غير مرموزة .

\* ( يا ايها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا

و اتقوا الله لعلكم تفلحون ) \*

الصبر و المصابرة من مادة واحدة اولية هى حبس النفس لكن  
 المصابرة تعطى معنى المقابلة و لزمها الصبر فى مقابل الأغيار الذين  
 يريدون خلاف ما يعتقدون الطرف و المرابطة اصطلاح فى ملازمة الثغور  
 لأجل حفظ الوطن و التقوى المحاذرة من التورط فى مناهى الله فالصبر  
 يكون على الطاعة فى التكليفات و على هضم الحوادث فى التكوينيات و  
 المصابرة تكون فى دفع الأغيار الناصبين للعقيدة جهادا أودفاعا و المرابطة  
 نصب النفس لذلك دعما للعزة و حفظ البيضة و التقوى تكون عن المعاصى  
 وهى مفتاح فلاح العبد ان شاء الله تعالى : و بهذه الآية تنتهى  
 سورة آل عمران :



\* \* ( سورة النساء ) \* \*

مدنية كلها قيل الا آية واحدة. نزلت بمكة عام الفتح و هي قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها وعدد آيها ( ١٧٧ ) عند اهل الشام و ( ١٧٦ ) عند اهل الكوفة ، و ( ١٧٥ ) عند الباقيين ، سميت السورة بالنساء لورود هذا اللفظ فيها كالمناسبة في سورة البقرة وغيرها وقد ورد في فضلها اثر كثير .

\* ( بسم الله الرحمن الرحيم : يا ايها الناس اتقوا

ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها

زوجها و بثّ منها رجالا كثيرا و نساء و اتقوا

الله الذى تسائلون به و الأرحام ان الله كان

عليكم رقيبا ) \* \*

يا ايها الناس خطاب لكافة بنى الأنسان موحد هم و ملحد هم و امر  
الجميع بتقوى الله منزل على الواقع لاعلى العقائد فان الجميع مخلوقون  
له و ان انكر جملة منهم ذلك و النفس الواحدة هي الأصل الأولى  
الذى حصل منه التفرع و بما ان التوالد اللقاحى يتوقف على طرف ثان  
ذكره بقوله تعالى و خلق منها زوجها و معنى ذلك ورد في الآثار  
السمعية فقيل من فاضل طينته و قيل من ضلعه القصيرة .

و على اثر اللقاح و التوالد بين الذكور و الأناث بثّ منها رجالا  
كثيرا و نساء كذلك و ضرورى للمخلوق ان يخاف سطوة خالقه المتصرف  
بأصل خلقته و فروعها فأنه قادر ان ينزل أى شىء اراد بمخلوقه لذلك  
فهو محل لأن يخاف منه قطعا و ان كان لا بدّ مراعاة للحكمة ان يكون  
خوف العبد للمعبود و المخلوق للخالق عن منشأ عقلائى ولا يكون



جزافا .

ثم اعرب سبحانه عن الموجب لخوفه بطريقة ثانية هي اوضح عند  
المخاطب من طريقة اصل الخلقة فقال و اتقوا الله الذى به ينشـد  
بعضكم بعضا و يقسم به عليه فيقول انشدك الله الا ما فعلت كذا ولا  
يقسم الأناسان بشىء لآخر الا و للمقسم به كيان و احترام عند الطرفين  
و كل محترم للنفس ملحوظ لديها بالأكبار يجب اتقاء معصيته .

و الأرحام بالنصب معطوف على لفظ الجلالة بمعنى و خافوا ايضا  
قطع الرحم و التجافى عنه و عدم الأعتناء به و قرئ بالجر فيكون عطا على  
الضمير المجرور بالباء فيكون اطراد الآيه هكذا و اتقوا الله الذى  
تتسائلون به و بالأرحام فأنهم كانوا يقولون فى الكثير من كلامهم  
انشدك بالله و الرحم لكن عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور  
بدون تكرار حرف الجر قبيح فيجب تنزيه القرآن عنه .

و الرقيب هو المراقب الناظر الى حركات الطرف و سكناته حتى انه  
لا يغيب عنه شىء وعن هذا المعنى اخذت الرقابة فى الأعمال والمهن  
و التجسس ، و الآيه تشير الى اصلين من اصول العلوم الطبيعية  
(الأول) ان خلقة الأناسان ابتدائية ابداعية و ليست بالتحول كما  
يدّعيه المشرب الدارونى (والثانى) ان النتائج لا يكون من دون لقاح  
الا اذا اقتضى الأعجاز ذلك كما حصل فى المسيح ابن مريم ، وتشير الآيه  
ايضا الى استنقاص صفة التكبر و دم المتكبرين بسبب الأنساب و ان  
اصل الجميع اذا كان واحدا لم يكن من الحق ان يتكبر انسان على  
انسان من ناحية آباءه و اجداده .



\* ( و آتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث  
 بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان  
 حوبا كبيرا ) \*

اليتيم هو الذى لا أب له مع كونه غير بالغ فلا يتم مع البلوغ ولزوم  
 ايتاء الأولياء و الأوصياء اموال اليتامى لهم مشروط بالبلوغ و الرشد كما  
 جاء فى قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم  
 و اطلاق اليتيم على البالغ مجاز باعتبار ما كان و الأيتاء فى هذه الآيه  
 كما يشمل بظاهره ما بعد البلوغ يتناول ما قبل البلوغ ايضا بالنفقة عليه  
 فأنه ايتاء له ايضا و كما امرهم سبحانه بأيتائهم اموالهم نهاهم ان  
 يبدلوا مال اليتيم الطيب بأموالهم الخبيثه و يعاوضوه فى حال صغره  
 بما لا يقبله منهم لو كان رشيدا .

ولا شك ان ابدالهم طيبه بخبيثهم لؤم و خيانه للأمانه كما نهاهم  
 ان يجمعوا بين اموال اليتامى و اموال انفسهم لخاصة اكياسهم و يحرموا  
 اليتيم منها بالمره فأن ذلك من اعظم الجرائم و لذلك قال عنه سبحانه  
 انه كان حوبا اى جرما كبيرا و الحوب هو الأثم و كان فى اصله لزجر  
 الأبل لأن كل اثم يزرعنه .

و ملاك الآيه هو توصية الأقوياء من اى طريق كان لهم فيه قوه  
 بالضعفاء فلا يجوز لهم ان يتخطوا حدود الحق انتهازا للنفوذ الذى  
 يملكونه فيكون اليتيم كناية عن الضعيف و الولى كناية عن القوى .



\* ( وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب  
لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فأن خفتم الا  
تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايما نكم ذلك ادنسى  
الاتعولوا : و آتوا النساء صدقاتهن نحلة فأن طبن  
لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ) \*

الخوف يطلق على انصراف النفس الى الشىء او عنه بسبب يقين  
او ظن يقوم بذلك الصرف و اقسط مهموزا بمعنى عدل و انصف و بدون  
همز ( قسط ) بمعنى جار و ظلم و كلمة ما وان كان المعروف فيها  
اطلاقها على غير العاقل الا انها كثيرا ما تطلق على العاقلين ككلمة  
من فان المعروف فيها اطلاقها على العقلاء لكنها تطلق بكثرة على  
غيرهم ( فالاول ) كقوله تعالى و السماء و ما بناها ( والثانى ) كقوله  
فمنهم من يمشى على بطنه .

و قالوا ان ( ما ) تقع للنعوت و لو كانت نعوت عاقلين و من جملة  
ذلك ما نحن فيه اى فانكحوا الطيب من النساء و مثنى و ثلاث و رباع  
الفاظ معدولة عن اثنين اثنين و ثلاثة ثلاثة و اربعة اربعة و عا  
الرجل عولا اذا جار و منه العول فى الفريضة فأن فيها جورا على اهل  
الفرائض ، و الصداق و الصدقة بفتح الدال و الصدقة بضمها الفاظ  
بمعنى المهر و النحلة العطية وقد تطلق على الدين كما يقال فلان  
انتحل كذا مذهب بمعنى دان به و طيب النفس رضاها و هنا و مبرا  
بمعنى طاب .

ولا شك ان ظاهر هذه القضية الشرعية و ان خفتم الا تقسطوا  
فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم ظاهر قلق و لكن مع مراعاة وجه نزولها



يرتفع هذا القلق فى المعنى فأن الرجل فى زمان نزول القرآن كان يكفل اليتيمة لكونه مشرفا على وضعها و وليا لها و يرغب ان يتزوج بها و بما انه يعتبرها كملك له لا ينصفها فى مهرها الذى يعقدها عليه ولا يعطيها كما يعطيها غيره من الازواج الأجنب الى غير ذلك من التساهلات التى تكون بين الأقارب و اشباههم لذلك امر ان يتجافى عنها الى غيرها من النساء حتى لا يقع فى محذور الحيف بها و الغمط من حقوقها و نظير هذا المعنى متداول فيما زاولناه من مسير العشائر فانهم يبخسون القريبة فى صداقتها الى حدود بعيدة و يسومونها للأجنبى بأغلا ثمن قد يكون نسبه ٩٥ بالمائة اضافة على ما يتداولونه بينهم .

فيكون معنى الشرطية على هذا فأن خفتم من انفسكم جورا فى اليتامى الواقعين تحت كفالتكم بمنزلة وقوع المالك لكم فاعد لوا عنهن و تزوجوا ما طاب وحلّ و وقع من رغبتكم موقع القبول ، و ذيل الشرطية من مسألة تعدد النساء لا ربط له بالقضية كلها و انما ربطه بالجزاء فقط كأنه قيل فهل نكاح ما طاب لنا غير محدود بحدّ او انه محدود فأجيب بجواز التعدد ثم هل العدد المذكور هنا حدّ لا يتخطى او انه سيق مساق المثال لا اشعار من الآيه بالتحديد بالأربع الأعلى احتمال اقوى فأن احتمال سياقه مساق المثال قوى ايضا .

نعم ورد فى السنة ما يقطع معه بالتعيين و التحديد بالاربع حرائر للحرّ ، هذا ولا يجوز ان يحتمل ارادة اثنين اثنين من كلمة مثنى و ثلاثة ثلاثة من كلمة ثلاث و اربعة اربعة من كلمة ربا على ان تكون بمعنى اثنين فوق اثنين و ثلاثة فوق ثلاثة و اربعة فوق اربعة بل المنظور بالكلمة الثانية من هذه المكررات تأييد الكلمة الأولى منها لا الجمع بينها .



كما ان الأمر باصل النكاح هنا للأباحة نظير امثاله حيث يقال  
فأن خفت من اكل هذا الطعام فكل الطعام الآخر وهكذا فى متعلقه  
فأن المنظور به اباحة التعدد لا لزومه .

وقوله فأن خفتم الا تعدلوا فواحدة يتناول الخوف السابق على  
نكاح المتعددات واللاحق له فالذى يتيقن من نفسه او يظن انه  
لا يقدر على اقامة العدل بين نساء متعددات يكون مشمولاً للآية  
كالذى نكح متعددا فلم ينصف بينهما ، وكلمة واحدة بالنصب تكون  
مفعولاً لفعل محذوف تقديره فانكحوا واحدة ويجوز رفعها على ان  
تكون مبتدأ لخبر محذوف تقديره فواحدة فيها كفاية و بلاغ .

وقوله او ما ملكت ايمانكم عطف على قوله واحدة بتقدير فأن خفتم  
مع التعدد الا تقيموا وزن العدالة بين الازواج المتعددات فانكحوا  
حرّة واحدة بالتزويج او ما ملكت ايمانكم ولو كثر ملكها عندكم ، ومن هذا  
يظهر ان العدالة ليست بشرط فى ملك اليمين كما ان العد ليس بمعتبر  
فيجوز للإنسان ان يطاء بملك اليمين ما شاء عددا وما شاء فى ايواء  
بعضهن اليه دائما دون بعض .

والسرى ذلك بعد تصحيح ملك اليمين انه ملك طلق و متاع  
كسائر الأمتعة فانه لا يشترط على مالك المتاع ان يسوى فى استعماله  
له بين هذه السلعة و تلك بل المتبع رغبته .

ذلك ، اشارة الى الأقتصار على الواحدة من الحرائر وما شاء  
المالك من ملك يمينه و محلّه من الأعراب الأبتداء و الخبر قوله اقرب من  
عدم الجور و ادنى الى الانصاف للزوجة ، و آتوا ، الخطاب صالح  
للأزواج و لكل من بيده تزويج المرأة و لو بولاية عرفية ، الفساء ، يعنى  
الأزواج ، صدقاتهنّ ، يعنى مهورهنّ ، أما بالنسبة الى الأزواج فأن



الزوجه تملك الصداق كله بالعقد ملكا متزلزلا فاذا تعقبه الدخول ملكته كله ثابتا واما بالنسبة الى الأولياء العرفيين بل و الشرعيين فمعناه ان ما يتسلمونه من صداقات النساء لا يحلّ لهم منه شىء ويجب دفعه الى المرأة المعقودة فان فى عوالم الجاهلية بل و فى العشائر ايضا رسما فى هذا الباب هو ان الولي يقبض الصداق و يكون له حق التصرف فيه فقد يعطى المرأة منه شيئا وقد لا يعطى فحرم ذلك الأسلام عليهم .

ومعنى نحلة انه يجب عليكم ايتائهن مهورهن كما يعطى الإنسان العطاء من كل نفسه فان العطايا لازمها ان تكون مقرونة بطيب النفس اذ لا جابر عليها غير ارادة الإنسان نفسه عن رغبة خالصة هذا اذا حملنا معنى النحلة على العطية و اذا حملناه على الدين كان معنى الآية و آتوا النساء صدقاتهن فريضة عليكم و دينا يلزمكم التعبد به فأن طبن لكم ايها الازواج او الأولياء عن شىء منه نفسا فكلوه حينئذ هنيئا مريئا اذ لا مانع من الشرع يقف امام من يريد ان يعطى من ماله فى وجه مشروع قليلا كان ام كثيرا .

و انتصاب نحلة و هنيئا مريئا فى الأصح على الحال بمعنى و آتوا النساء صدقاتهن حال كونكم فى ايتائكم لذلك كالمعطين لأموالهم عن طيب انفسهم لا كالمأخوذ منهم قسرا او منتحلين لدينكم الذى يأمركم بأداء الحقوق لأهلها او فكلوه حال كونه طيبا لكم لا حزازة فيه ولا تعلل فى تناولكم له .



\* ( ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم  
قياما و ارزقوهم و اكسوهم و قولوا لهم قـ  
معرفة ) \*

الأيتاء التحويل و السفية الفاعد للعقل الأجماعى الأقتصادى  
الحيوى و قيام بمعنى قوام و القول بالمعروف هو القول الأتناعى و مفاد  
الآية انه لا يجوز للعاقل الرشيد ان يؤتى ماله للسفيه سواء كان  
بعنوان اعتبار السفية قيما و وكيفا و مدبر شؤن بحيث يتخلى العاقل  
الرشيد عن ادارة شؤنه بتفويضها للسفيه ام بعنوان اعتباره معطى  
مخولا بعض المال ليصرفه فى شؤن نفسه كل ذلك مشمول لنهى الآية  
لان السفية بمعناه الآنف ليس محلا لشىء من الأعتبرات المذكورة وانما  
هو بحاجة الى قيم يشرف على حركاته و سكناته .

و الآية تشعر ايضا باحترام المال عند الله سبحانه و انه هو قوام  
الوجود البشرى فيجب ان يراعى فى صرفه كمال العقل و التدبير  
و المفعول الأول لجعل محذوف تقديره جعلها لكم قياما و الأمر فى  
قوله تعالى و ارزقوهم و اكسوهم يكون للوجوب حيث يكون المنفق عليه  
من واجبي النفقة و الآ فباعتبار مورد ه من الأستحباب و الأباحة .

و يريد تعالى من قوله و قولوا لهم قولا معروفا انه يجب عليكم ايها  
العقلاء الراشدون الخروج من مستدعيات السفهاء متى يطالبونكم  
بالمال يعطى لهم او الشؤن تخول اليهم بالكلام المعسول و المواعيد  
المقنعة بأنك يا هذا الأنسان متى اجازت المصالح ان نخولك شؤن  
هذا الأمر او نضع تحت اختيارك هذا المال فأنا لا نضن عليك و انما  
نرجىء ذلك لوقت صلاحه و امثال هذا الكلام .



وقد يستفاد من فحوى الآية ان كل فاعل حرام سفیه او فيه شيء من السفه بمقدار ما يرتكبه من قلة وكثرة - ذلك - لان كافة محرمات الشريعة قائمة على منطق و مخالف المنطق ليس بعاقل و متى فقد الإنسان عقله المدبّر صار سفیها محلا للحجر عليه و فضلا عن كون فاعل الحرام سفیها فان المتوسع فی المباح قد يكون سفیها ايضا لأن الخروج عن دائرة موازين الحاجة كما يكون تفريطا يكون افراطا و كلا طرفی الأفرط و التفريط بخروجهما عن المنطق الوزین یعتبران من السفه و ان كان اطلاق السفه على الأفرط أبین و أظهر .

و اما جهة احترام المال عند الله احتراماً مشفوعاً بالشدة و المحافظة عليه فانه الكيان الوحيد في تنمية الحياة و به تجلب العواطف البشرية كائنه ما تكون و لذلك اعتبر الشیوعیون ان المادة وحدها هی المحور الذی تدور علیه جنبات العالم و ان اخطأوا فی كثير مما فرّعه على هذا الاعتبار .



\* ( وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فإن  
 آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم  
 ولا تأكلوها اسرافا وبادارا ان يكبروا ومن كان غنيا  
 فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا  
 دفعتم اليهم اموالهم فأشهدوا عليهم و كفى  
 بالله حسيبا ) \*

الأبتلاء هو الأختبار و بلوغ النكاح هو وصول الطبيعة لوقت  
 اللقاح والأثمار وهو زمان هيجان القوى والأيناس هو الوجدان  
 والأسراف هو التجاوز عن الحد المعتدل والغنى هو الواجد للكفاف  
 فما فوقه والعفة صرف النفس عن الشيء و الفقير المحتاج و المعروف  
 هو الأعتدال القائم بأىحاء الضروره و الحسيب هو الحاسب الدقيق .  
 تعرضت الآية لجملة من احكام اليتامى و الأشراف بالولاية عليهم  
 فنطقت بان الحد الفاصل للولاية عليهم وجود امرين فيهم البلوغ  
 الطبيعى من حيث البنية الطبيعية و الرشد وهو مزاولتهم لأموالهم  
 مزاوله العاقل المدبر لشؤون نفسه بأن لا يذهب بنفسه و ماله مذاهب  
 الغبن و السفه فتمت اجتماع فيهم هذان العنصران كانوا احق بأنفسهم  
 من كل احد .

كما حرمت الآية اكل اموالهم على المشرفين عليها الحافظيين  
 الضابطين لها بطور اسراف و خروج عن الميزان الآتى بيان  
 و الاستعجال بنفادها قبل ان يبلغوا حتى اذا بلغوا لم يجدوا شيئا  
 يطالبون به و انما يواجهون العذر من المشرفين بأن اموالكم مشيت  
 جهدا مقدورها بكم فاصلة صغركم اما الآن فلا شيء لكم عندنا فاستعينوا



على ادارة انفسكم بالعمل و بذل النشاط .  
 و ابانت الآيه ما يستحقه الناظر في اموالهم جزاء خدماته و اتعابه  
 فقالت من كان غنيا بمال نفسه فليعقها عن تناول شىء من اموال هؤلاء  
 اليتامى الذين رصد نفسه للقيام على شؤونهم و من كان فقيرا فانسه  
 يستحق ان يتناول من اموالهم ما به كفاف ضروراته كاجور لنظارته و عمله  
 و فى ختام الآيه ارشد الله عباده الى ما فيه صلاحهم و قلة خصوماتهم  
 بأن المؤمنين يلزمهم ان يأخذوا الحائطة لأنفسهم عند ارجاع  
 الامانات التى عندهم لليتامى بالأشهاد على اقباضها و عقب سبحانه  
 كل تلك الأحكام الموجهة الى المكلفين بأنه تعالى ادق الحاسبين  
 فى نظره الى اعمالكم و ليس كالاغيار الذين تفوت عليهم الأمور العظيمة  
 فضلا عن المطالب الصغيرة .



\* ( للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون  
والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما  
قلّ منه أو أكثر نصيباً مفروضاً ) \*

قد يقال كان اللازم ان يقول سبحانه للرجال والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ولا داعى لهذا التطويل والجواب ان عرب الجاهلية (ونماذجهم موجودون اليوم فى عالم العشائر) ما كانوا يرون للمرأة ارثا ويرونها هى ارثا لأخيها الموجود او عمها يبيعها او يبادل بها فأبطل الله هذا الرأى وهذا العمل وساواها مع الرجل فى اصل الاستحقاق بأنه كما يستحق من والديه وقرابته كذلك هى تستحق من والديها وقرابتها من جميع ما ترك من القليل والكثير نصيباً مفروضاً لها من الله بالأصالة كما ان الرجل كذلك، وانتصب نصيباً على الحالية المؤكدة لقوله تعالى للرجال نصيب وللنساء نصيب. هذا والأرث تارة يتصور فى الأمزجة والطبائع وتارة فى الأخلاق والصفات واخرى فى الأموال أما الأرث فى الامزجة والطبائع والأخلاق فليس بملاك لازم لقيام الوجدان على خلافه بصورة متسعة وأما الأرث فى الأموال فقد استسخفه الشيوعيون زاعمين اننا حتى لو صحنا الملكية الفردية للمكتسب فأننا لا نستطيع ان نصح توريث المال من واحد لآخر لم يسع فيه ولم يكدح وهذا غلط منهم فأن الذى يصح الملكية الفردية الآتية من كد العضلات او الذهنيات لا يستطيع ان يقف امام هذا المالك فى تخويله درهم لمن احب الا ان يكون فى هذا التخويل مفسدة تفت امامه، وهذه الآيه انما افادت اصل ثبوت الارث واما فرائضه وتعديل طبقات الوراث فسيأتى الكلام



عليهما في آيات لا حقة .

\* ( واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى

والمساكين فارزقوهم و قولوا لهم قولاً معروفاً ) \*

يعنى اذا حضر قسمة الأثر اولوا قربى الميت من الذين لا يرثون  
لحجبهم بغيرهم و حضرها اليتامى و المساكين ايضاً فارزقوهم ايها  
الوراث كلاً وما تطيب به انفسكم مواساة لهم و اعتذروا عن قليل ما  
تدفعونه اليهم بأعذار تطيب قلوبهم بأن ما وصل اليها قليل في نفسه  
او ورائه حقوق كثيرة لا تبقى عليه الى نظير ذلك و يرى بعضهم ان مفاد  
هذه الآية منسوخ بآيات الأثر المفصلة له و هو اشتباه فان مفاد هذه  
الآية لا ربط له بتلك بل هو حكم بحياله لا يرتبط بالأثر بما هو ارث  
وقيل ان الأمر فيه للأستحباب و قال فريق آخر انه للوجوب و ان  
المقدار الواجب منه ما تطيب به انفس الورثة و يؤيد كونه للأستحباب  
انه لم يعمل به منذ القديم و من المستبعد كونه من الواجبات الشرعية  
و اهمل مع تخطيه لأجيال كثيرة فيها من رجالات العلم النابهين  
الأكابر .



\* ( و ليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا  
خافوا عليهم فليتقوا الله و ليقولوا قولا سديدا :  
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما  
يأكلون فى بطونهم نارا و سيصلون سعيرا ) \*

تتعرض هذه الآية لحكم يشمل الأوصياء القائمين على يتامى  
الناس و حضار المحتضر بأن من حكم الوصى فى قيامه على يتامى  
الناس مراعاة المصلحة و الغبطة وما يصلح شؤن اليتيم و ان يعمل مع  
يتامى الأغيار ما يود ان يعمل مع يتاماه لو مات و ترك ذرية ضعافا  
يخاف عليهم الفقر و التسبب فليتقوا الله و ليقولوا لليتيم اوفى حـق  
اليتيم الذى اشرفوا على ادارة شؤنه قولا موصوفا بالمنطق و السداد  
و العقل و الاتزان او ان من وظيفة حضار المحتضر ان لا يصرفوه عن  
النظر الى من يترك خلفه و يقولوا له اما الآن فقد انقطعت يدك عن  
كل شىء فلا تقصر فى حق نفسك من الأيضاء بأخراج ما ينفك من  
الحقوق و اما هؤلاء الذين تتركهم و راءك فانهم يعيشون و يستقبلون  
الحياة و ليسوا مثلك فى اذ بارعنها بل من لازمهم ان لا يتركوا  
المنطق السديد و من وظيفتهم ان يقولوا له كلا الأمرين حق لازم مراعاتك  
لنفسك و مراعاة من تتركهم و راءك حتى لا يكونوا عالة على الناس يتكفون  
ما فى ايديهم ، ثم عطف سبحانه القول على الأوصياء الخونة فقال انما  
يأكلون فى بطونهم ما يسبب لهم نار جهنم و سيصلون يوم المعاد عليه  
سعيرا يقال اصلاه النار اذا الزمه لها و سعرت النار اذا شبت .



\* ( يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين  
فأن كنّ نساءً فوق اثنتين فلمنّ ثلثا ما ترك و ان  
كانت واحدةً فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما  
السدس ممّا ترك ان كان له ولد فأن لم يكن له  
ولد و ورثه ابواه فلأمه الثلث فأن كان له اخوة  
فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين  
آبائكم و ابنائكم لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعا  
فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ) \*

هذه الآية في صدر آيات تعرضت لبيان احكام الأرت و الوارثين  
و نحن نتكلم عليها طبقا لها و لما يستفاد منها و ندع الأختلافات  
الفقهية لكتب الفقه فان مدركها ليس الكتاب وحده .  
الولد في اللغة يتناول الذكر و الأنثى و الصلبيّ و غيره و الفاظ  
القرآن جارية على موجب اللغة و مفاد الآية ان الأنسان اذا مات و ترك  
بعده اولادا ذكورا و اناثا فللذكر مثل حظّ الأنثيين امّا اذا كان  
الاولاد نساءً فقط فان كانت واحدةً فلها النصف و ان كان النساء فوق  
اثنتين فلمنّ الثلثان .

يبقى الكلام على مالو كان البنات اثنتين لا اكثر فأن هذا الفرض  
ليس متعرضا له في نصّ القرآن و لكن مع مقارنة حكم الواحدة و ما فوق  
الأثنتين يستظهر الحاق الانثيين بما فوق الأثنتين اذ لو كان حكم الأثنتين حكم  
الواحدة لأدرج فيها نصّا فيستأنس ان الثلثين فرض الأثنتين فصاعدا  
كما يستظهر ان الولد اذا كان ذكرا فمتحده و متعدد سواء بمعنى ان  
المال يكون له و لو كان له حكم خاص لأبين اذاً فالولد الذكر واحد



كان ام اكثر لا فرض له و انما له المال كله .

والخنثى لم يتعرض لها فى الكتاب وهى داخله فيما يتصور للولد من ذكوره و انوثة او غيرهما وهى فى واقعها لا تعدو ان تكون امّا ذكرا و اما انثى لكن ذلك قد يتعمى بسبب اشكال المطلب و تعسر تمييز احد النوعين فيه فالاستيناس الفقهى قاض بان يورث نصف ما للذكر و نصف ما للانثى بان يفرض ذكر مرّة فيورث ميراث الذكور وانثى اخرى فيورث ميراث الأناث و ينصف ما بين الحقيين .

و تنص الآيه انّ الأبوين يشاركان الاولاد فى الأثر فالفرقان اذا فى طبقه واحده فالمتوفى اذا مات عن ابوين فان كان له ولد مذكرا كان ام مؤنثا ام مشتبهها فلكل واحد من ابويه السدس و ان لم يكن له ولد و ورثه ابواه كما نطق القرآن فلأم الثلث بالفرض و الباقي يكون للأب اذا فالأم ذات فرض على كل حال سواء كان للميت ولد ام لم يكن اما الأب فلا يرث بالفرض الا مع وجود ولد للميت و بدونه يكون له الباقي .

و مع وجود الأبوين للميت مع عدم الولد فان كان للميت اخوة (والاخوة بحسب الاصطلاح جمع مذكر لا يتناول الاخوات و له ظهور فى اكثر من اثنين لكنه يشمل الكلالات الثلاث الاخوة من الأم و الاخوة من الأب و الاخوة من الجانبين ) فوجود الاخوة بهذا اللون يحجب الأم عمّا زاد عن السدس ، لكن حجب الاخوة أم الميت عمّا زاد عن السدس فيه شرائط و مجارى غير ما يستظهر من القرآن كما هو مثبت فى الفقه .

قوله من بعد وصية يوصى بها او دين يفيد تقديم الوصايا مهما بلغت حتى لو كانت اكثر من الثلث و تقديم الديون ايضا و مهما ضخمت اما الديون فهى بجميع ارقامها حتى لو استوعبت التركة مقدمه لأنها



حقوق الناس وقد حلت بموت المديون و ليس الأمر فى الوصايا كذلك  
لما فيها من بحوث مفصلة فى الفقه و الخلاصة ان الأثر انما يكون بعد  
اخراج الوصايا و الديون من التركة .

ولما كان الآباء و الأبناء يتصلون بالميت بلا توسط و كانوا فى  
طبقة واحدة لم يدر الأناصن ماذا يفعل معهما فى تسهيم ماله عليهما  
ان لا يعلم ان اى الفريقين اكثر فائدة له فى دنياه و اخراه حتى يزيد  
فى حقه و ينقص لكنّ الله العالم بذلك شخص حقوق الطرفين و رفع  
الحيرة عن الانسان بالنسبة الى ما يتخذ من تصميم فى حقهما و هذا  
هو معنى قوله تعالى آباؤكم و ابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا  
و انتصبت فريضة على الحال من متعلق يوصيكم الله بمعنى ان الله  
يوصيكم و يفرض عليكم ذلك حال كون ما اوصى به فريضة و حكما لازم  
الأتباع انّ الله كان عليما بالحقائق و على طبق علمه بها فصلها و حكيم  
يضع الشىء موقعه لا جزافا و تحكما .



\* ( و لكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهنّ ولد  
فأن كان لهنّ ولد فلکم الربع ممّا تركن من بعد  
وصية يوصين بها او دين و لهنّ الربع ممّا تركتم  
ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهنّ الثمن  
مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان  
كان رجل يورث كلاله او امرأة و له اخ او اخت  
فلكلّ واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من  
ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى  
بها او دين غير مضار وصية من الله و الله عليم  
حليم ) \*

تفيدنا الآية نحن و منطلقها ان للزوج نصف ما تترك زوجته  
الفاقدة للولد حال موتها بقريئة كاف خطاب المذكر و نون ضمير النسوة  
في لهنّ و امتناع تعدد الزوج للزوجة الواحدة في عرض واحد و له  
الربع مما تركن ان كان لهنّ ولد منه او من غيره واحدا كان ام اكثر  
صلبيا ام غير صلبى و للزوجة الربع مما ترك الرجل ان لم يكن له ولد  
و الزوجة الواحدة وما زاد عليها لا يزيد حقها ولا حقهنّ عن الربع  
مع عدم الولد و تشترك الاكثر من الواحده فية فان كان للزوج ولد  
متحد او متعدد صلبى و غير صلبى من الزوجة الموجودة او من غيرها  
فلهنّ الثمن الواحدة تختصّ به و الزائد عليها تشترك فيه حسب  
عددهنّ .

و الكلاله في هذه الآية و في آخر آية من هذه السورة هي الأخوة  
لان الله سبحانه شرحها في كلا المقامين ( اما المقام الذى نحن فيه )



فقال و ان كان رجل يورث كلاله او امرئة و له اخ او اخت و لم يذكر وراء  
الأخوة انسانا آخر من مناسب او مسابب .

(وأمّا المقام الثانى) فقال يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلاله ان  
ان امرؤ هلك ليس له ولد و له اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان  
لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك و ان كانوا  
اخوة رجالا و نساء فللذكر مثل حظ الأنثيين و فسّر الكلاله بالأخوة و لم  
يزد على ذكر الاخوة شيئا فمن الكتاب نفسه يعرف ان الكلاله اصطلاح  
فى الأخوة و من مقارنة آيتى الكلاله يستبين انها فى طبقة ثانية فلا  
تجامع الأولاد و الآباء فلا يرث الاخوة مع وجود الولد للميت ولا مع  
وجود الأبوين او احدهما له بدليل انه تعالى جعلها حاجبة غير  
وارثة بقوله فأن لم يكن له ولد و ورثه ابواه فلأمه الثلث فأن كان له  
اخوة فلأمه السدس و جعلها وارثة بشرط عدم الولد حيث قال ان امرؤ  
هلك ليس له ولد و له اخت وهو يرثها ان لم يكن لها ولد .

كما يستبين من مقارنة آيتى الكلاله ايضا ان ميراث الأخوة ليس  
على لون واحد فمن الوانها ان الأخ و الأخت يتساويان فى كسب  
الاستحقاق و عدم التفاضل و هذا اللون تكفلته آيتنا الفعلية فأن فيها  
و له اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فأن كانوا اكثر من ذلك  
فهم شركاء فى الثلث و مفادها ان الموجود من الكلاله ان كان اخا  
او اختا فلهذا الواحد الموجود مذكرا كان ام مؤنثا سدس وان كان  
اكثر من واحد ذكورا ام اناثا ام مختلفين اثنين كانوا ام زائدا عليهما  
فهم شركاء فى الثلث لا تفاضل بينهم .

و من الوانها ان الموجود من الكلاله ان كان انثى واحدة فلها  
النصف مما ترك و ان كانتا اثنتين فلهما الثلثان و ان كانوا اخوة



مختلطين رجالا و نساءً فللذكر مثل حظّ الأنثيين و هذا اللون تكفلته آية الكلاله الثانيه وقد اسلفنا ذكرها لكننا لا نستطيع ان نشخص من الكتاب نفسه من هى الكلاله الأولى و من هى الكلاله الثانيه و لكنّ السنه فسرت ذلك فرأت ان الكلاله الأولى هى كلاله الأم و حدها و ان الكلاله الثانيه هى كلاله الأبوين معا و الأب وحده و ثبت فى الفقه ان كلاله الأم ترث على كل حال و امّا كلاله الأب وحده فلا ترث مع كلاله الأبوين .

قوله تعالى غير مضرّ معناه ان الوصيه التى تنفّذ و الدين الذى ينفّذ هى الوصيه التى لا تضرّ بحال الوارث اى التى لم ينشأها الموصى بقصد الأضرار بالورثه و هكذا الدين فقد يقربدين لا اصل له ليفيد المقرّ له و يضرّ بالوارث فما كان من الوصايا و الديون على هذا الملاك لا ينفّذ ولا قيمه له شرعا و انتصاب وصيه على الحال كما سبق مثله فى قوله تعالى فريضة، و الله عليم بواقع كل شىء و من جمله ذلك هذه الفرائض حلیم على عباده لا يؤاخذهم معا جلا لهم فى ارتكاب المعاصى، و فى فقه المواريث كلام طائل و بحوث جليله ليس محل ذكرها الا كتب الفقه لحاجه بسطها الى كتاب بحياته .



\* ( تلك حدود الله و من يطع الله و رسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم : و من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها و له عذاب مهين ) \*

الأشارة بكلمة تلك الى ما سلف بيانه من احكام الفرائض و حدود الله هي النقاط التي ربط المكلفين عندها في اعمالهم الحيوية و انما قرن طاعة الرسول بطاعته لان حبل الرسول موصول بحبل الله و ليس له من الأمر في قبال الله شئ فكانت طاعة الرسول طاعة الله و عصيانه عصيانه ولا شك ان الخلود في النعيم من اعظم الفوز لهذا الإنسان الذي قد يقوده شيخ النعمة الى ان يرتكب من الجنايات و الخيانات ما لا يقدر بقدر كما ان تجاوز الحدود المرسومة للمكلف لأجل صلاحه مما يوجب له التأديب الشديد و هو الخلود في النار و تعذيب الإنسان و ان لم يكن على اطلاقه مهينا للمعذب فان الإنسان قد يعذب على صدقه و طلبه للحرية و تعاليه عن الرذائل الا انه اذا وقع على جهة التأديب الواقعي كالقتل العدوانى و التلصص فى غير المخصصة و ارتكاب الفحشاء كان كل عذاب مهينا له بخاصة العذاب الذى قصد به التوهين و اريد به تضعيف الشخصية .



\* ( واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا  
عليهن اربعة منكم فأن شهدوا فأمسكوهنّ فى  
البيوت حتى يتوفاهنّ الموت او يجعل الله لهنّ  
سبيلا : و اللذان يأتياها منكم فآذوهما فأن تابا  
و اصلحا فاعرضوا عنهما انّ الله كان توابا رحيمًا ) \*

مفاد هاتين الآيتين مع انه مغفول فى الفقه الاسلامى بما يستدل  
منه على نسخه ليس بواضح من منطق الآية و يجب ان نسير فى  
استنباط المعنى مسيرا يحفظ للآيتين وزنهما و صحة سوقهما ، الفاحشة  
هى الفعل القبيح و ابرز معانيها الزنا وهو الذى يحمل عليه لفظ  
الآية و الاضافة فى — من نساءكم — تفيد ان المراد بها النساء  
المسلّمات الحرائر لان ذلك هو المتيقن من هذه الأضافة و هكذا  
المنظور فى قوله — منكم — كون الشهود الاربعة المأمور بأشهادهم  
يجب ان يكونوا مسلمين و يحمل ظاهر الاسلام على العدالة و المراد  
بالأمساك فى البيوت هو الحبس و بقوله حتى يتوفاهنّ الموت هو  
التأبيد فيه .

وقوله يجعل الله لهنّ سبيلا يعطينا تزلزلا فى ثبات الحكم السابق  
بنسخه و هكذا كان الأمر فأن غير المحصن يجلد و يرسل أما المحصن  
فيرجم بالحجارة حتى يموت ، و لأجل رفع القلق الظاهرى بين مفاد  
الآيتين يجب ان يراد بالذين يأتياها الذكران اللذان يمارسان  
فاحشة اللواط و حكمهما فى هذه الآية الأيذاء وهو قد يكون بضرب  
و توهين و قد يكون بغيرهما ممّا يصدق معه الأيذاء .

ثم عقب سبحانه هذه الأحكام بما يكون للتوبة معه مجال فقال



تعالى فأن تابا اي اي رجع هذان المرتكبان للفاحشة عن جريمتها  
وانابا الى ربهما واستغذرا فعلهما الصادر عنهما واصلحا حالهما  
في حاضرهما بما غطى على سابقهما فأعرضوا بأيدائكم عنهما فان الله  
يقبل توبة من اناب اليه لأنه في ذاته رحيم، وان شدد للعاصي  
بالعقوبة فلاجل تعديه عن الحد الذي قرره ولكن مع ذلك للتوبة  
مجال محدد اعرب في الآيات اللاحقة عنه .

\* ( انما التوبة على الله للذين يعملون السوء

بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله  
عليهم وكان الله عليهما حكيمًا : وليست التوبة  
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم  
الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم  
كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ) \*

المراد بالجهالة قطعاً هو الورود في الذنب وان كان عن عمد  
لكن مع العزوب عن العلم وما يقتضيه فأن من المستحيل على العالم  
بكنه الشيء ان يرتكب خلافه وهو مستحضر لعلمه بجميع دقائقه بل لا بد  
حين الأرتكاب ان يسحب عليه حجاب الأهمال له والتناسى عنه والميل  
الى ما سواه ومثل هذا الجهل لا ينافى العلم ولا العمد كما هو  
واضح اذا فقيده جهالة قيد توضيحي لأمر طبيعي والمنظور بقوله من  
قريب بقربنة ما بعده كون المجال متسعاً امامه اما مع العجز فيكون في  
حاله معه كحاله مع موافاة الموت له وهو مذنب مثلاً انما تقبل التوبة من  
اللس حيث يمكنه ادامة هذا العمل وهكذا توبة الزاني وقاطع الطريق واشباه  
ذلك واما مع عجز هؤلاء عن الأدامة فتوبتهم قهرية لا قيمة لها وحالها



فى عدم الأثر كحال من ينقطع عن ارتكاب المعاصى بالموت و تحدىد مجال التوبة بما سبق تحدىد معقول ولا مجال لغيره فالله سبحانه بشرائطه التى ذكرها لقبول توبة من يتوب اليه انما عبر عن مطلب طبيعى خالص و لم يبد منه مؤنة زائدة عليه .

\* ( يا ايها الذين آمنوا لا يحلّ لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهنّ لتذهبنّ ببعض ما آتيتوهنّ الا ان يأتين بفاحشة ميّنة و عاشروهنّ بالمعروف فأن كرهتموهنّ فعسى ان تكرهوا شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا ) \*

ورد فى اسباب نزول هذه الآية آثار كثيرة متقاربة فى المضمون منها ان الرجل اذا مات كان اولياؤه احقّ بامرته ان شاء بعضهم تزوّجها وان شاء زوجها للأغيار و اكلوا صداقها و ان شاءوا منعوها عن الزواج بتاتا ، و منها ان الرجل كان يرث امرأة ذى قرابته فيمنعها عن التزوج حتى تموت او ترد اليه صداق قريبه الذى مات عنها ، و منها ان اهل الجاهلية كانوا اذا مات الرجل منهم جاء ابنه من غيرها او وليه فورث امرته كما يرث ماله و القى عليها ثوبا فأن شاء تزوّجها بالصداق الأولّ و ان شاء زوجها من غيره و اخذ صداقها فنهوا عن ذلك .

و مفادها الظاهرى بحسب تركيبها انكم ايها المؤمنون بالله يجب عليكم ان تترسموا خطوات الله فى عباده و من جملة ذلك ان المرأة وجود مستقل حرّ مثلكم فلا يجوز لكم ان تحبسوها كسلعة ترثونها كما ترثون الأمتعة و الأموال بل هى باختيار نفسها ان شاءت اعطتكم مقادها



او صداقها و ان لم تشأ فلا طريق لكم عليها كما انكم ايها المؤمنون لا يجوز لكم ان تعاشرُوا ازواجكم بسوء الأخلاق و منعها كل حقوقها الشرعية عليكم او بعضها ليحملها هذا العنف بها ان تبذل صداقها لتفتك من هذا الزوج السيء العشرة الفاقد للمعروف نعم اذا تجاسرن فنرئين وهنّ في حبالكم او اسأن عشرتكم و نشزن عن طاعتكم و فزعن الى ايدائكم فلكم ان تمنعهنّ بعض حقوقهنّ الشرعية حتى يخلصنّ انفسهنّ منكم ببذل كل او بعض ما اصدقتموهنّ و يجب عليكم ايها الأزواج المؤمنون ان تعاشرُوا نساءكم بالمعروف وهو حسن الاخلاق في المعشر و بذل تمام النفقة من كافة وجوهها و المحافظة على وجودها بانحاء ما يحفظه و انتم يا معشر الأزواج المؤمنين لا تعاجلوا نساءكم بالطلاق و تعجلّوا لهنّ السراح لمجرد انكم لا ترغبون بهنّ واصبروا فعسى ان تكرهوا بالفعل شيئا و تكون عواقبه محمودّة من تبدل عدم الرغبة بالرغبة و الكراهة بالمحبة فأنّ ذلك كثير الوقوع فالتسرّع مع هذا الأماكن مذموم .



التفسير ج ٢ حرمة اخذ الزوج من مهر زوجته قهرا ٢٠٢

\* ( وان اردتم استبدال زوج مكان زوج و آتيتهم  
احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه  
بهتانا واثما مبينا : وكيف تأخذونه وقد افضى  
بعضكم الى بعض و اخذن منكم ميثاقا غليظا ) \*

القنطار هو المال العظيم وقد فسّر بما يملأ جلد ثور ذهبا او انه  
الف دينار او عشرة آلاف درهم وغير ذلك من الأقوال ، و البهتان هو  
الكذب مع المواجهة و الأفضاء هو الوصول وهو هنا كناية عن الجماع  
و الغليظ هو المؤكد .

و مفاد الآية انكم اذا اشتهيتم و اخترتم استبدال زوجة مكان  
زوجة اخرى بأن تطلق الأولى و تملأ مكانها امرأة اخرى و كنتم قد  
اصدقتم المطلقة مالا عظيما - من باب مثال - حرم عليكم ان تأخذوا منه  
و لو شيئا حقيرا اذ المفروض بحسب ظاهر ارادة الاستبدال من الزوج  
ان المرأة غير كارهة للزوج فلا طريق له عليها الا بأن يبتهتها بأثنى  
انما طلقتك لانك لا تحبينى و هذا هو الذى دعانى الى الأستبدال  
بك و الحال انه ليس فى الواقع من ذلك شىء فهذا هو البهتان  
و التجرم الظاهر البين .

و كيف يجوز لكم يا معشر الأزواج و الحال هذه ان تأخذوا منه  
شيئا وقد تصرفتم بنوا ميسهنّ و نلتم منهنّ و لم ينلنكم الا بميثاق اخذنه  
منكم وهو العقد الشرعى الجارى بينكما وهو ميثاق له اهميته عند الله  
سبحانه و لهذا ابدى سبحانه الغرابة و العجب بقوله و كيف تأخذونه



\* ( ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد

سلف انه كان فاحشة ومقتا و ساء سبيلا ) \*

النكاح كما يطلق على الوطى يطلق على العقد المجرد فمن عقد على امرأة فقد صدق عليه انه نكحها كمن وطىء امرأة بحلال كان ام بحرام والأستثناء فى قوله إلا ما قد سلف استثناء منقطع اذ لا معنى لاستثناء امر قد مضى من امر مستقبل ومعناه فى الآية ان ما سلف يقع مشمولا للغفران وكونه فاحشة باعتبار انه هتك لحرمة الأب باتخاذ فراشه فراشا للولد المنخلق منه ولا شك انه بئس السبيل فيستفاد من الآية حرمة معقودة الأب على الأبن ولو كان العقد مجردا عن الوطى كحرمة منكوحة الأب بالوطى ولو كان عن زنا على ولده و لفظ الآباء يقع على الأجداد ايضا و الولد يتناول غير الصلبى وعلى ذلك فتحرم منكوحة الأب على الولد وان نزل .



\* ( حرّمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم و أخواتكم وعمّاتكم  
 و خالاتكم و بنات الأخ و بنات الأخت و أمّهاتكم  
 اللاتي ارضعنكم و أخواتكم من الرضاعة و أمّهات  
 نسائكم و ربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم  
 اللاتي دخلتم بهنّ فان لم تكونوا دخلتم بهنّ  
 فلا جناح عليكم و حلائل ابنائكم الذين من  
 اصلابكم و ان تجمعوا بين الأختين إلا ما قد  
 سلف ان الله كان عفورا رحيفا ) \*

بد يهى ان التحريم و التحليل الوارد على الأعيان لا بدّ و ان  
 يكون مصروفا به الى جهة الانتفاع بها فمعنى حرّمت عليكم الميتة تحريم  
 اكلها لان ذلك هو ابرز ما يراد بها و تحريم الأمّهات بمعنى تحريم  
 الأستمتاع الشهوية بهنّ لان ذلك اظهر ما يراد من المرأة و قس  
 على ذلك و النساء اللاتي يحرم نكاحهنّ تارة يكون تحريمهنّ بنسب  
 و اخرى يكون بسبب و كلا النوعين يتحقق فى سبع فصائل مذكورة فى  
 نصّ الكتاب .

أما الفصائل السبع للنسب : فهنّ :

- (١) أمّهاتكم و كل امرأة يرجع نسبك اليها بالولادة و لو من جهة  
 الأب او من جهة الأم فهى أمك فالمرأة التى ولدتك مباشرة أمك و التى  
 ولدت اباك أمك و التى ولدت أمك أمك و هكذا .
- (٢) و بناتكم و كل امرأة رجع نسبها اليك بالولادة منك فهى  
 بنتك سواء ولدتها مباشرة ام ولدها ابنك ام بنتك و هكذا .
- (٣) و أخواتكم و كل انثى ولدها انسان اولدك فهى اختك



فيشمل ذلك الأخت من الأبوين و من الأب وحده و من الأم وحدها

(٤) وعماتكم و كل ذكر يرجع نسبك اليه فأخته عمتك وقد تكون

العمّة من جهة الأم كأخت اب أمك و أخت جدّها .

(٥) و خالاتكم و كل انثى يرجع نسبك اليها بالولادة فأختها

خالتك وقد تكون الخالة من جهة الأب كأخت أم ابيك و جدك .

(٦) و بنات الأخ و ان نزلن .

(٧) و بنات الأخت كذلك .

و أمّا الفصائل السبع للسبب: فهنّ :

(١) ما سلف في الآية السابقة ولا تتكحوا ما نكح آباؤكم وقد مضى

القول فيه .

(٢) و أمهاتكم اللاتي ارضعنكم و الأقتصار على محدوده الآية

يفيد حرمة المرأة التي ارضعتك بلا اعتبار لكم الرضاع و كيفه كان اللبن

عن ولادة او درّ محض عن نكاح مشروع او سفاح الى غير ذلك من

تفاصيل هذا المجمل لكنّ السنة و معاهد الأجماعات حدّدت ذلك

بحدود و في جملة منها اختلاف بين الفقهاء نكحه الى محلّه لكثرة

تفاصيله و كل امرأة تنتسب اليها باللبن فهي أمك من الرضاعة و اعتمادا

على قول رسول الله (ص) انّ الله حرّم من الرضاعة ما حرّم من النسب

تكون فصائل الرضاعة المحرّمة على الأنسان سبعا كما كانت النسبيّات

كذلك .

(٣) و اخواتكم من الرضاعة و هنّ بنات المرضعة و تفصيل ذلك

موكول الى محلّه من كتب الفقه .

(٤) و أمّهات نساؤكم قد بيّنا أنّها ان المرأة تكون زوجة الرجل

بمجرد العقد عليها فأّم المرأة المعقودة ام زوجة تحرم حتى لو لم



يمس بنتها و تتسع الأم باتساع عناوينها التي اشرنا اليها .  
 (٥) وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن .  
 الربيب و الربيبة مأخوذان من التربية في الأغلب و ان اطلق  
 اللفظان على غيرهما فن الذين ينفصلون عن امهاتهم عندما يتزوجن  
 او ينخلقون من بعد مفارقة امهم لزوجها السابق فان الكائن السابق  
 على تزوج أمه و اللاحق لانفصالها عنه بزوج غيره اولده كليهما ربيب  
 ولا شك ان المراد بالدخول هو التصرف المألوف بين الازواج فتحرم  
 بنت الزوجة على زوج امها مع الدخول بها لا بدونه فلو عقد على الأم  
 و لم يدخل بها و فارقتها جاز له ان ينكح بنتها .  
 يبقى الكلام في قيد - اللاتي دخلتم بهن - فهل يجوز ان  
 نجعله قيда للطرفين من قوله و امهات نسائكم و قوله و ربائبكم اللاتي  
 في حجوركم من نسائكم فيكون الدخول شرطا في تحريم ام الزوجة و بنت  
 الزوجة جميعا .

فنقول بعد صرف النظر عن المجارى النحوية رجوع القيد الى  
 الأخير الملاصق له قطعى و رجوعه فضلا عن هذا الى امهات الأزواج  
 محتمل و الاحتمال لا يدفع ظاهرة العموم في امهات النساء و قد نقل  
 عن النحاة ان الخبرين اذا اختلفا في العامل لم يجزان يـ  
 نعتهما واحدا فلا تقول مررت بنساءك وهويت نساء زيد الظريفات على  
 ان يكون النعت بالظريفات للنساء المضافة لكاف الخطاب و المضافة  
 لزيد فهكذا الآية التي بأيدينا فان عامل امهات نسائكم الأضافة وعامل  
 من نسائكم حرف الجر .

(٦) و حلائل ابنائكم الذين من اصلا بكم ، و الحلائل جمع حليلة  
 و هى الزوجة مأخوذة من الحلال فهى حليلة بمعنى محللة فأزواج



الأولاد حرام على الآباء بشرط ان لا يكون الأولاد اولاد تبني لا نسب بينهم و بين من تبناهم بالبنوة الواقعية وبعد ثبوت النسب لافرق فى الولد بين ان يكون صلبيا ام غير صلبى و فى الأب بين ان يكون قريبا ام بعيدا و فى منكوحة الأبن بين ان تكون مدخولا بها ام لا و فى حرمة موطوءة الأبن سفاحا على ابيه كلام محلّه كتب الفقه .

(٧) و ان تجمعوا بين الأختين ، فان العقد على احدى الأختين محرّم للعقد على الاخت الأخرى ما دامت الأولى فى حبال الزوج و هكذا و طىء احدى الاختين بملك اليمين محرّم لوطء الأخت الأخرى ما دامت الأولى مفترشة له .

و القول فى قوله تعالى الآ ما قد سلف كالقول فى ذلك آنفا  
و معناه انه يقع مغفورا كما صرح تعالى بقوله ان الله كان غفورا رحيفا .



\* ( و المحصنات من النساء الاّ ما ملكت ايما نكم كتاب  
 الله عليكم و احلّ لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا  
 بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به  
 منهن فآتوهنّ اجورهنّ فريضة ولا جناح عليكم  
 فيما تراضيتنّ به من بعد الفريضة انّ الله كان  
 عليما حكيمًا ) \*

احصن الانسان نفسه اعفها بالزواج و السفاح هو النكاح غير  
 المشروع مأخوذ من السفح وهو صبّ الماء او الدم و نظير ذلك من  
 المائعات و المحصنات بالرفع عطف على المحرّمات السابقة من نسب  
 و سبب اى و حرّمتم عليكم النساء ذوات الأزواج فان المرأة ذات الزوج  
 و التى بحكمها و هى المعتدة رجعيًا حرام على غير زوجها فلا يجوز  
 العقد عليها ولا الأستمتاع بها لغيره الاّ اذا سبى المسلم حربيّة  
 و ملكها فأنّها و ان كانت ذات بعل فأن سببها و تملكها يحل عقدة  
 الزوجية و يستبرئها المالك و من بعد الأستبراء تكون ملك يمين جائز  
 الأستمتاع به .

و انتصب كتاب الله على المصدرية لفعل محذوف تقديره كتب الله  
 ذلك عليكم كتابًا لتسيروا على ضوئه ، و احلّ لكم ما وراء تلك الأصناف  
 من النساء لأجل ان تبتغوا بأموالكم التى تعطونها اما بعنوان صداق  
 المرأة و اما بعنوان ثمن ملك رقبة حال كونكم فى ابتغائكم ذلك  
 تحاولون تحصين انفسكم و اعفافها لا مطلق افراغ الشهوة ولو كان عن  
 سفاح و نكاح غير مشروع و مع استمتاعكم بالمرأة يلزمكم كل المهر لأزواجكم  
 اللاتى تصرفتم بهنّ ، فآتوهنّ اجورهنّ اى مهورهنّ لزوماً و فرضاً



وانتصب فريضة على المصدرية لا توهن فانه مصدر من معناه ولا اثم عليكم من بعد ما عقدتم وسميتم مهرا فيما تتراضون عليه من تقليل المهر المذكور في العقد وتكثيره فأن ذلك مربوط بكم فكلما تتراضون به كما وكيفما فهو جائز لكم ولا مانع من الشرع فيه ان الله كان عليما بما يصلحكم ويحفظكم من التلوث بالباطل حكيما في تقنين قوانينه يضعها حيث محز الواقع هذا هو ما يقتضيه الجريان الظاهري للآية .

وقال الشوكاني في تفسيره فتح القدير عند تعرضه لقوله تعالى فما استمتعتم به منهن . . . الخ قال الجمهور ان المراد بهذه الآية نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام ويؤيد ذلك قراءة أبي بن كعب و ابن عباس وسعيد بن جبير فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فاتوهن اجورهن ثم نهى عنها النبي (ص) الى ان يقول : وليست المنكوحة بالمتعة من ازواجهم ولا مما ملكت ايمانهم فأن من شأن الزوجة ان ترث و تورث وليست المستمتع بها كذلك - الى ان يقول - وقد قال بجوازها جماعة من الروافض ولا اعتبار بأقوالهم - اه : ملخصا : .

و في قوله ثم نهى عنها النبي (ص) الى آخر اقواله انظر واضحه - اما اولا - فلم يختلف اثنان من العارفين باحكام الاسلام في اباحة النكاح المنقطع في عهد الرسول وقامت جملة من الآثار على استمراره حتى اواسط خلافة عمر ابن الخطاب ، فروى مسلم في الصحيح ج ٤ ص ١٣٠ وما بعدها باب نكاح المتعة ، عن عطاء قال قدم جابر ابن عبد الله معتمرا فجنناها في منزله فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله و ابي بكر وعمر ، وعن ابي الزبير قال سمعت جابر ابن عبد الله يقول كنا نستمتع بالقبضة من التمر



والدقيق الايام على عهد رسول الله وابي بكر حتى نهى عنه عمر فى شأن عمرو بن حريث ، و فى منتخب كنز العمال (ج ٤ ص ٤٠٤) عن سعيد بن المسيب قال استمتع ابن حريث وابن فلان كلاهما ولد له من المتعة زمان ابي بكر وعمر - ابن جرير -

وقال ابن حجر فى الأصابة فى ترجمة سلمة ابن امية بن خلف الجمحى واستمتع سلمة ابن امية من سلمى مولاة حكيم ابن امية من الأوقص الأسلمى فولدت له فوجد ولدها فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة .

فانت ترى ان الناهى هو عمر بن الخطاب لحادثة رأها مخلصة بسياسة امور الناس فنهيه سياسى لا وزن له فى الشريعة وليس له من الأمر شىء حتى يمحوا او يثبت من احكام الشرع .

وقال ابن حزم فى المحلى ثبت على تحليل المتعة بعد النبى (ص) من الصحابة ابن مسعود وابن عباس وجابر وسلمة والمغيرة ابنا امية بن خلف وذكر آخرين .

وفى بداية المجتهد لابن رشد واشتهر عن ابن عباس تحليلها وتبع ابن عباس على القول بها اصحابه من اهل مكة واليمن ثم قال وروى عنه انه قال ما كانت المتعة الا رحمة من الله عزوجل رحم بها امة محمد (ص) ولو لانهى عمر عنها ما اضطر الى الزنا الا شقى ، وعن عطاء قال سمعت جابر بن عبد الله يقول تمتعنا على عهد رسول الله وابي بكر ونصفا من خلافة عمر ثم نهى عنها عمر الناس - الى غير ذلك مما هو كثير - .

واما ادعائهم نسخ ذلك زمن الرسول ففيه من الخبط والتزوير لصالح العصبية ما لا يخفى امره فقد ذكروا له طرقا ثلاثة تعطى النسخ



(احدها) ما عن اياس بن سلمة عن ابيه قال رخص رسول الله (ص) عام  
 او طاس في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها (ثانيها) ما عن الربيع بن سبرة  
 الجهني عن ابيه سبرة قال امرنا رسول الله (ص) بالمتعة عام الفتح حين  
 دخلنا مكة ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها (ثالثها) ما عن علي ابن  
 ابي طالب ان رسول الله (ص) نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل  
 لحوم الحمر الأنسية وانه نهى ابن عباس عن القول بحلية المتعة .  
 فأنت ترى كم من فرق في تواريخ هذه الحوادث التي ذكر فيها ان  
 الرسول امر بالمتعة فيها وانه نهى عنها وذلك دليل التذبذب في  
 نقلها وشعار اختلاقها بنفع التعصب المقيت .

وأمّا رهايتهم النسخ عن علي (ع) وادعائهم انه نهى ابن عباس عن  
 القول بحلية المتعة فذلك من التزويرات المفتضحة فان عليا وآل علي  
 ينددون بمن يحرم المتعة ويرون ان نكاحها على مشروعيتها الأولى حتى  
 صار القول بحليتها من خصائص مذاهبهم كما هو معروف .

وأمّا قول الشوكاني وليست المنكوحة بالمتعة من ازواجهم ولا ممّا  
 ملكت ايمانهم فإن من شأن الزوجية أن ترث وتورث وليست المستمتع بها  
 كذلك فهو تحكم فان المنكوحة بالمتعة منكوحة بعقد وهم يعترفون بكونها  
 زواجا في صدر الاسلام وان الآية المعنونة من ادلتها فهي زوجة غايته  
 ان الزوجية تكون على قسمين دائم ومنقطع والمتعة من المنقطع والزوجية  
 الدائمة قد يكتنف بها ما يقطعها عن سببية الأثر وذلك فيما لو كانت  
 الزوجة كافرة والزوج مسلما او كانت امة مملوكة والزوج حرا او كانت قاتلة  
 اذن فالأثر بين الزوجين الدائمين ليس من الخصائص غير المنفكة .  
 والزواج المنقطع قد اختلف الفقهاء في الأثر معه فبعضهم يراه  
 سببا كالدائم وبعض يراه كالدائم مع شرط التوارث واختلاف الزوج



المنقطع عن الدائم في بعض نواحيه لا يخلّ به قطعاً كاختلاف انواع البيوع وسائر المعاملات مع تقرّر شرعية الجميع، ونحن قد بسطنا القول حول نكاح المتعة في (ج ٢ ص ٢٧٩ وما قبلها وما بعدها من كتابنا نتائج الفكر في شرح الباب الحادي عشر) فراجعه ان شئت .

\* ( ومن لم يستطع منكم طويلاً أن ينكح المحصنات

المؤمنات فمن ما ملكت ايما نكح من فتياتكم المؤمنات

والله اعلم بأيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهنّ

بأذن اهلهنّ وآتوهنّ اجورهنّ بالمعروف

محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخذ ان

فأذا أحصنّ فأن اتين بفاحشة فعليهن نصف

ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي

العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم ) \*

الطول هو القدرة والمكنة والقتاة الشابة وتطلق على الأمة وان كانت عجوزاً والفتى هو الشاب ويطلق على العبد ولو كان كبير سنّ والأخذ ان جمع خدن وهو الصديق والعنت هو المشقة .

ابان سبحانه في هذه الآية حكم الحرّ بالنسبة الى تزوجه بالأمة ولم يطلق اباحة ذلك له بل قيده بشرطين (الأول) ان لا يستطيع الحرّ القيام بمهور الحرائز ونفقاتهنّ (والثاني) مشقة العزوبة عليه بدون فراش فاذا توفر هذان الشرطان جاز له ان يتزوج من اماء الأغيار بأذن مواليهنّ مشروطاً بأن تكون تلك الأمة غير معروفة بالزنا ظاهراً ولا متخذة خدن وصديق في السرّ يستمتع بها وينال منها بل محصنة اي عفيفة نزيهة الناموس وان يؤتيها مهرها وان كان الذي يملك مهرها هو



الذى يملك رقبتها .

وان الأمة اذا زنت بعد احسانها بالزواج فعليها نصف حد الحرّة  
خمسون جلدة ومع انه سبحانه لم يفرّق في عنصريّة الأحرار والعبيد حيث  
قال بعضكم من بعض بمعنى ان سود انكم وبيضانكم (حملا على الأغلب  
في المماليك والمالكين) من جرى عليه الرقّ كمن تحرّر منه جميعا من  
اصل واحد فلا يستقذر البيض من الأقران بالسود كما لا تنبزو انسانا  
حرّا اقترن بمملوك قال وان تصبروا عن الزواج بالأماء فإنه خير لكم من  
التزوج بهنّ ولا شكّ انه تعالى لا يريد ان يبيّن ان ذلك خير واقعى  
بل خير في الظاهر ابتعادا عن توهين الناس لهم وحطّهم من كرامتهم .  
ويستفاد من قوله - المحصنات المؤمنات - عدم جواز التزوج بالأمة  
الكافرة، ومعنى قوله واللّه اعلم بأيمانكم - ان الايمان المشترط بقوله  
من فتياتكم المؤمنات يكفى فيه ظاهر الأيمان لان البشر لا يستطيع ان  
يعلم غير الظاهر وهو ملاكه في العمل شرعا، واللّه وحده هو الذى يعلم  
بواقع الأيمان من مزوره .

ومعنى قوله وآتوهنّ اجورهنّ بالمعروف هو ان الأنصاف قاض عليكم  
ان تؤتوهنّ من المهور ما هو متعارف فى حقهنّ لا انقص من ذلك وان  
كان مع رضى الطرفين لا مانع منه .

كما يستفاد من قوله محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان انه  
لا يجوز الاقتران بالأمة الزانية ظاهرا او سرا والمعروف فى الفقه كراهة  
ذلك وان الإنسان لو اقترن بزانية لما كان نكاحه فاسدا ولا فاعل حرام  
والمعروف فى الفقه ايضا ان الحرّة المحصنة بالزواج اذا زنت ترجم  
ويلوح من قوله تعالى نصف ما على المحصنات من العذاب ان الحرّة  
المحصنة تجلد ونصف ما عليها من الجلد يرتب على الأمة المحصنة



والله غفور لبادر عباده رحيم بهم .

\* ( يريد الله لبيّن لكم ويهدى لكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم : والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما : يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ) \*

مفاد ذلك أنّ الله بسرده الأحكام عليكم يريد ان يبيّن لكم ما ينفعكم عاجلا وأجلا ويهدى لكم سنن الذين خلوا من قبلكم حتى تأخذوا بالصالح منها كما قرروا تنبذوا الفاسد كما ارشد وبيّانه ذلك يريد أن يغفر لكم ما كنتم ارتكبتموه لجهلكم به والله عالم بما يصلحكم حكيم فيما يقرر عليكم وأكد سبحانه ما وعدهم المغفرة عليه بانه تعالى لرحمته بكم يبيّن سبيل الرشاد لكم حتى لا تقعوا في المهالك والذي يقترف المعصية بعد البيان اذا جرّد نفسه منها وتاب يتوب الله عليه ايضا وحدّ رهم من اتباع عبدة الشهوات أنّ هؤلاء انما يحاولون تضليلهم وميلهم عن الحق ميلا عظيما كثيرا لسوادهم وتقليلا من تشويه سمعتهم ولا هدف لهم بالأغيار الاّ اتخاذهم قنطرة لميولهم ورجباتهم .

يريد الله بهذه المواعظ والافات الأنظار ان يخفف عنكم من جهلكم وما ذلك الاّ لأنّ الانسان منذ خلق خلق ضعيفا في كل اشياءه وانما يقويه الأرشاد والتعليم من ناحية العفو والمغفرة له من ناحية ثانية .



\* ( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا : ومن يفعل ذلك عدوانًا وظلمًا فسوف نصليه نارًا وكان ذلك على الله يسيرًا ) \*

اكل المال بالباطل صرفه واستفادته في طرق غير مشروعة ومن وجه غير مشروع كصرفه في القمار واستفادته من هذا الطريق واخراجه في الزنا وتملكه من هذا الباب وقس على ذلك كل عمل غير مشروع من المكاسب المحرمة عرفًا وشرعًا كاللواط والقيادة والرشوة مما هو معروف بين المتشعة وفي عالم الشرع والاستثناء من ذلك بالتجارة عن تراض استثناء منقطع اذ لا معنى لاستثناء الصحيح من الباطل الا عزله عنه موضوعًا وحكمًا والاستثناء المتصل ما كان بعزله حكمًا مع دخوله موضوعًا . والمراد بالتجارة هي المعاملة الممضاة من الشرع والا فجملة من التجارات الدائرة بين الناس باطلة شرعًا كبيع النسيئة والسلف من غير تحديد اجل وكبيع الأطفال وعلى الأطفال وقيد التراضى يخرج المعاملات الأكرهية وقتل النفس يشمل معاني عديدة منها الانتحار ومنها قتل الغير عدوانًا ومنها ايباق النفس في الجرائم والمآثم فانه قتل لها عند الله لانه تطويح بهافي عذاب الله واتلاف لها في هذا السبيل .

ان الله في وصاياه هذه لكم كان رحيمًا بكم ومن يفعل شيئًا من ذلك بأن يأكل المال من طريق باطل او يقتل نفسه او غيره عدوانًا وظلمًا للنفس او للغير اولهما فسوف يوم القيامة نصليه ونلزمه نارًا وكان ذلك



التوعد والتهديد على الله يسيرا لا كمن يتوعد بشيء وهو غير قادر على فعله وإيقاعه .

\* ( ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم

وندخلكم مدخلا كريما ) \*

الكبيرة في اللغة من المعاني الأضافية المعروفة وقد اختلف في معناها شرعا فقليل كل ما وعد الله عليه عقابا في الآخرة وحدا في الدنيا واكتفى بعضهم بما يوجب العقاب الأخرى وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وهذا القول لا يلائمه قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فان الآية تشعر ان في ضمن ما نهى الله عنه صغائر .

والحق ان الصغيرة والكبيرة وان كانتا من المعاني الأضافية إلا أنه ربما تكون صغيرة في النظر وتبقى على هذه السمة بالنسبة الى ما فوقها كأكل مال الانسان عدوانا في قبال قتله عمدا بغير حق وبالنسبة الى مادونها يقال لها كبيرة فان اكل مال الانسان ظلما كبيرة بالنسبة الى توهينه الخفيف او الاسائة له في الجوار ونظير ذلك .

ولكن لاشك في وجود الصغائر في نفسها كالنظر العمدي الى غير المحرم والتوهين الخفيف بالغير وانتهاج المال المحقر منه عدوانا فان امثال هذه الذنوب صغائر في نفسها قطعاً فالآية تنص على ان الانسان اذا اجتنب كبائر الذنوب وقعت صغائره مغفورة له بشرط ان لا يصير عليها فإنه لا صغيرة مع اصرار كما لا كبيرة مع استغفار والمراد بالسيئات هنا هي الصغائر بقربنة مقابلتها بالكبائر والمدخل الكريم هو المنزل المهّدد الواجد لصفات الاكرام والاحترام والأجلال .

والذنوب المصحح بكونها كبيرة في القرآن وفي السنة رقم واسع جداً



ونسوق بالمناسبة حديثا رواه عبد العظيم الحسنى عن الجواد عن الرضا عن الكاظم عليهم السلام قال دخل عمرو بن عبيد الناسك المعروف على الصادق عليه السلام فلما سلّم وجلس تلا هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم أمسك فقال له الامام ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله .

قال نعم ياعمرؤ اكبر الكبائر:

- (١) الشرك بالله قال الله ان الله لا يغفر ان يشرك به .
- (٢) وبعده ، اليأس من روح الله لان الله يقول ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .
- (٣) ثم الأمن من مكر الله لان الله يقول ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون .
- (٤) ومنها عقوق الوالدين لان الله جعل العاق جبارا شقيا في قوله وبراً بوالدتي ولم يجعلنى جبارا شقيا .
- (٥) ومنها قتل النفس لانه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها .
- (٦) وقذف المحصنات لان الله يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم .
- (٧) واكل مال اليتيم ظلما لان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .
- (٨) والفرار من الزحف لان الله يقول ومن يؤلهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير .
- (٩) واكل الربا لان الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم



الذى يتخبطه الشيطان من المس - ويقول فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .

(١٠) والسحر لان الله يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق .

(١١) والزنا لان الله يقول ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا .

(١٢) واليمين الغموس لأن الله يقول ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة - الآية .

(١٣) والغلول وهو تناول من الغنيمة قبل الأسهم قال الله ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة .

(١٤) ومنع الزكوة المفروضة لان الله يقول يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم - الآية - وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب الخمر وترك الصلاة متعمدا او شيئا مما فرض الله ونقض العهد وقطيعة الرحم ، قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم فى الفضل والعلم .



\* ( ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما

اكتسبن وسئلوا من فضله ان الله كان بكل شيء

علیما ) \*

قيل فى مورد نزول الآیة وجوه منها ان ام سلمة رضى الله عنها  
قالت يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولا نقاتل فنستشهد وانما لنا  
نصف الميراث فنزلت الآیة وقيل لما نزلت آیة المواريث قال الرجال نرجو  
ان نفضل على النساء بحسناتنا فى الآخرة كما فضلنا عليهن فى الميراث  
فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء وقالت النساء انا نرجو ان  
يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال فى الآخرة كما لنا الميراث على  
النصف من نصيبهم فى الدنيا فنزلت الآیة وروى شبيه ذلك .

والتمنى هو طلب ما ليس بحاصل سواء كان للماضى ام للحاضر ام  
للمستقبل فقد يتمنى الإنسان ان تكون سابقته على كذا وصف او حاضره  
او مستقبلة والتمنى قد يكون بنحو غبطة وقد يكون بنحو حسد وقد يكون  
مجردا عنهما معا فالغبطة ان تريد لنفسك من النعمة والفضل مثل ما  
عند غيرك والحسد ان تريد ذلك لنفسك مع زواله عن الغير والمجرد عن  
كل ذلك ان تريد شيئا لنفسك بلا نظر الى ما عند الأغيار وكل ما سوى  
الحسد من هذه المعانى لا مانع من ارادته الا ما يتصور فيه من عدم  
الرضا بما قسم الله لعبده .

واما الحسد فحالة ساقطة تنبى عن سقوط نفس الحاسد وانحطاط  
نظره والنهى فى قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض  
ليس للتحريم على اطلاقه بل يتشقق حسب صورته وما لها من احكام



شرعية نعم هو نهى تنزيه في العموم لأشعاره بان المقسوم له غير راض بما قسم له .

ثم ابان سبحانه ان كل واحد من الرجال والنساء له نصيبه مما جرّ لنفسه او عليها فان الجميع افراد مكلفون عقلاء لا ميز بينهم من هذه الناحية الا بمقدار ما يمتاز العالم على الجاهل وتأمّ العقل على ناقصه واما الموائز الطبيعية بين الذكور والاناث فذلك ضرورى لأدامة النوع فى حياته وانتشار افراده .

وامّا تفضيل الرجل على المرأة فى الميراث فذلك لأنّ المرأة فى الأعمّ الأغلب تحت حماية رجل من رجالها ابا كان امّ امّ ولدا ام زوجا فمسؤولياتها امام المادة مسؤوليات ضعيفة وليست جذرية بخلاف الرجل وهكذا انما كلف الرجل بمشاقّ الامور من جهاد ودفاع وحمل سلاح لأنّ مقاومته فى قبال ذلك اكثر نوعا من المرأة .

ثم انه سبحانه اباح للناس بل احبّ منهم ان يسألوه من فضله واستجابته تكون طبقا للمصلحة لا جزافا كما يريد الانسان ، ان الله كان بكل شىء ممّا يصلح الانسان ويفسده عليما لان الواقع بين يديه على كل حال .



\* ( ولكل جعلنا موالى مّا ترك الوالدان والأقربون

والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان اللّٰه

كان على كل شىء شهيدا ) \*

المولى اصله من ولى الشىء اذا قرب منه وهو هنا بمعنى الأولى

ومفاد الآيه ولكل انسان جعلنا من هو أولى به من غيره فيكون هو

الوارث مّا ترك الوالدان والأقربون والمراد بالذين عاقدت ايمانكم هم

الحلفاء وهو ما يعبر عنه بلسان الفقيه ضمان الجريرة وضامن الجريرة من

طبقه الوراث بشرط ان لا يكون اولى منه كالمناصبين من آباء وابناء واخوة

واجداد واعمام واخوال وكالمنعم من المساببين نعم ضامن الجريرة يكون

اولى من الامام ويترث معه الزوج والزوجة .

فآتوهم نصيبهم والمال كله لضامن الجريرة باستثناء سهم الزوجية

اذا كان فى البين زوج او زوجة ، وشهدا هنا بمعنى مطلعاً واقفاً على

حقائق الاشياء ، وصدرا الآيه مقرر لما سبق من آيات الأثر ولما يجىء

من قوله تعالى واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض .

وامّا قوله والذين عاقدت ايمانكم فانه ينطبق على ائمة ضمان الجريرة

الا انه لم يفصل شرطه الذى آنفناه ، قرأ اهل الكوفة عقدت والباقيون

عاقدت .



\* ( الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم

على بعض و بما انفقوا من اموالهم فالصالحات

قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله و اللاتي

تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ و اهجروهنّ فسى

المضاجع و اضربوهنّ فأن اطعنكم فلا تبغوا

عليهنّ سبيلا ان الله كان عليا كبيرا ) \*

قيل في مورد نزول الآية ان رجلا من الانصار لطم امرئته فجاءت

الى النبي (ص) تلتمس القصاص فجعل لها النبي ذلك لكن القرآن

انزل بقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) وارى ان فى ذلك

اشتباهين الأول ان فتوى النبي على خلاف الواقع يناقض قوله تعالى

ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى و اذا لم يكن للنبي بذلك

علم فكيف يفتى بالتخرص و الثانى ان كون الرجال قوامين على النساء

ليس من لازمه جواز ضرب الرجل للمرأة على كل حال و انما يجوز ضربها

عند النشوز بعد العظة غير المؤثرة و الهجر فى المضجع غير الناجع .

و انما كان الرجال قوامين على النساء لان الرجل نوعا اثقف من

المرءة و اعلم منها بالمصالح و المفاسد و اكثر درية بشؤون الحياة

و تفضيل الله الرجال على النساء باعتبار ان خلقه الرجل بحكم فحولته

اكمل من خلقه المرءة و انما خلق المرءة على ما هى عليه لان ذلك لازم

انوثتها فان من لازم الأنثى ان تكون اظرف طبيعة و اقوى عاطفة و ابعد

دركا لمشاق الحياة حتى لاتنهار سريعا .

و من اسباب تفضيل الرجل على المرءة انه يكدر لتأمين معيشتها

و النفقة عليها و اكتنائها فى مكن يلائمها و يرأف بها عن مزاولتها



المشاق فالصالحات من النساء مطيعات لله في ازواجهن لا تعصى  
المرأة الزوج و تأخذ بارشاداته و نصائحه حافظات لأنفسهن في غياب  
ازواجهن و حضورهم ولأموال ازواجهن ولأسرارهم و اماناتهم بما حفظ  
الله لهم من حقوق و وظفها عليهن في قباليهم .

و النشوز هو الأرتفاع عن الطاعة و الجنوح الى المعصية و النساء  
اللاتى تعلمون او يلوح لكم نشوزهن من امارات واضحة فعظوهن أولاً  
بما يلفت انظارهن فلعلهن عازيات عن الواقع بعيدات عن تدبير  
الصالح فأن لم ينجح الوعظ فاهجروهن في المضاجع جمع مضجع و هو  
محل النوم و يأتى ذلك على انواع منها عدم المقاربة و منها تولية  
الظهر اليهن مع اتحاد فكان النوم و منها الأبتعاد بمكان النوم  
و اضربوهن مع عدم انجاع الهجر ولا يترقى من واحد الى آخر الا بعد  
عدم تأثير الأضعف فأن اثرت مرحلة من هذه المراحل فارتفع النشوز  
بالطاعة فلا سبيل لكم عليهن فان ذلك كله كان تأديباً و التأديب  
فريضة في تعديل جنبات الحياة للذكر و الأنثى و الإنسان و الحيوان  
ولا يجوز لكم ان تتجنوا بنسبة العلل اليهن فان الله يتعالى عن  
الباطل و يجلل عنه ولا يرضاه لكل مكلف .



\* ( وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله  
و حكما من اهلهما ان يريد ااصلاحا يوفق الله  
بينهما ان الله كان عليما خبيرا ) \*

الشقاق معناه وقوع كل واحد منهما فى شق بعيد عن الآخر  
و الحكم هو الذى يرتضى للحكومة و التوفيق هو الجمع و ايجاد الربط  
و الخوف هنا الخشية و الخطاب لأهل الزوجين بمعنى متى حذرت من  
اتساع الخرق بين الطرفين بما قد يؤدى ذلك الى انتباز احدهما عن  
الآخر انتبازا لا تحمد عواقبه و الخطاب فى قوله فابعثوا و ان كان  
بمراعاة السياق يلزم ان يعود لمحل الخطاب الأولى و هم اهـل  
الزوجين الا ان مجارى الفقه قاضية بأن الباعث انما يكون هو الحاكم  
الشرعى بعد مراعاة اهل الطرفين اليه فحينذاك يبعث الحاكم  
الشرعى وسيطا من اهل الزوج و وسيطا من اهل الزوجة ليعانينا فى  
الداعى الذى دعاهما الى هذا الأختلاف بما اريك حياتهما الزوجية  
و يظهر من السياق ان الحكمين انما لهما من الرأى ما يكون به الصلح  
بين الطرفين .

اما اذا رأيا الفرقة و الطلاق فلا يستطيعان ان يوقعا ذلك الا  
بتوكيل من بيده الطلاق لأن الآية تنطق ( ان يريد ااصلاحا ) و ضمير  
بينهما على الأظهر يرجع للزوجين بمعنى ان حاولا الاصلاح بأدخال  
شرائط خاصة فى الحياة الزوجية للطرفين فعسى الله ان يوفق بينهما  
ان الله كان عليما بمجارى المصالح و المفاسد خبيرا بما تستدعيه  
خلقتهم و طبيعتهم .



\* ( و اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً و بالوالدين احسانا و بذى القربى و اليتامى و المساكين و الجار ذى القربى و الجار الجنب و الصّاحب بالجنب و ابن السبيل و ما ملكت ايما نك ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ) \*

معنى و اعبدوا الله اظهروا الخضوع له ، ولا تشركوا به شيئاً ، لا تتخذوا معه شريكا حقرام خطر فالباء فى به بمعنى مع و احسانا مؤكّد لفعل من لفظه محذوف تقديره و احسنوا بالوالدين احسانا جزاء وفاقا لأتعا بهما فى حقكم و سهرهما على مصلحتكم و ذو القربى هو الرحم الذى يقرب من الأنسان و شيعة و سبق القول على اليتامى و انهم الفاقدون للآباء قبل اوان البلوغ فبفقدانهم للحامى امر الله سبحانه عبادته بالأحسان اليهم و المسكين لضعته و عدم ما بيده مثله فى الحاجة الى من يتفقد ه .

و الجار ذو القربى هو الأنسان الجامع بين صفتى الجوار و الرحم فهو يستحق الأحسان من ناحيتين جواره و قربه فى النسب فلا اتحاد بينه و بين القريب حتى يقال انه مكرّر ، و الجار الجنب هو الغريب عن اهله المجاور لك ايها الأنسان و حدّ الجوار قيل اربعون ذراعا من كل جانب و قيل اربعون دارا و الأمر عرفت يرجع به الى العرف و الصاحب بالجنب قيل هو الزوجة لأنها بجنب الزوج و قيل هو رفيق السفر و قيل هو الذى انقطع اليك يرجو رفقك له و مساعدتك آياه و قيل هو الضيف و العنوان فيه صلاحية الأنطباق على الجميع .

و ما ملكت ايما نك من عبيد و اماء بل و حتى الحيوان فان الأحسان



حسن من كل انسان فى مقابل كل انسان الا اذا افاد تأييدا لجريمة  
و تشجيعا لجهل و اصرارا على خطأ ، ان الله يحب كل متواضع رحيم  
رؤف و لا يحب من كان مختالا متكبيرا على الناس فخورا عليهم بالتوافه  
من مال و رجال .

\* ( الذين يبخلون و يأمرن الناس بالبخل و يكتمون

ما آتاهم الله من فضله و اعتدنا للكافرين عذابا

مهينا ) \*

سبق فى آخر الآيه السالفة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا  
و تابع فى هذه الآيه ذكر جملة من الأوصاف الذميمة فقال الذين  
يبخلون فهو وصف للمنصوب السابق و البخل هو امسك الأنسان  
ما عنده دون بذله فى وجوهه حرصا خاليا عن داع معقول سوى حب  
المال بما هو مال وهو من اردل الصفات ومن الطبيعى ان كل ذى  
خلّة يودّ انتشارها بين الناس و تكثير اهلها فالبخيل كما رضى و هوى  
البخل لنفسه يهوى من اعماق ضميره ان يكون الناس بخلاء مثله و يبلغ  
لذلك جهده و صفة البخل بالمال ذات سراية الى البخل بكل شىء  
حتى بالعلم يبذله و الفائدة للغير يسوقها .

ومن قوله تعالى و اعتدنا للكافرين عذابا مهينا يستفاد ان الله

نزل هؤلاء المنحطّين المتسفلّين منزلة الكفرة فى حصولهم على نتيجة  
واحدة هى اعداد العذاب المهين لهم .



\* ( و الذين ينفقون اموالهم رياءً الناس ولا يؤمنون  
باللّه ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا  
فساءً قرينا : وما ذا عليهم لو آمنوا باللّه و اليوم  
الآخر و انفقوا ممّا رزقهم اللّه و كان اللّه بهم  
عليما ) \*

و الذين فى هذه الآيه عطف على الذين يبخلون فى الآيه  
السابقة فى محل نصب على الوصفية لقوله آنفا من كان مختالا فخورا وقد  
سلف فى مفاد الذين يبخلون أنّهم مفرطون بما جرّهم هذا التفريط  
الى استحقاق العذاب و مفاد هذه الآيه يعاكس ذلك للأفراط و هو  
الأنفاق لا لداع معقول مشروع بل لداعى السمعة و الشهرة فإن  
الدواعى المعقولة هى ايقاع البرّ فى مواقعه أمّا ايقاعه خارج ذلك فهو  
للتشهير لا اكثر و ذلك يعدّ من السفه عقلا و ممّا لا اثر له شرعا و من  
المحرّم اذا وصل الى مرحلة الأتلاف للمال او مساعدة الفسقة و الظلمة  
و تأييد الظلم و الأنحراف .

و الفعل رياءً الناس هو التدليس ولازمه هو النفاق ولازم ذلك  
عدم الأيمان الواقعى باللّه و المعاد عليه و المحاسبة بين يديه و من  
لوازم هذه المعانى كون صاحبها مرموزا مترسما لخطوات الشيطان .  
ثم انبّ سبحانه البخل و الأمرين بالبخل الكاتمين لما آتاهم اللّه  
من الفضل المدلسين المرءىين الفاقدين للأيمان باللّه و اليوم الآخر  
المخادنين للشياطين بأنكم يا هؤلاء ماذا يكون عليكم من الضرر لو  
أمنت مبدأ القداسة و الطهارة و هو اللّه المبدئ لكم و المعيد لوجودكم  
و انفقت ممّا آتاكم اللّه و اعطاكم لوجهه و لداعى المواساة للضعفاء



والبؤساء وفى طرق الخير و سبيل المعروف فان الله عليم بظواهركم  
و بواطنكم و سيجازيكم على جميع ذلك ما تستحقون .

\* ( ان الله لا يظلم مثقال ذرة و ان تك حسنة

يضاعفها و يؤت من لدنه اجرا عظيما ) \*

ابان الله بهذه الآية ان ايقاعه بالعاصى المنحرف انما هو جزاء  
وفاق و ليس فيه من التعدى اقل شائبة فان الظلم من شيم الجهلة  
الناقصين فى تربيتهم و اخلاقهم و الكامل لا يتعقل فيه ان يكون ظالما  
و الذرة اصغر موجود يتصور كما ان المثقال اصغر عيار يوزن به و معنى  
ذلك ان الله لعدله لا يرتكب من الظلم حتى المقدار المغتفر فأن  
مثقال الذرة من الظلم لا يعيره العقلاء بالا لانحطاطه فى النظر .  
اما الحسنه يأتى بها العبد ولو كانت ذرة لا يعتد بها فان الله  
يرببها بالمضاعفة حتى تكون شيئا و يؤتيها لعبده حتى يستثمرها  
و يستفيد منها و معنى ذلك ان الله لا يزيد فى جزاء الظلم عمّا  
يستحقه و لكن فى الحسنات يتفضل على اهلها حتى يتشوقوا لفعالها  
ولا يهملوا الصغيرة و الكبيرة منها و هذا غاية فى الرأفة و الرحمة و فوق  
ما يتصور من الأنصاف و العدالة .



\* ( فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا : يومئذ يودّ الذين كفروا و عصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثا ) \*

بعدهما افاد سبحانه في الآيات السابقة ان المعاد على الله محتم لا ريب فيه و ان الانسان يجازى على ما فعل في دنياه فيؤخذ بظلمه و يفاض عليه الأجر للحسنة يجيء بها ابدى كل عجبه من العصاة عند الوقوف بين يديه .  
و الشاهد على كل امة نبيها المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من اية جهة صورتها و شهد هذا النبي لما شاهد من اعمال امته صالحها و طالحها و ابدى شهادته بين يدي ربه كما عاينها فهناك كل الويل للمشهود عليه بالسوء و هناك يودّ الكافر بالله و العاصي لما وظف الله عليه لو كانوا هم و الأرض سواء اى ترابا لاسؤلية عليه او انهم بقوا تحت الأرض ولم يخرجوا لمعاينة الجزاء و هناك لا يستطيعون ان يكذبوا الرسل فيما شهدوا به لأنهم فعلوا ذلك بلا مرية فيضطّروهم الواقع الى الاعتراف به فيؤخذون باعترافهم كما يؤخذ المعترف باعترافه امام القاضى .

روى ان عبد الله ابن مسعود قرء هذه الآية على النبي (ص) ففاضت عيناه فاذا كان النبي وهو الشاهد على الأمة المنزه في نفسه عن كل دنس و شين تفيض عيناه لهول ما سيقع فما حال المشهود عليه اذا كان مقارفا للمعاصي . نعوذ بالله من غضبه و انتقامه .



\* ( يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايدكم ان الله كان عفواً غفورا ) \*

سكارى جمع سكران وهو شارب المسكر و جنب وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع فكما يقال رجل جنب يقال امرأة جنب وقوم جنب والغائط جمعه غيطان و هى الأراضى المطمئنة اى الهابطة و كانوا يتبرزون فيها لأنها تسترهم ثم اطلق اسم المكان على ما يكون فيه فسمى حدث الدفع غائطا و ملامسة النساء جماعها لأن اصطلاح القرآن جرى على ذلك ولأنه المنصرف اليه فى امثال هذه الأطلاقات والصعيد وجه الأرض والطيب غير القذر .  
و المراد بالأيمان فى قوله يا أيها الذين آمنوا هو الأيمان بمعناه الأعم وهو الاعتراف بالمبدأ والدين وان لابس الفسق حتى يتأتى فى مقام الخطاب ان يقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى وقرب الصلاة هو التلبس بها .

و ليس من لازم السكران ان يفقد عقله بالمرّة حتى يقال فى حقّه انه كيف يكون محلاً للنهى وهو سكران بل هو معمولا يكون بين بين وذلك لا يكفى فى صحّة الصلاة حتى يعلم ما يقول فيها من قرآن وذكر و يتميز موارد ركوعها من سجودها و تشهدا من سلامها وما الى ذلك فما دام لا يحصل منه التميّز لا تصح منه الصلاة و يكون مع ذلك



آثما بملابستها .

قوله ولا جنباً حال عطف على الجملة الحالية وهي قوله وانتم سكارى ويحتمل في ذلك معنيان (الأول) لا تقربوا الصلاة والحال انكم جنب الا اذا كنتم عابري سبيل اي مسافرين فان المسافر قد يعذر عن الأغتسال اما لضيق الوقت او لعدم الماء او لعدم المكان الفارغ من الناس اولغير ذلك من الموانع فيتيمم بدل الغسل (الثاني) ان المراد هنا مكان الصلاة وهو المسجد على سبيل الاستخدام بمعنى يائها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد التي تقام فيها الصلاة الا عابري سبيل تدخلون من باب وتخرجون من آخر ولا يجوز لكم المكث فيها حتى تغتسلوا من الجنابة وان كنتم مرضى تخافون من استعمال الماء او على سفر يقل الماء فيه عليكم او يضيق بكم الوقت عن استعماله او جاء احد منكم من الغائط و اراد ان يتطهر للصلاة فلم يجد ماء او جامعتم نساءكم وفقدتم الماء ففي امثال هذه الصور اقصدا والصعيد الطاهر من القذارات فاضربوا بأيديكم على الارض فامسحوا بوجوهكم والوجوه هنا وان كانت هي الوجوه في الوضوء الا ان مسح الوجه عند الخاصة في التيمم انما يتناول مسح الجبين الى طرف الأنف الأعلا واليد وان كانت تتناول كل العضو الى المنكب وقد تطلق على ما يحاذي المرفق الا ان الخاصة يرونها الى الزند هنا ان الله كان عفوا عن الألزام بالمشاق عفورا لسيئات عباده .



\* ( ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب  
يشترون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل  
والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله  
نصيرا ) \*

الخطاب بقوله ألم تر لكل من تتأتى منه الرؤية والنصيب هو السهم  
والكتاب فى المعهود ينسب اليه اليهود والنصارى ومفاد الآية ان  
الضلال وان كان نتيجة للجهل الذى هو كالقاعدة الأساسية للانسان  
الذى لم يتثقف الا انه مستغرب من الذى يوقف على طريق الهداية  
ويرشد اليه ومع ذلك ينتخب طريق الضلالة ويسعى سعيه فى اضلال  
غيره فان اليهود والنصارى من هذه المقولة لأن الله اوقفهم من طرق  
كتب السماء التى انزلها على انبيائهم موسى وعيسى وصدع هذان  
النبىان فى ابلاغهما وبيان حقائقهما لأممهم ومع ذلك تعسف هؤلاء  
الطريق وانحرفوا عن الجادة وضلّوا ولم يكتفوا بذلك حتى اخذوا  
يجهلّون غيرهم ويندّدون بهم اذن فمن لازمكم ايها المؤمنون بمحمّد  
ان لا تقبلوا منهم قولا ولا تركنوا اليهم ولا تستنصحوامنهم مشورة فأنهم  
اعدائكم الواقعيون وان تظاهروا احيانا بالصداقة لأجل أن يستفيدوا  
من ورائها مقاصد هم منكم وكفى بالله وليا لكم وانصرا .



\* ( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه  
ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع وراعنا ليا  
بأسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا  
سمعنا واطعنا وسمع وانظرنا لكان خيرا لهم  
وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا  
قليلا ) \*

اللّٰهُ هو الطيّ والفتل غير مسمع بمنزلة قولك لمخاطبك اسمع  
لا سمعت وهى شتمه والمراعاة واضحة المعنى ان اخذناها من راعاه  
يراعيه مراعاة وان جعلناها مشتقة من الرعونته كان معناها شتما وان  
كانت صيغته الصحيحة ارعن لا راعن .

ومفاد الآية ان جملة من اليهود يحرفون ماجاء في التوراة ارادة  
لتلبيس الأمر على الغير حتى لا يتخطى احد الى دين واقعى كالا سلام  
بل يبقى ملازما لحوزتهم واذا واجهوكم ايها المؤمنون او واجهوا نبيكم  
يقولون بألسنتهم سمعنا ولكن لسانهم الواقعى ينطبق بعصينا ولا يكتفون  
بذلك حتى يشتموكم ويسيوؤا الأدب مع نبيكم فيقولون له بما معناه اسمع  
لا سمعت وتفتل ألسنتهم بما يتشابه معناه كقولهم راعنا الذى يجوز ان  
يراد منه معنى الرعونته كما يجوز ان يراد منه معنى المراعاة يفعلون ذلك  
طعنا فى الدين القويم وهو دينكم يا اتباع محمد ولو انهم كانوا صادقين  
فى اظهارهم للسمع والطاعة لقالوا بلسان غير متشابه سمعنا قولك  
واطعنا مفاده وهكذا لقالوا اسمع ( يحذف ضميمة غير مسمع ) ولقالوا ايضا  
مكان راعنا انظرنا وعابنا لينا معاينه المستنصح غير المتهم وكان ذلك  
خيرا فى الأدب واقوم لكلامهم من الزيف ولكن طردهم الله بسبب كفرهم



فلا يؤمن من فريقهم إلا القليلون وهكذا كان الواقع فانه لم يسلم من اليهود إلا العدد المنزور .

\* ( يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا  
مصدقاً لما معكم من قبل ان نطمس وجوها  
فنردّها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا  
اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ) \*

اهل الكتاب كما اسلفنا يشمل اليهود والنصارى ولكن بما ان اليهود اشدّ عداوة للمسلمين من النصارى واقرب منطقة لمركز الاسلام وهو المدينة كان انصراف هذا اللفظ اليهم اكثر، والذي نزله الله مصدقا للتوراة والانجيل هو القرآن ومعنى ذلك ان القرآن ليس معاديا لأديانكم الأصلية وإنما فيه تتميم للناقص وحذف للمزور المكذوب الذي لا واقع له فمن لازمكم أن تؤمنوا به ثم هدّد هم بطمس وجوههم ان هم أصروا على الطغيان ومعنى ردّها على ادبارها إذ لا لهم واخراجهم من مساكنهم كما جرى لبني النضير وغيرهم ذلك واصحاب السبت هم الذين مسخهم الله قردة فتهدّد هم الله بالمسخ كما مسخ اسلافهم واذا اراد الله شيئا كان امره مفعولا .



\* ( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك

لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً ) \*

انما شدد الله الأمر في الشرك والألحاد لداعيين قوبلين (الأول)  
ان الأدلة القائمة على وجود الصانع واضحة جلية لكل احد كما قال  
القائل :

وفى كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فليس لأحد جهة اعتذار في الانحراف عن هذا الأمر الجليّ  
الواضح (الثاني) ان اصل الاعتراف بالصانع ليس فيه مؤنة وسدود تقف  
امام ميول الأنسان التي تدعوه الى الفسق فان الاعتراف بالله شيء  
والانحراف عن برامجه شيء آخر .

وقد اوعد سبحانه بأنه يغفر المعاصي ما دون الشرك بلا استثناء  
شيء منها اذا شاء ذلك ومنشأ مشيئته ان العاصي تارة عندما يرتكب  
المعصية يكون لائماً نفسه زارياً عليها فينبأ ذلك عن طهارة ضميره واخرى  
لا يتلوم ولا يزرى ولا يرى أنه فعل شيئاً وهذا هو الخبيث الضمير البعيد  
جد البعد عن مرضاة الله سبحانه ، وأما ان المشرك بالله يفترى الأثم  
العظيم فلما اسلفناه من ان دلائل وجود الصانع لا تحة واضحة في كل  
شيء من اشياء العالم فالمعاند لها معاند لأمر هو من اوضح الواضحات  
وجاءت الرواية عن عليّ امير المؤمنين أنه قال ما في القرآن آية ارجى  
عندي من هذه الآية .



\* ( ألم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى

من يشاء ولا يظلمون فتىلا : كيف يفترون على الله

الكذب وكفى به اثما مبينا ) \*

التزكية هى التنزيه والفتيل الشىء القليل الذى لا يعتد به نظير الفتيل الذى يفتل من الوسخ من بين الأصابع والأفتراء هو تعمد الكذب والأثم المبين هو الذنب الواضح الجلى والخطاب فى قوله الم تركمما يجوز توجيهه للنبيّ يجوز ان يكون لكل من تتأتى منه الرؤية والذين يزكون انفسهم قد يراد بهم معهود خاص وهم اليهود حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه او النصارى معهم حيث قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ، وقد يراد بهم معهود جنسىّ وهو كل من يزكى نفسه وهذا الاستفهام - الم تر - للتعجب والاستنكار ومعناه اعجب لكل من يزكى نفسه كأنه خلصها من كافة الشوائب بل كل من يزكى نفسه فإنه ابعد عن الواقع من الساكت عنها لان هذا المزكى لم يزكها الا وهو حسن الظن بنفسه وكل من حسن ظنه بنفسه كثرت خطايا فبعد عن موجبات التزكية ، والتزكية الفاقدة لكافة الشكوك والأوهام هى تزكية علام الغيوب الذى يعلم من العبد ما لا يعلمه العبد من نفسه ولذلك قال تعالى بل الله يزكى من يشاء وهو العبد الخالص ولا يظلم الله عبدا ذمه او مدحه فى قليل مانسبه اليه فضلا عن الكثير ، انظر ايها الرائي او يا محمد كيف يفتري هؤلاء القائلون نحن ابناء الله واحباؤه او لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى على ربهم الكذب وكفى بمثل هذا الافتراء جرما واضحا وما داعيه الا الاعتزاز بالنفس وحب الذات .



\* ( الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا : اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ) \*

اسلفنا مكررا ان الذين اوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى ولكن توبيخ القرآن للأولين اكثر لقربهم فى الدار من المسلمين وسعائتهم عليهم ومعنى الآية ان اليهود مع كونهم من اهل الكتاب ولازم ذلك بعدهم عن الشرك وقربهم من الله تراهم يؤمنون بالسحر والساحر - اللذين قيل فيهما انهما الجبت ، وبالكهنة والشياطين - اللذين قيل فيهما انهما الطاغوت ، وبكل ما هو معبود من دون الله او مطاع فى معصية الله كما فسّر بذلك الجبت والطاغوت ايضا .

وقد جاء فى الآثار ان كعب بن الاشرف اليهودى خرج فى سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على المسلمين وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين نبيّ الاسلام فنزل كعب على ابي سفيان ونزل بقية اليهود على بقية قريش فأحسنوا مثواهم فقال اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن ان يكون هذا مكرّا منكم بنا فان اردتم ان تؤمن لكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك وهو معنى ايمانهم بالجبت والطاغوت ولازم ذلك انهم لا دين لهم بالمرّة لأنّ من يؤتى الكتاب السماوى ويدعيه لنفسه ويعتزّ به كيف يمكن له ان يسجد لصنم ويؤمن به .

فقوله تعالى الم تر تند يد عظيم بهم وقد جاء فى الأثر ايضا ان



حلف كعب بن الاشرف وابي سفيان لما تمّ ضدّ محمد (ص) قال ابوسفیان لكعب انك امرؤ تقرء الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فأينا اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن ام محمد قال كعب اعرضوا على ما انتم عليه فقال ابوسفیان نحن ننحر للحجيج ونسقيهم ونكرم مقدمهم ونفكّ العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ومحمد فارق دين آباءه وقطع ارحامنا وجاء بدین جدید فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد واتباعه فذلك هدف قوله تعالى ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا والأشارة بقوله تعالى اولئك الى اليهود والمشركين جميعا الذين لعنهم الله وطردهم عن ساحة عزه لأغراقهم في الفسوق والباطل وتهمه البرىء وتحيزهم ضد الحق والمحقين .



\* ( ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس  
نقيرا : ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله  
من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة  
وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من  
صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ) \*

النقيير والفتيل اشباه ونظائر تستعمل كنيات عن قلة الشىء وحقارته  
والصد هو الأعراس ، ام منقطعة ومعناها الأنكار بمعنى ليس لهم نصيب  
من الملك ولو كان لهم شىء من ذلك لحرصوا عليه ويخلوا به لخبثهم  
وفساد بواطنهم وحسد هم وجفائهم ولما آتوا - مما اعطاهم الله - لأى  
مخلوق نقيرا والاسرائيلى هذه شيمته منذ كان وحتى الساعة يتطلع  
بهذه الصفات الرذائل .

وقوله تعالى ام يحسدون الناس منقطعة وتفيد الأضراب والانتقال  
من رذيلة الى اذلة فهم فضلا عن بخلهم بما اوتوا يحسدون الأغيار  
على ما آتاهم الله ويتمنون زواله منهم وانتقاله اليهم والمراد بالناس هنا  
بنظر أخص المسلمون ونبئهم ثم علل سبحانه بأنه لا داعى لحسد هم  
للمسلمين وزعيمهم فان ما اوتى محمد ليس بدعا فقد آتينا آل ابراهيم  
من اسحاق واسماعيل وذريتهم الكتاب السماوى لأننا اخترنا منهم  
انبياء الى امهم والحكمة هى العلم بحقائق الاشياء .

وآتينا جملة منهم ملكا وسلطانا عظيمين واسعين كسليمان وابيه  
داود وغيرهما فمن اولئك الذين امتن الله عليهم بالنعمة من آمن بالله  
وشكر انعمه ومنهم من كفر به وجحد نعمة وكفى بجهنم نارا مستعرة  
يجازى بها الكافر الجاحد للنعمة .



\* ( انّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما  
 نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا  
 العذاب انّ الله كان عزيزا حكيما : والذين آمنوا  
 وعملوا الصالحات سندخلهم جنّات تجري من  
 تحتها الانهار خالدين فيها ابداء لهم فيها  
 ازواج مطهرة وندخلهم ظلّلا ظلّلا ) \*

الأصلاء بالنار الأدناء منها والملازمة لها ونضج الجلود تهريها  
 وانطباخها والمطهرة الخالية من الأدناس والأخبث والظل الظليل  
 الغامر بظله البارد على الانسان فى قبيل حرّ الشمس الضاحية او  
 المحجوبة بحجاب شفاف .

ثم ابان سبحانه ما للكافر به من جزاء وما للمؤمن العامل للصالحات  
 من جزاء فقال ان الذين كفروا بآياتنا وحججنا القائمة وبراهيننا الواضحة  
 ولم يعيروها التفاتا لا ايمانا ولا عملا سوف نعاقبهم يوم القيامة احراقا  
 بالنار فكلمنا نضجت جلودهم التى عليهم بدلناهم جلودا غيرها حتى  
 يستمرّ عذابهم ، والقائل بان الجلد الجديد لم يمارس ذنبا فعلا  
 يعدّ بغالط لان الجلد لولا حياة صاحبه ليس محطة للألم ولا لعدمه  
 والعذاب انما هو للحياة القائمة بالروح غايته بوسيلة الجلد .

وقوله ليذوقوا العذاب معناه ليستمرّ بهم التعذيب ان الله كان  
 عزيزا لا يغالب ولا يقاوم حكيما فى تقرير مثل هذا العذاب الشديد اذ لو  
 لم يره حقا لما فعله هذا جزاء الكفرة واما الذين آمنوا بالمبدء ولم يكتفوا  
 بالأيمان المجرد بل عملوا الأعمال الصالحة كما ارادها الله منهم  
 فجزاؤهم انهم سيدخلون جنّات متنوعات فى النعيم تجري من تحتها



الأنهار خالد ين في هذه الجنان بلا أن تزول عنهم او يزولوا عنها لهم فيها أزواج مطهرة من كافة الأذناس والأرجاس المادية كالحيض والنفاس والمرض والهيم والمعنوية كسوء الاخلاق وعدم السلوك وندخلهم ظلًا ظليلا غامرا لهم براحتة فلا يضحون فتتأثر ابدانهم ولا ينوشهم فيها اإذاء من اى نوع كان فيتمنون زواله بغيره مما يريحهم .

\* ( انّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها

واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل انّ

الله نعمًا يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ) \*

كل حقّ يتحمّله الإنسان امام اخيه النوعى او مجتمعه او ربّه وانفسه فهو امانة عنده يجب عليه ان يؤدّيه لمن يستحقه وليس لفظ الأمانة مصروفا به الى ما هو ابرز مصداقا عند العامة من المال يودعه الانسان عند شخص آخر فان ذلك بعض مصاديقه فان الحاكم مؤتمن للرعية بمقامه والأب مؤتمن بالنسبة الى توجيه وتربيته ولده والزوجة مؤتمنة بحقوق زوجها والرعية مؤتمنة بأطاعة الحاكم الشرعى ومتحمل الشهادة مؤتمن فى ادائها وهكذا بلا استثناء .

وكما امر الله عباده برّدّ الأمانات الى اهلها كلّا ونوع مسؤوليته كذلك امر من له الصلاحية فى القضاء وهو الفقيه العدل الضابط ان يحكم بين الناس بالعدل والعدل هو ماقرّره الله على يد رسوله له بشخص الحكم او بنوعه وملاكه لا بالرأى المجرد فأن الرأى وحده لا قيمة له لكثرة التلاعب به كما هو مشهود فى القوانين المدوّنة لدى كل امّة فان تدوينها اشتهاء محض لا تدعّمه قواعد علمية ولا اصول حكمة .

ان الله فى امره لكم برّدّ الأمانات الى اهلها والحكم بين الناس



بالحقّ نعمًا يعظّمكم به ان الله كان سميعا لما تقولون بصيرا بما تعملون  
 عليما بالواقع الذي يأمركم بالسير على وفقه ، ونعمًا مدغم نعم ما وما كناية  
 عن الشيء واصل تركيبه نعم شيئا الشيء الذي يعظّمكم به .  
 \* ( يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا  
 الرسول واولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء  
 فردّوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله  
 واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ) \*

نحن وهذه الآية وما يوجبه منطق المقارنة يجب ان يكون المراد  
 بأولى الأمر هم الذين يكونون من سنخ الله والرسول فى القـدس  
 والطهارة وعدم التحيّز ومراعاة حقوق الناس كما يقتضيه العدل لا ما  
 تقتضيه الميول والرغبات وهذا ما لا شكّ فى كونه هو المراد قطعاً ومع  
 تطبيق ذلك على الخارج ممّن قيل له خليفة او سلطان فكما قيل :  
 واشهد ان قريك من زياد كقرب الفيل من ولد الأتان  
 وان حتى المحدثون لهم بكل الأيدي مدحا وتجيلا وانهم هم اولو الامر  
 وانت عندما تستعرضهم تراهم قد جمعوا من كل سكير زناً مقامر  
 متهجم منتهز/ ظالم متحيّز لم يبق فى قوس شهواته منزعا الا وفعله طوع  
 ما يساعده مزاجه او زمانه او قدرته او رغبته ولم نجد فيمن عرفه التاريخ لنا  
 الا مصداقا لذلك كله او لجملة منه ولم نر فيمن تأمر سنخا لله الا ما  
 قطعت به الضرورات من الانبياء والأوصياء وكل من سواهم لم يرنسأه  
 الخارج الا مقرونا بأشياء من الهنات غير القابلة للغمض .  
 واما تبرير المنتسبين للفقهاء والحديث مواقع اجرام من اشرفنا اليهم  
 فلا يقوم بفلسوما سيق من الحديث عن الرسول او كلمات الأكابر فيما



يقولون فى شأن اعلاء كلمة اولئك فهراء من ناحية الواقع ومجموعه خيانات وجنایات لا احاديث صدق وكلمات حق .

ولا قيمه للعناوين الفارغة من قال الشعبى او الزهرى او البخارى او العسقلانى كما لا قيمة لدعاية الجريدة والمجلة وشاشة التلفزيون فان الرد يفين من سابق ولا حق اما اناس عبثت بهم الأوهام حتى احوالتهم الى مجموعة خرافيين لا وزن لهم فى سوق المنطق او مأجورون ساقطون قد تسفلت بهم الروحيات الى ا بعد حدّ يتصور .

وامّا زيف هذا الغناء من العامة فهو مع الباطل والوهم والخرافة اكثر منه مع الحقيقة لان تدوّقهم للوهم اقرب لهم من تدوّقهم للواقع فتجمّعهم على شىء وتشتتهم عنه ليس بملاك اصلا ، وسنخ الله والرسول لا يكون الا فى العلماء الجذريين المقدسين المعصومين ولا يتحقق هذا الوصف الا بتنصيب من الله ورسوله قطعا ولبّ هذا الكلام يعترف به مخالفونا فى جانب مفهومي لا تطبيقي فقد قال الشوكانى فى تفسيره لهذه الآيه واولوا الأمر هم الائمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية الا انهم فى مقام التطبيق يطبقونه على معاوية بن ابى سفيان قاتل البررة وموئل الفجرة والعاث بكرامة اولياء الله وعلى يزيد ابنه وقس على ذلك ممن طبّقوا عليه عنوان الأمام والسلطان والقاضى والوالى .

فى حال ان كافة هؤلاء بشهادة الخارج الذى لا شبهه تعتريه طواغيت سفاكون فتاكون افاكون لعبوا فى كل ادوارهم بمقدرات الناس لعب الصبيان بالأكر وساعد هم على كافة جنایاتهم هؤلاء المأجورون الساقطون من مدعى الفقه والحديث والتصوف والتزهد حتى جاء الاسلام والمسلمون اضحوكه لكل احد يسخر منه فى كل اشياءه والأطالة



في هذا الباب يعدّ هذا فلنكفّف من اطراف القلم والمداد .  
 ومعنى فأن تنازعتم في شىء فردّوه الى الله والرسول انكم اذا لم  
 تفهموا حكم الحادثة تواجهونها فخذوا ذلك من ظواهر القرآن ان كان  
 فيها حكم تلك الحادثة ومن واضح السنة وصحيحها ان كان فيها ذلك  
 وان لم يكن فألى ما تقتضيه القواعد العلمية الكلية المأخوذة من الكتاب  
 نفسه والسنة المحقّقة نفسها والآ فبالاحتياط ما لم يوجب العسر والحرج  
 والآ فيسقط التكليف بذلك هذا الذى ذكرناه فرضكم ان كنتم تؤمنون  
 بالله واليوم الآخر ولكم عقيدة راسخة به فانكم ان فعلتم ذلك كان خيرا  
 لكم واحسن تأويلا للقضية التى تدّهمكم وتخرجكم حلا .

\* ( ألم تر الى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما انزل  
 اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى  
 الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان  
 أن يضلّهم ضلالا بعيدا : واذا قيل لهم تعالوا  
 الى ما أنزل الله و الى الرسول رأيت المنافقين  
 يصدّون عنك صدودا ) \*

الطاغوت فاعول من الطغيان للمبالغة فى التجاوز عن الحد ويطلق  
 على الساحر والكاهن والصنم وكل فاقده الصلاحية لأن يعبد او يتمسك  
 به او يترافع اليه — بعموم هذه المعانى — أمر الله المكلفين ان يكفروا به  
 ولذلك قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة  
 الوثقى لا انفصام لها .

وللسرّ نفسه ساق سبحانه قوله الم تر مساق الأستفهام الأنكاري بأنه  
 كيف يمكن ان يدعى الانسان الأيمان بما انزل على نبيّ الاسلام وما انزل



من قبله من كتاب سماويّ ومع ذلك اذا عرضت له خصومة يرفعها اما الى كاهن او منحرف او فاقد لصلاحية القضاء شرعا وقد أمر ان يكفر بالطاغوت الذي فسّر بأحد هذه المعانى .

فقد ورد فى اسباب نزول هذه الآيه ان برزة الأسلمى كان كاهنا يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر اليه ناس من المسلمين وقيل ان الجلاس بن الصامت قبل توبته ومعقب بن قشير ورافع بن زيد كانوا يدعون الاسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين فى خصومة كانت بينهم الى رسول الله فدعوهم الى الكهان حكام الجاهلية .

وقيل ان الطاغوت رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الأشرف وكانوا اذا دعوا الى ما انزل الله و الى الرسول ليحكم بينهم قالوا بل نحاكمكم الى كعب فنزلت الآيه ثم قال سبحانه ولا بدع اذا انحرفوا عن الترافع الى الله ورسوله بعد أن انساقوا مع الشيطان الذى أضلهم ضلالا بعيدا .

والضلال مصدر من معنى يضلّهم لا من لفظه لأن مصدر أضلّ قياسا هو الأضلال وبعد الضلال هو الأغراق فيه ثم جعل تعالى مائزا واضحا بين المسلم الحق والمنافق بقوله واذا قيل لهم اى للمتخاصمين تعالوا فى خصومتكم الى ما انزل الله من نظم ومقررات و الى الرسول نفسه ليكون هو الحكم الصدق بينكم رأيت المنافقين يصدّون عنك يا رسول الاسلام صدودا - جىء بالمصدر لتأكيد معنى فعله - ولا يرضون بالترافع اليك لأنّ فى ذلك تأييدا لك ومهمتهم دائما الحطّ من كرامتك واضعاف امرك .



\* ( فكيف اذا أصابتم مصيبة بما قدّمت أيد يهّم ثم

جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا

:اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض

عنهم وعظّمهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا ) \*

كيف هنا استفهام للاستغراب والتعجب بمعنى كيف يكون هؤلاء المنافقون فى رفع خصوماتهم الى غيرك جفاء لك واستخفافا بشأنك لو صادف ان اصابوا بحادثة فاستقرّ فى نفوسهم ان هذه الأصابة نتيجة لتلويهم عليك فخافوا من تواتر امثالها عليهم فجاؤك معتذرين عن رجوعهم الى غيرك مقسمين بالله لتبرير عملهم اننا فى رجوعنا الى غيرك لحلّ خصوماتنا لم نحاول لك دكا وعنك اعراضا وانما حاولنا الاحسان اليك بتركنا الخصومة عندك لان من لازم الخصومة معمولا رفع الصوت فى الكلام وتعدّى بعض على بعض فى الخصام وارادنا ان ننزه محضرك عن ذلك مضافا الى اننا فى رجوعنا الى غيرك لم نرد القضاء الشرعى بيثنا وانما اردنا حصول نوع من الصلح والتوفيق وهما لا يحتاجان الى قضاء بل عقلاء العوام قد يتوسطون فى اصلاح ذات البين فى المرافعات والخصومات الكائنة بين اثنين او فريقين .

فأبان سبحانه لنبيه ان اعتذار هؤلاء لوجاؤك به ليس بصحيح ولا واقع له وواقعهم انهم منافقون والله يعلم ما فى قلوبهم فأعرض عنهم كأنك لا تعلم بدسائسهم وعظّمهم ان كانت العظة تنجع فيهم واعتزل بهم عن الغير وقل لهم فيما بينك وبينهم قولا تبلغ به قرارة نفوسهم حتى لا يظنوا بك انك لا تعرفهم وحتى تكون منهم على حذر ويكونوا منك على وجل .



\* ( وما ارسلنا من رسول الا ليطاع بأذن الله ولو  
انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله  
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا ) \*

ثم قرر سبحانه في هذه الآية ما يدفع احتمال ما يتأتى من قول  
المنافقين ان اردنا الا احسانا وتوفيقا بأن معنى الرسالة ليس هو صرف  
ابلاغ ما عن الله سبحانه بل يضاف الى ذلك ان الرسول حاكم شرعى  
لتطبيق الرسالة عملا فى الخارج فالرجوع الى غيره انكار لرسالته وما  
ارسلنا من رسول الا لأن يكون مطاعا فيمن ارسل اليهم بأذن الله اى  
بتوفيق العباد لنيل هذه المكرمة وهى طاعة الله بطاعة الرسول ولو ان  
هؤلاء المنافقين كانوا صادقين فيما يقولون ان اردنا الا احسانا وتوفيقا  
واجلالا لمحضرك من ان يجرى فيه ما لا يلائم اذ ظلموا انفسهم برجوعهم  
الى غيرك فى خصوماتهم جاؤك واعترفوا بذنبهم وطلبوا المغفرة من الله  
وتقاضوا منك ان تستغفر لهم لوجدوا الله توابا عليهم رحيمًا بهم فان  
الكرة على الطاعة عند الله تمحو الغرة عنها ولكنهم ماكانوا واقعيين بل  
منافقين لم يؤمنوا بك فلم يجيئوك مستغفرين وطالبين منك ان تستغفر  
لهم .

وانما قال تعالى واستغفر لهم الرسول التفاتا من الخطاب الى  
الغيبية تجليلا للرسالة بسبب ذكرها بلفظها حيث قال ( واستغفر لهم  
الرسول ) .



\* ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم  
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت  
ويسلموا تسليما ) \*

تفيد هذه الآية البليغة ان كل تلك الاعتذارات الصادرة منهم بأننا  
ما اردنا الا احسانا وتوفيقا لا تدفع غائلة ما في نفوسهم ولا تصيرهم  
مسلمين حقيقيين وانما هي ظواهر مطلّاة لا قيمة لها فضلا عما فيها من  
اضرار جوهرية فانهم لا يكونون مؤمنين حقا حتى لا يعرفوا قاضيا سواك في  
جميع ما ينوبهم وحتى يأخذوا بقضاءك بقلوب ثلجة لا تدافع بها الوسوس  
بل يعتقدون من صميم قلوبهم أن ما قضيت به هو الحق الذي ماعنه محيص  
لان ذلك هو لازم الاعتراف بكونك رسولا من ناحية الله لا تنطق عن  
الهوى معصوما في جميع حركاتك وسكناتك .

وتفيد الآية بلحنها ان الأيمان ليس بالعقيدة وحدها بل لا بد  
من ان يكون هناك عمل فلا يكفي في اسلام المسلم اعتقاده بوجوب الصلاة  
مع تركها ولا بحرمة المسكرات مع تناولها وهلم دواليك في كل ما يجب  
فعله ويلزم تركه شرعا .



\* ( ولو آتانا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا  
من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم  
فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا واشدّ تثبيتا: وإذا  
لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم  
صراطا مستقيما ) \*

ضمير الغيبة الجمعى فى عليهم يرجع لأولئك الذين سبق التحدث  
عن ظاهرة اسلامهم وانها ظاهرة لا تشف عن ثبات دين بل هى بسيطة  
جدا لا تثمر ما يثمر الايمان الواقعى والدليل على ذلك انهم لو كانوا  
مؤمنين حقا وامرناهم ان يقتل بعضهم بعضا او ان يخرجوا من ديارهم  
وبهجرونها الى غيرها حيث يأمرهم المولى لفعلوا ذلك وان اخرجهم  
وشق عليهم لكن هؤلاء المتحدث عنهم لا يفعلون مثله ان لم يفعلوا ما هو  
أقل منه مؤنة وهزل الترافع الى النبى فى الخصومة حذرا من كل واحد  
منهم ان يكون هو المحكوم فلا ينال مقصده .  
أما الترافع الى غيره ممن تؤثر عليه الشفاعة وتأخذ منه الرشوة  
مأخذها فلا يأبى منه لانه بأصراره على ما يريد لا يفوته ما يحاول : قوله الا  
قليل منه : يريد بهذه الأقلية المؤمنين الاثبات الذين رسخ فيهم الايمان  
بكل ما يريد الله والرسول ، ولو ان اهل ظاهرة الاسلام فعلوا ما يرشد هم  
الله والرسول اليه بأوامره ونواهيه لكان خيرا فى دينهم ودنياهم أما فى  
دينهم فلأن أجر الطاعة عند الله سبحانه والله لا يخلف ما وعد عبده وأما  
فى دنياهم فلأن الله والرسول لا يريدان إلا ما يسعد به العبد لنفسه ،  
ولكان فعلهم لما يوعظون به اشدّ تثبيتا لما يتظاهرون به من عقيدة وإذا  
لآتيناهم من لدنا يوم القيامة اجرا عظيما ولهديناهم فى هذه الدنيا



صراطا مستقيما فيزداد ايمانهم فوق ما هو عندهم .

\* ( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا : ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ) \*

الصدّيق مبالغة في الصدق ومعناه ملازمته له دائما في كل شيء والشهداء جمع شهيد وهو اّما بمعنى انه يكون من الشهداء يوم القيامة وتقبل شهادته كما تقبل شهادة الانبياء اوبمعنى مفعول اى مشهود له بالجنة لقتله في سبيل الله والصالح هو الانسان الملازم للصلاح المتجافى عن الفساد والانحراف ولا شك انه لا رفاقة احسن من مرافقة الانبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين السعداء وانتصب رفيقا اّما على التمييز واما على الحالية واما جىء به مفردا ولم يقل رفقاء لان المنظور انه حسن كل واحد من اولئك رفيقا ، ذلك اشارة الى الحشر مع النبيين وتابعيهم وخبره هو الفضل من الله على عبده المطيع له ولرسوله وكفى بالله عليما بالمطيع من العاصي .



\* ( يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات  
او انفروا جميعا : وان منكم لمن ليبطئن فان  
اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم  
اكن معهم شهيدا : ولئن اصابكم فضل من الله  
ليقولنَّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى  
كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ) \*

اخذ الحذر هو التوجه دائما الى ما يحيط بالإنسان او بالأمة من  
نوايا السوء بالاستعداد لدفع المهاجم او قمعه قيل أن يهجم والمنظور  
بذلك هو الاستعداد بالسلاح والقوة والتأهب للزحف والثبات جمع ثبة  
وهى الفرقة وانتصبت بالكسرة لأنها مما جمع بألف وتاء مزيدتين على  
الحالية بمعنى متفرقين فرقة تكون فى جانب وفرقة اخرى تكون فى جانب  
آخر وجميعا منصوبة على الحالية ايضا بمعنى مجموعين فى جبهة واحدة .  
وبطأ بالتشديد بمعنى ثبط ومفاد هذه الآيات يا أيها الذين آمنوا لا  
تتكشوا الى انفسكم ولا تزهدوا بالحوادث تكون فى الكمين لكم فان  
الراصد ين لكم بالشر كثيرين قد لا تشخصونهم وقد يكونون ممن يتظاهرون  
لكم بالمحبة والموافقة ولا بد ان تكونوا فى كل حال متأهبين حاضرين  
لقمع اعدائكم او دفعهم فانفروا اليهم ان اقتضت المصلحة فرقة فرقة وان  
قضت عليكم بالخروج مجتمعين جبهة واحدة فافعلوا .

وان ممن يتظاهرون لكم بالدين وينضم الى جماعتكم بأظهاره للأسلام  
ولكنه من المنافقين ليدخل فى خلالكم مشبها وموهنا فان اصابتكم فى  
جهتكم التى خرجتم اليها مصيبة ولم يقدر لكم النجاح قال هذا المنافق  
المتستر قد انعم الله على باننى لم اكن فى جماعة هؤلاء الخارجيين



الذين اعوزهم التوفيق فانكسروا .

وشهيدا بمعنى شاهدا للمعركة حتى تنوشنى مصائبها كما ناشت هؤلاء ولئن اصابكم فضل من الله ووقفتم للانتصار على اعدائكم وغنمتم ما كان معهم ليقولن - حتى كأنه لم تكن بينكم وبينه رابطة دين واحد وحمية واحدة ولم يكن مشمولا لحوزتكم ، ياليتنى كنت مع جماعتهم حتى افوز بما فازوا به من العنوان المعنوى والأستفادة المادية كما يقول الأجانب هذه المقالة عندما يشاهدون الغالب البعيد عنهم هوية وجنسية وموقفه من المغلوب ، واللامان فى لمن وليبطئن للتأكيد .

\* ( فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما : وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ) \*

مفاد هذه الآية مؤكد لما سلف فى قوله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات او انفروا جميعا وشرى الحياة الدنيا بالآخرة معناه استبدال الآخرة بالدنيا . فباع الدنيا واشترى الآخرة ، فان قيل ليس كل مقاتل تزهد نفسه فقد اشترك كثير من الأفراد فى عشرات الحروب وسلموا فكيف يطلق عليه انه باع دنياه للآخرة قلنا صحيح ذلك ولكن الخروج الى القتال حتى لو سلم من كل موهن فأن فيه من اوله الى آخره تألما للنفس وعدم راحة وفقد استقرار والأنسان الطالب للدنيا لا يعطى على نفسه



منفذا للأذية ويحاول لها كل ارتياح ويبعد عنها حتى شبح التألم  
ولذلك اطلق سبحانه على مزاوِل الحروب انه بائع لَدنياه .  
وأبان تعالى ان المقاتل في سبيل الله لا يعدم احدى الحسنين  
أما الشهادة في سبيل الحق لنفسه او غلبه لعدوه و في كلتا الحالتين  
هو مثاب مأجور ، ومالك لا تقاثلون استفهام استعجاب واستغراب بمعنى  
اى شىء يقعد بكم عن المقاتلة في سبيل الله وطرق الخير وهى احياء  
المعالى واماتة الرذائل والمظالم وهذا امر تؤيده العقول وتحت الناس  
على تحقيقه .

ومالك ايها الاقوياء الاشداء لا تقاثلون في سبيل المؤمنين  
المستضعفين الذين استذلهم الكفار لقلبتهم وهم المؤمنون الباقون فى  
مكة بعد هجرة النبى منها الى المدينة وقبل فتحها من رجال ونساء  
واطفال يعانون المشاق من مضايقة المشركين لهم ولا يزالون يتقاضون  
بلسان الدعاء من ربهم ربنا اخرجنا من هذه القرية وهى مكة الظالم  
اهلها بتعديبهم علينا بلا شبهة حق لهم فى اعناقنا سوى اختلافنا  
معهم فى العقيدة واختلاف العقيدة لا يجوز ان يكون مثار تهجم الا اذا  
اقتضى خلا فى النظام وفسادا فى طقوس الحياة ولم يكن فى البين من  
هذا شىء والأسلام انما جرد قواه على المشركين ليصيرهم مسلمين لم  
يكن بداعى الهيمنة عليهم ولكن ليطرد عن ساحة الناس تلك الموبقات  
التي كانت حاكمة فيهم من ظلم الأقوياء للضعفاء واستعباد المتنفذين  
لفاقدى الوسيلة وشن الغارات على حساب الغنيمة واهتزام حقوق المرأة  
وما الى ذلك .

واجعل لنا من لدنك وليا اى منسوبا اليك فى قدسه وطهارته  
وعلمه وعصمته يلى امورنا ونكون مترسمين لخطواته وتحت رايته وهكذا



اجعل لنا ناصرا ينصرنا على اعدائك وهو من جانبك لتأخذه الرؤفة  
بالمظلوم العاجز ويحمله الغضب فى الحق لدك الظالم المتهمج .

\* ( الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين

كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء

الشیطان ان كید الشیطان كان ضعيفا ) \*

مفاد الآیة ان الحیاة ما بین اهلها دائما هی دار هياج وازعاج  
ومقاومة كما هو محسوس للجميع ولكن کم من فرق بین هياج وهياج فرب  
هياج فضلا عما فيه من تبعه للجسم بالأضواء وعدم الراحة والألم بل  
والأتلان احيانا لا يكون إلا سبب على الإنسان وذلك الهياج هو الهياج  
المبعوث عن دواعى الشر كإرادة اهتضام حقوق الآخري والتعدى عليهم  
ورب هياج وان كان مثل الأول فى تبعاته الجسمیة الا انه مرموق بدواعیه  
كأقامة النظام واستتباب الأمن وقطع ایدی الفسدة واعلاء كلمة الحق  
واقرار العدل بین الناس فاذا كان لا بد من قتال فى مضامير الحیاة  
فلا شك ان القتال الشریف اوفق بالإنسان من القتال السخيف .

ومن هنا قال تعالى الذين آمنوا بالدين الصحيح انما يقاتلون  
لأحیاء سبیل الله وهى طرق الخیرات والمبرّات والذين كفروا بالمبدأ  
الحق وتعاليمه انما يقاتلون فى سبیل الباطل والانحراف ولا شك ان  
المبادئ السخيفة مغلوطة متى واجهت قوة الحق بمواقفه الصامدة فقاتلوا  
یا اولیاء الرحمن اولیاء الشیطان الذى هو رمز كل خطیئة ان كید  
الشیطان كان ضعيفا لأنه لا رصید له فى المعنى وانما رصیده الجهل  
لا اكثر والجهل لا یشف عن مبدأ لأنه عدم والعدم لا شیء .



\* ( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتىلا ) \*

نزلت هذه الآية فى جملة من المسلمين كانوا يشكون الى رسول الله الهوان والذلة بعد اسلامهم وكانوا قبل ذلك يجدون انفسهم اعزاء فيستدعون من الرسول الأذن فى مقاتلة المشركين ولما كان الرسول لم يؤذن له بالمناجزة قال لهم كفوا ايديكم بالفعل عن شهر السلاح واكتفوا من طقوس الدين بأقامة الصلاة والزكاة ونظائر ذلك من الأعمال وهاهم اولاء لما كتب عليهم القتال وأمروا بالجهاد اذا فريق منهم يستثقلون ذلك كثيرا حذرا على انفسهم من القتل وانما اشتبهوه سابقا لبعدهم عنه فلما قاربوه هابوه كما قال الشاعر :

يحبّ المديح ابو عامر  
ويرهب من صولة المادح

ومعنى خشيتهم من الناس خوفهم منهم ان يقتلوهم متى بارزوهم كخشيتهم من الله حينما يقدر عليهم الموت بل اشد خشية لان الموت حتف الأنف ليست له فى الأغلب مقدمات تشعر بتحتّمه بخلاف مبارزة الأقران فانها تشعر بذلك اكثر، وكأن التكليف كلّها كانت هيّنة عليهم ماسوى الجهاد لما يرون فيه من خوف الموت وهم يحبون الحياة ولذلك قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال وكلفتنا بالجهاد فهلا اخرتنا احيا حتى نموت موتا طبيعيا فأجابهم رب العزة بأن الحياة التى تخافون عليها من



القتل ليس فيها إلا المتاع القليل المشوب بالآلام والآخرة لمن يتوفى  
لنيلها خير من هذه الحياة المملوءة بالمنغصات لأنها نعيم محض ولكن  
لا ينالها إلا المتقون وسيوفى الله المتقى حقه ولا يظلم أدنى شئ ولو  
كان قليلا لا يعبأ به كالتيل من الوسخ الذى يخرج من بين الأصابع .

\* ( اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج

مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند

الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل

كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون

يفقهون حديثا ) \*

أعرب سبحانه فى هذه الآية لهؤلاء المتخوفين من الموت لأجل  
القتال بأن الموت المقدّر يلحق الأنسان سواء كان بادي المقاتل ام كان  
فى برج مشيد محصن لا تنفذ فيه اعظم العيارات النارية فلا من دخل  
حومة الميدان قضى عليه ولا من تحجب بالحجاب وغلقت عليه الأبواب  
عاش وهذا مطلب مشهود للحاسة فلا تخافوا الموت وادفعوا عن انفسكم  
واموالكم ونواميسكم وحيثياتكم بكل نشاط .

ثم أبان القول عن نكتة اخرى رد بها على اليهود والمنافقين  
الذين كانوا يرجفون برسول الله ويقولون لم نر من مساعيه خيرا لنا  
وللجميع أما زرعنا ان تحسنت وضرعنا اذا درت وما لنا اذا كثر فذلك  
من الله وكل سوء يدخل علينا من خوف وموت وتخريب ديار ونهب اموال  
وفقد أعزة فهو بسبب محمد ودعوته وقيامه بها ومنأوته الناس بذلك  
فكلف الله نبيه بأن يجيبهم ان ما يفرحهم وما يحزنهم ما يحسن عندهم  
وما يسوئهم كل ذلك من الله سبحانه فان كافة ما يلاقيه الأنسان فى



ادوار الأكوان باستثناء اجرامه وآثامه التي يخلقها بفعله واقدامه مقدّر عليه كائن له فكما أنّ الخصب من الله كذلك الجذب وكما ان الرخاء من الله كذلك الشدّة وهذا مطلب ينوش الملحّد والموحد ولا خصوصية له بالمسلم او المشرك او المنافق او الكتابيّ فما لهؤلاء الجهلاء لا يكادون يفقهون حديثا يسمعونه او يسوقونه

\* ( ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا : من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولّى فما ارسلناك عليهم حفيظا : ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيّتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيفا ) \*

السيئة هنا غير السيئة المذكورة في الآية السابقة فان المراد بها آثاما كما ذكرنا هو ما يقدر على الأنسان من مصيبة ترد عليه لا من تسببيه والمراد بها هنا ما يكتسبه الأنسان ويجرّه على نفسه كمن يشرب المسكر فيسكر والسّم فيهلك او يتضرر ومن يسرق فيقطع او يضرب وما الى ذلك فأن كسب الأنسان غير مقدّرات القضاء

والألف واللام في للناس تفيد العموم اذ ليس المنظور بها هنا الجنس ولا محدّد للأفراد المرسل اليهم ، وكفى بالله شاهدا وناظرا لسيرك مع المجتمع وسيره معك ، وبما ان الرسول ليس له من الأمر شيء وانما ينطق عن الوحي فطاعته فيما يأمر وينهى طاعة لله ومن يعرض عنك فلا تعبأ به فما ارسلناك حافظا للناس



وقد نسخ هذا المفاد بالآيات الدالة على جهاد المشركين والملحدين وان من يتولّى عن الدين الحقّ معرضا يجب ارجاعه اليه وسلكه في زمرة المؤمنين به ، ويقول لك جماعة المسلمين بما فيهم من منافق ومؤمن صريح طاعة لك فيما امرت ونهيت فأذا انفصلوا من عندك زوى طائفة من هؤلاء في نفوسهم وانطوا على غير الذي قلت لهم واجابوك بالطاعة له غافلين عن ان الله يعلم ما تكتمه قلوبهم وان ما ينوونه قبل أن يفعلوه منظور بعين الله مكتوب في علمه فجامل هؤلاء المنافقين ما امكنت المجاملة وتوكل على الله في مشاريعك التي نوظفها عليك ولا تُعر هؤلاء بالا وكفى بالله ثقة لمن يتكل عليه ويستمد منه العون والمساعدة .

\* ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) \*

هذه الآيه سبقت مساق الاستنكار على المناذير للاسلام والمنافقين فيه وضعفاء الدين فاستدلّ الله عليهم بأن الذي يتدبر احكام القرآن وادب القرآن واخلاقه وما يقصّه عن الأمم الخالية ويخبر به عن غيب قبل وقوعه فيحصل كما أخبر وهكذا يتدبر فصاحته وبلاغته ونزاهته عن المستقذر من الألفاظ والمعاني وفخامة تراكيبه وايجازه الوافى بالمقاصد على طول سورة وآيه يحكم على نفسه بلزوم الأيمان بسماويته لانه لو كان كلام بشر لما استوعب هذه الجوانب كلّها بلا خلل يكون فيه ولا وهن يعتريه ولا اختلاف في ترسله فأوله كآخره ووسطه كطرفيه نعم هذا التدبر له اهل مختصون وليس بوسع العامة تشخيص ذلك اذ ليسوا من اهله فاللائمة على عدم تدبره انما تتناول فريقا خاصا من اهل الكتاب والمنافقين وهم اهل الدربة والفضيلة .



وفى هذه الآية حجة على الاخباريين الذين يمنعون عن فهم القرآن من غير تفسير النبي أو الأئمة له فان الآية تنص على ان المراد بقوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن هم غير المعتنقين للأسلام لان المسلمين لا يتخالجهم شك بأن القرآن قد يكون من صنع محمد بل هم جازمون بأنه من الله وحده وإنما صحت الائمة على غير المعتنقين لان تدبر القرآن كان بوسعهم وبمقدورهم فألوا عنه جانباً لا لأنهم لم يفهموا من ذلك شيئاً بل لاعراضهم عنه قبل التحقق فيه وانسياقهم مع سوء الظن الموافق للهوى .

\* ( واذا جائهم امر من الأمن او الخوف أذاعوا به ولو ردّوه الى الرسول و الى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً ) \*

الأشارة بهذه الآية الى ضعفه المسلمين وبسطائهم الذين تلوك السنتهم كل رطب ويابس بلا امعان نظر وتدبر وانه هل ينفع او ان فيه ضرراً فضلاً عن عدم النفع فقال تعالى واذنا وصل الى اسماعهم فتوح اصابه المسلمون او مغلوبية اصابوا بها أفشوا تلك الأخبار بلا تأمل وربما يكون في افشائها ضرر على جامعة المسلمين فأن امثال هذه المطالب يجب ان توزن قبل أن تذا عن حتى لا يحصل من طريقها ضرر ولو ان هؤلاء المتسرعين سكتوا عن ابداء أى شىء يطرق اسماعهم حتى يكون نفس النبي هو المذيع له او ولاته الذين ينصبهم على الأصقاع وعلى المدينة نفسها حال غيابه عنها فان صلاحيتهم لذلك مستمدة من الذى ولاهم وهو الرسول وهذا هو معنى قوله ولو ردّوه الى الرسول و الى أولى الأمر



منهم لعلمه الذين يستنبطونه .

ومعنى الأستنباط هنا هو رؤية المصلحة في بثه أو ستره ، ثم ابلغ تعالى ابلاغاً عاماً لكل من تشرف بالاسلام ودان له بأنه لولا موفيقية الله لكم ورحمته عليكم لا تبع الاكثرون منكم خطوات الشيطان والمراد بذلك التجاهل بالحقيقة والأعراض عنها والأقبال على ايجآت الوهم والخيال ولم يكن يؤمن الا قليل منكم اولئك الذين لا يقدمون على شيء الا بعد التدقيق فيه والتحقق منه واذا آمنوا به ثبت ايمانهم ولم يتزلزل .



\* ( فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الآ نفسك و حرّض  
المؤمنين عسى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا  
والله اشدّ بأسا و اشدّ تنكيلا ) \*

سبق فى الآيات السابقة قوله فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون  
الحياة الدنيا بالاخرة و من يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف  
نؤتيه اجرا عظيما : وهو امر بالجهد للمؤمنين ولا شك ان فى طليعتهم  
نبّيهم و هذه الآية خصصته بالذكر لمعنى خاص وهو انك يا نبىّ الأمّان  
كنت مسؤولا فبالتبليغ و الحثّ و لمّ المؤمنين و دعوتهم الى الخروج معك  
حيثما يأمرك الله فلو تخلف عنك من لست قادرا على ادخاله فى حوزتك  
لما كنت مسؤولا عنه و فى مثل المقام لا تكلف الآ نفسك .  
و تكلف مبنى للمجهول نائب فاعله ضمير الخطاب و نفسك منصوب  
على انه مفعول ثانى لتكلف و التحريض هو الحث و البعث و عسى  
للتّرجى ساقها الله مساق المتكلمين غيره طردا للقاعدة الكلامية لا على  
موجب علمه و الآ فهو يعلم ان بأس الذين كفروا يهيمن على بأس  
المؤمنين او يكون تحت الشعاع و كفّ عنه تركه و البأس هو القوّة و التنكيل  
هو الايقاع بالطرف بما يكون عبرة للغير .

قيل فى سبب نزول هذه الآية ان ابا سفيان لما رجع بقريش الى  
مكة بعد وقعة احد و اعد رسول الله موسم بدر الصغرى فلما وصل الوعد  
وهو ذو القعدة لأنه الوقت المعلوم للموسم المذكور ابلغ النبىّ بالخروج  
الى ميعادهم فتشاقلوا و كرهوا ذلك كراهة شديدة فأنزل الله هذه  
الآية فحرّضهم كما امره الله فلم يجيبوا فخرج (ص) فى سبعين راكباحتى  
اتى الموسم ببدر فكفاهم الله بأس العدو و بتخلف ابي سفيان عنه و انصرف



رسول الله بمن معه سالمين .

\* ( من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها و من يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها و كان الله على كل شيء مقيتا ) \*

يقال كان فلان يمشى وحده فشفعه فلان فالشفع هو تانى الفرد و شفع فلان لفلان اذا ايدّه و قوّى جانبه : أبان سبحانه فى هذه الآية ان المؤمن انما يجوز له ان يشفع اذا كان هدف المشفوع له حسنا ومرامه مشروعاً فان شفاعته فى مثل هذا المجال تفيد له ثواباً و تنيله حسناً و أمّا اذا كان هدفه سيئاً و مرامه غير مشروع كان الشفيع شريك جرم للمشفوع له و ناله نصيب من جزاء المجرم فالآية تنصّ على ان المؤمن يجب ان يراعى ايمانه قبل مراعاة الصداقة او الاستفادة المادية او رجاء الناس منه فأن اجاز له الأيمان أن يسلك ما يريد منه الغير فعل و حصل اجرا و ان لم يجزه كفّ ولو كان الذى رجاه صديقا او رحما او كانت فى شفاعته منفعة دنيوية له و يقال أقاته يقيته اذا اعطاه القوت فحفظ وجوده و لازم ذلك القدرة فمعنى و كان الله على كل شيء مقيتا انه كان مقتدرا و تصحيح انتساب ذيل الآية لصدرها هو ان الله قادر على ان يؤجر الشفيع فى الحسن و ان يعدّبه على شفاعته فى الأمر السيء .



\* ( و اذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها

ان الله كان على كل شيء حسيبا ) \*

التحية هي السلام و اصلها الدعاء للطرف بالحياه و السلامه و البقاء فيقال حيا فلان فلانا اذا اراد له البقاء و دعا له بالحياه أفادت هذه الآيه تعليما اخلاقيا وهو ان الأنسان اذا حياه آخر بتحية فقال له السلام عليك او صبحك الله بالخير مثلا و جب على المحيي ان يحيى من ابتدأه بالأحسن حتى يكون قد كافئه على ابتدائه فيقول له السلام عليك و رحمة الله و صبحك الله بالخير و البركه .

و حدّ الأقل في الوجوب ردّها بمقدارها كأن تجيبه بقولك السلام عليك و صبحك الله بالخير و ردّ التحية واجب في الشرع يعصى الأنسان بتركه تعمدا و الأبتداء به مستحب و اضل مشروعيته لتقريب القلوب و ايجاد المحبة بين الناس .

ثم انه تعالى أبان حفظه لما يصد ر عن عباده من الابداء بالتحية و التجافى عن ردّها او ردّها هي بنفسها او بالأحسن منها بأن كل ذلك مضبوط عنده يثيب او يعاقب عليه حسبما يقتضيه المورد .



\* ( الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة  
لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا ) \*

من لازم خالق العالم صانع كافة المخلوقات الذي اسمه الله ان  
يكون لا اله الا هو ولما كانت كافة افعاله حكيمة ومن الحكمة ان يصل  
المجرم الى ما يقتضيه جرمه واثمه من نكال وان يصل المحسن الى ما  
يستدعيه احسانه من اثابة كان انشاؤه للنشأة الثانية ضروريا لتأمين  
الهدف المذكور لذلك كان يوم القيامة لا ريب في تحققه خصوصا وان الله  
اشاد بذكره في كتبه السماوية وعلى لسان رسله غير مرة ومن اصدق من  
الله حديثا اذا حدث .

\* ( فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما  
كسبوا أتريدون ان تهدوا من أضل الله ومن  
يضل الله فلن تجد له سبيلا ) \*

يقال أركسه اذا دفع به في تخوم الشيء و الفئته الفريق وما هنا  
للاستفهام الأنكاري و محلها الابتداء و لكم جار و مجرور خبر و فئتين  
حال بمعنى آية شبيهة دخلت عليكم في المنافقين الثابت نفاقهم حتى  
صرتم في حقهم فئتين و فريقين فريق اثبت نفاقهم و استحل قتالهم و  
فريق توقف في نفاقهم فلم يستحل قتالهم .

قيل في سبب نزول الآية ان رسول الله خرج الى احد فرجع ناس  
من كانوا خرجوا معه فكان اصحاب رسول الله فيهم فرقتين فرقة تقول  
نقتلهم و فرقة تقول لا فاستنكر الله على المسلمين انشاقهم في حق  
هؤلاء و حقق لهم انهم منافقون مظلوموا البواطن خبيثون و انه تعالى



اركسهم بسبب كفرهم وعنادهم أفستطيعون انتم يا جماعة المسلمين ان تهدوهم بالكلام وحسن الظن بهم والله اذا اضلّ انسانا لا نصرافه عنه وتمرده عليه وخبثه معه فلن تجد له سبيلا يسلك به الى الهداية الا اذا نزع يده من كل تلك الخبائث وتاب وصلاح باطنه .

\* ( و دوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا

تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل

الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حينئذ

وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ) \*

يعنى ان اولئك الذين انقسمتم فيهم قسمين وهم فى الواقع اخباث كفره مظلوما البواطن يودون ان تكونوا مثلهم حتى يستريحوا من مشقة النفاق وتزمت لانهم يعودون بعد كفركم آمنين من كل احد فلا تتخذوا ايها المسلمون من هؤلاء المنافقين صديقا ولا حبيبا حتى يهاجروا من ديار الشرك ويباعدوا المشركين وينزلوا معكم فى دار واحدة و يقوموا بجميع ما تقومون به من طقوس اسلامية

فان استدعيتموهم لذلك فأبوا اجابتم الى ما اردتم منهم فهناك

تعرفون انهم اخباث لا واقعية لهم عند ما ينضمون احيانا اليكم فخذوهم

حين تتمكنون منهم واقتلوهم اينما يكونون ولا تتخذوا منهم صديقا ولا

تستنصروا بهم فى مآزكم فانهم يساعدون اعدائكم عليكم .



\* ( الأ الذين يصلون الى قوم بينكم و بينهم ميثاق  
او جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم او يقاتلوا  
قومهم و لو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم  
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم و ألقوا اليكم السلم فما  
جعل الله لكم عليهم سبيلا ) \*

الاستثناء - فى قوله - الآ الذين - من قوله - فخذوهم و اقتلوهم  
حيث و جد تمهيم اى فقط احتراموا الأقوام الذين يلونون بمن لهم معكم  
عهد و ميثاق فأنهم بدخولهم فى حريم معاهدكم يكونون مثلهم فى  
الحرمة .

و هكذا لا تقاتلوا الذين تجدونهم تضيق صدورهم من مقاتلتكم و  
يكرهون مبارزتهم كما يكرهون ان ينضموا الى جبهتكم فى قتال قومهم فهم  
اناس يحبون العافية من كل قبيل : ثم ابان سبحانه عن نقطة امتحانية  
فقال و لو شاء الله لسلطهم عليكم امتحانا لكم هل يجدكم صابرين على  
الذلة فى سبيل الله و الأيمان به اولا صبر لكم : ثم عقب ماسلف فقال  
فأن اعتزلوكم هؤلاء الذين حصرت صدورهم فلم يقاتلوكم و القوا اليكم  
السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فى المقاتلة .

و جملة حصرت صدورهم حالية بمعنى جاؤكم و الحال ان صدورهم  
ضيقة من مقاتلتكم و مقاتلة اقوامهم : و مفاد هذه الآيات : وهو ترك  
مناجزة من دخل فى عهد معاهدكم او أبدى السلم فليس عليكم ولا لكم  
مع بقاءه على الشرك : منسوخ بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا  
المشركين حيث و جد تمهيم و لا عهد الا لكتابتى يقوم بشروط المعاهدة  
و الذمة .



\* ( ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها فأن لم يعتزلوكم و يلقوا اليكم السلم و يكفوا ايديهم فخذوهم و اقتلوهم حيث ثقتموهم و اولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ) \*

تفيد الآية ان هذا الفريق الذى تتحدث عنه غير ما سلف القول فيه فقد قيل فى مورد نزول هذه الآية ان عيينة بن حصن الفزاري اجد بيت بلاده فجاء الى رسول الله و وادعه على ان يقيم بيطن نخل ولا يتعرض له و كان منافقا ملعونا و كان يسميه رسول الله الأحمق المطاع فى قومه .

و تعنى الآية انكم ايها المسلمون وفى طليعتكم نبيكم ستجدون من المنافقين اقواما يريدون أن يأمنوكم على انفسهم و اموالهم و لذالك يتظاهرون لكم بالاسلام كما يريدون أن يأمنوا قومهم المشركين و لهذا اذا ذهبوا اليهم اظهروا لهم الشرك و عملوا به من كل قلوبهم هؤلاء هم الذين كلما ردوا الى الفتنة و المراد بالفتنة الشرك لان الفتنة اختبار و كذلك الشرك و الاسلام كلاهما اختبار للانسان اركسوا فيها بمعنى اعرقوا فيها الى جذورها فان لم يعتزلوا قومهم فى حربيكم و لم يلقوا اليكم السلم بل تجاهروا لكم بالعداء و لم يكفوا ايديهم عنكم فخذوهم بقواكم و اقتلوهم اينما وجدتموهم و اولئكم جعلناكم عليهم حجة واضحة بمواقفتهم لكم و قيامهم ضدكم و السلطان ما يتسلط به الانسان على خصمه و المبين هو الواضح .



\* ( وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً الاّ خطأ و من قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة و دية مسلمة الى اهله الاّ ان يصدّقوا فان كان من قوم عدّوكم و هو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة و ان كان من قوم بينكم و بينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله و تحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله و كان الله عليماً حكيماً ) \*

النفى فيما كان لمؤمن ان يقتل بمعنى النهى و التحريم اى لا يجوز للمؤمن ان يقتل انساناً مؤمناً و الاستثناء فى قوله الاّ خطأ منقطع وليس معناه انه يجوز قتله فى حال الخطأ فأنه لا تكليف مع النسيان و الغفلة و الخطأ فهو مسلوب من كلّ حكم تكليفى و ان ترتب عليه الحكم الوضعى وهو الحكم عليه بالدية و التكفير .

و الخطأ اسم مصدر من أخطأ و قياسه اخطأء كأكرم اكراما منصوب على الحالية بمعنى الآحال كونه مخطئاً و التحرير هو الأعتاق للسرق و الرقبة و ان كانت اسماً خاصاً لبعض الأعضاء من المملوك الا ان الحياة بالنسبة الى البدن لما كانت تنعدم بانعدام هذا العضو اطلق اسم العضو على المجموع منه و من غيره من اعضاء الجسم تسمية للكل باسم جزئه و المؤمنة هى المسلمة فلا تجزى الرقبة الكافرة و الوصف بالأيمان مشعر بالبلوغ و لازمه ان لا يجزى تحرير غير البالغ الاّ ان المتولد بين مؤمنين او مؤمن و غير مؤمن لما كان ملحقاً بهما او بالأشرف منهما وهو المؤمن يصدق عليه وصف الأيمان ولو تبعاً و على القاعدة يجوز اعتاقه



## في الكفارة .

و دية الخطأ كسائر الديات فيها تفاصيل محل ذكرها الفروع  
الفقهية وهي مائة من الأبل او الفدينار ذهب او عشرة آلاف درهم  
فضة او ما عادل ذلك و تلزم عاقلة القاتل و اهل المقتول يقتسمون الدية  
على ميزان الأثر الآ ان يعفوا عنها فيسقطوا حقوقهم عن القاتل و عاقلته  
و هذا هو المعبر عنه بقوله الآ ان يصدّقوا فجعل سبحانه العفو عنها  
بمنزلة التصديق بها من اهل المقتول على عاقلة القاتل .

و ملاك قتل الخطأ ان لا يكون للقاتل قصد للشخص المقتول ولا  
لقتله كأن يرمى طائرا و تصادف الرمية انسانا و قتل العمد هو أن يكون  
قاصدا للشخص نفسه بفعل قاتل كأن يرمى الأتسان مباشرة فيقتله و  
هناك قتل يقال له شبيه عمد وهو ان يكون الشخص مقصودا بالفعل  
و لكن الفعل ليس ممّا يقتل غالبا كأن يضربه بيده ضربة ضعيفة لا على  
مقتل فيموت المضروب .

ثم خرج سبحانه من عنوان قتل المؤمن خطأ الى عنوانين آخرين  
احدهما ان يقتل الانسان المؤمن مؤمنا لا يعرفه بالأيمان لكونه في غمار  
الكفرة و هذا هو المعنى بقوله فان كان من قوم عدّوكم وهو مؤمن ففى  
هذا العنوان تسقط الدية و على القاتل الكفارة .

و ثانيهما ان يقتل الانسان المؤمن معاهدا و معناه انه ليس  
بمؤمن و لكن بينه او بين قومه و بين المسلمين معاهدة و عقد ذمام فمثل  
هذا المقتول يودى و ديته يرثها اهله و على القاتل الكفارة تحرير رقبة  
مؤمنة فان لم توجد الرقبة او لم يوجد ثمنها فصيام شهرين متتابعين  
و يتحقق التتابع بصيام شهر و شىء من الشهر الآخر ولو يوما واحدا  
فأن لم يستطع فأطعام ستين مسكينا ولم يذكر ذلك فى الكتاب لكن



السنة صرحت به و يفهم من الآية ان كفارة قتل الخطأ مرتبة لامخيرة .  
و توبة مصدر منصوب على انه مفعول لأجله بمعنى انه انما يفعل  
ذلك من اعطاء الدية والتكفير تحصيلا للتوبة من الله عليه و كان الله  
عليما بفعل القاتل من كونه خطئا او عمدا او عليما بالأحكام اللازمة  
الترتب على موضوعاتها حكيميا في تقنين قوانينه .  
و يقال في خلاصة الآية ان المتصف بالأيمن لتحصنه بالدين  
و التقوى لا يرتكب كبيرة القتل من انسان مثله فأن كل واحد منهما يجلل  
عن ذلك ويتنزه و ليس معنى ذلك ان غير المؤمن له ان يقتل المؤمن او  
غير المؤمن بل معناه انه لقله دينه يتأتى منه ذلك و اما قتل العمد  
فأحكامه تأتي .



\* ( و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه و اعد له عذابا عظيما ) \*

بيننا فيما سبق ميزان العمد و هذه الآية تعرّضت لحكم قتل المؤمن عمدا ولا بد ان يؤخذ فيها قيد مع التوجه الى ايمانه و كون القتل عدوانا و القتل العمدى لادوية فيه بالأصالة و إنما فيه القود الا ان يتنازل ولىّ المقتول عن القصاص الى الدية او العفو و نصّت السنّة على ان عليه كفارة الجمع و يظهر من الآية تخليده فى العذاب مطلقا و يشكل ذلك مع التوبة بل مع عدمها فان المستفاد من آية ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان التخليد فى العذاب حكم الملحد بالله فقط و أن كل من دونه يجوز ان يقع مغفورا له من الله تعالى و على ذلك انعقدت الظاهرة الإسلامية و ان كان فى البين اقوال آخر لشتات فرق فى المسلمين الا انها ليست معيارا للدين بما هو و معنى لعنه طرده عن ساحة عزّه .



\* ( يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لم ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا ) \*

وفى هذه الآية الزم الله المؤمنين بالتثبيت والتأكد من حال أى انسان يقدمون عليه بالمبارزة و المناجزة و استحلال الدم و المال و انه لا يجوز لهم ان يبدروا الى مجهول الحال حتى تثبت هويته لديهم انه حربى او مؤمن او ذو ذمة فقد جاء فى مورد نزول الآية ان اسامة بن زيد و اصحابه بعثهم النبى فى سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له الى جبل و كان قد أسلم فقال لهم السلام عليكم لاله الا الله محمد رسول الله فبدر اليه اسامة فقتله و استاقوا غنمه و قيل فى موردها اشباه ذلك .

و مفاد الآية ايها المؤمنون اذا سرتم فى الأرض لأى داع كان ( وان كان المذكور فى الآية سبيل الله ) وهو الجهاد الا ان خصوص المورد لا يخص فتبينوا من حال من تريدون أن تقدموا على دمه او ماله فاذا كان مؤمنا او صاحب عهد لم يجز لكم ان تزاحموه و لا تقولوا لمن تظاهر بالآيمان ان ايمانك قشرى تريد ان تحمى به نفسك فى هذه الفرصة السانحة لنا عليك تبتغون فى تكذيب دعواه عرض الحياة الدنيا وهو مامعه من مال بل يجب عليكم ان تماشوا ظاهرتهم و مهما كان واقعه فان رزق الله غير محدود بأموال هؤلاء المتظاهرين المشكوك واقعهم لديكم .

و قوله كذلك كنتم من قبل : يحتمل صورا من المعانى ( اولها )



ان هذه الاعمال التسرعية بل الوحشية كانت شيمتكم قبل الاسلام فكل قوى منكم كان يقهر الضعيف لا لشيء سوى استغلاله و الاسلام جاء لمحاربة هذه الظاهرة المرذولة ( ثانيها ) انكم قبل الاسلام كنتم تتذرعون بما يؤمنكم فتنتسبون لمن ترونهم اعزاء فى ذلك المحيط حتى تحتفظوا بما لديكم او بأعماركم ( ثالثها ) انكم قبل انتشار الاسلام وعزته كنتم تخفون ايمانكم فى مظان الخوف من التجاهر به و تتجاهرون به فى مظان قوته و حكومته فلعلكم تواجهون من مشتبهى الحال من هو نظير لكم فيما سبق من ايامكم يتظاهر بالايان فى مقام الأمن و يخفيه فى مقام خوف التظاهر به : و قوله فتبينوا الثانية تأكيد لتبينوا الأولى ان الله كان بما تعملون من خير و شر خبيراً مطلعاً لا يشد عن علمه شيء من اعمالكم ولا من غيرها .



\* ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر و المجاهدون فى سبيل الله بأموالهم و انفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم و انفسهم على القاعدين درجة و كلاً وعد الله الحسنى و فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيماً درجات منه و مغفرة و رحمة و كان الله غفوراً رحيماً

و جوب الجهاد بالآصل كفايى اذا قام به من به الكفاية لتحقيق هذا المقصود سقط عن الباقيين و اذا اعرض الجميع عنه أثموا و القاعد عن الجهاد سنخان معذور وهو من يكون مريضاً او مقعداً او اعمى و نظير ذلك من الأعذار المؤقتة او الثابتة و غير معذور أما المعذور فالتكليف ساقط عنه بالمرّة و ليس محلاً له .

و أما غير المعذور فيكون تارة غير مأثوم بقعوده فيما لو خرج من به الكفاية و اخرى يكون مأثوماً وهو الذى لا تحصل الكفاية بدونه و لكنه يتخاذل و هذا المأثوم لا تتناول الآية بلسانها الحاضر و يظهر منها قياسان بالنسبة الى القاعدة فتارة يفضل المجاهد بماله و نفسه على القاعد درجة و تارة يفضل المجاهد بماله و نفسه على القاعد درجات و لا بدّ من توجيه هذين القياسين .

و لا اقرب من ان يقال ان الذى يفضل بجهاده على القاعد درجة هو المجاهد فى مقابل القاعد من اولى الضرر فان هذا القاعد لأجل ما فيه من موانع تقعد به عن انجاز همته فى الجهاد لم يقعد الا مقهوراً و لولا موانعه لالتحق بأخوانه المجاهدين و مع ذلك فالذى خرج الى سوح القتال له تفوق عليه لأنه باشر المشاقّ و القاعد لم يباشرها و ان



كان معذورا و الذى يفضل بجهاده على القاعد درجات هو المجاهد  
فى مقابل القاعد من غير اولى الضرر فان الفاصلة بينهما شاسعة كما هو  
ظاهر .

قوله وكلا وعد الله الحسنى : معناه وكلا من المجاهد و القاعد  
من اولى الضرر وعده بالحسنى و العاقبة المحمودة اذا كان واجدا  
للشرط وهو الطاعة لله فى تكاليفه .

و كل من انتصاب درجات و مغفرة و رحمة يكون على البدل من قوله  
اجرا عظيما و يجوز فى راء غير - اولى الضرر - التحريك بالكسر على  
الوصفية للمؤمنين و بالضم على الوصفية لقوله القاعدون و بالفتح على  
الاستثناء .



\* ( انّ الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا  
 فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا  
 ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ما  
 فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيـرا : الآ  
 المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان  
 لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا : فأولئك  
 عسى الله ان يعفو عنهم و كان الله عفواً غفورا ) \*

توفاهم اصلها تتوفاهم حذف احدى التائين تخفيفا و ظالمى  
 منصوبة على الحالية اى حال كونهم ظالمين لأنفسهم و ظلمهم لأنفسهم  
 يكون بقدرتهم على الهجرة من بلاد الشرك التى تضايقهم على ظهورهم  
 بفعل الواجب و ترك الحرام فلم يفعلوا و استقروا مع المشركين فى دار  
 واحدة مغلوبين لهم ليس باستطاعتهم ان يؤدوا فرائض الله و ليس  
 بمقدورهم أن يتجافوا عما عليه المشركون من طقوس عبادة .  
 ولا شك ان هذا ظلم للنفس المؤمنة و انما يكون ذلك عذرا مع عدم  
 القدرة على الأنفصال و لهذا تقول الملائكة لهم عند محاسبتهم اى  
 مؤمنين كنتم فى دار الدنيا و ليس معكم من اعمالهم شىء فيقولون فى  
 جوابهم نحن معذرون لأننا كنا مستضعفين بالنسبة الى المشركين  
 مغلوبين لقوتهم مقهورين لقد رتهم تحت اكنافهم و فى وسط ديارهم  
 فتقول لهم الملائكة ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها من ديار  
 الخوف الى ديار الأمن فهنا يسكت هؤلاء عن الجواب لأنهم يرون  
 انفسهم محكومة امام قول الملائكة .

ثم حكم سبحانه على امثال هؤلاء بأنّ مآلهم ومأواهم جهنم وليست



جهنّم بمصير يرتضى لسوءه ثم استثنى من جملة أولئك الذين مأواهم جهنم المستضعفين الواقعيين من الرجال والنساء والغلمان الذين لم يشتدّ أسرهم حيث يفقدون الحيلة والوسيلة في الانتقال من ديارهم الى ديار غيرها كما عبّر سبحانه بقوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا : وقد يتصور هنا اشكالان :

(الأول) ان الولدان ليسوا بمكلفين لعدم بلوغهم فكيف ذكروا

في مصاف البالغين .

(والثاني) انه مع عدم استطاعة الجيلة والوسيلة كيف يقوّل

سبحانه عسى الله أن يعفو عنهم فإنه لا مجال للكلمة عسى بل هم معفو عنهم باليقين والجواب عنهما معا واحد وهو التأكّد في وجوب الهجرة من ديار الشرك الى دار الأيمان حتى كأنّ غير المكلف بذلك يعتبر شبهه مكلف تحوم عليه شبهة الأثم في البقاء .



\* ( و من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله و كان الله غفورا رحيفا ) \*

المرغام هو الأرض و منه استحباب ارغام الأنف حال السجود اى الصاقه بها فالمراد بالمرغام هنا المكان و المذهب يعنى يجد فى الأرض امكنة كثيرة و مذاهب متسعة و مضطربا غير محدود و الهدف من الآية تسهيل الهجرة على اولئك المقيمين فى دار الشرك المزاحمين على دينهم و انفسهم من جانب المشركين و ان من يخرج من دار الشرك قاصدا بخروجه رضاء الله عنه و اقامة شعائره علنا يجد فى الأرض متسعا فان النقاط التى يعبد فيها الله و فيرة فأى مكان اختاره من هذه الأماكن ساغله و حسب مهاجرا .

فلو ان مكلفا خرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم مات فى خروجه اما بلا سبب او بسبب حسب مهاجرا و كتب له ما للمهاجرين من الأجر و كان الله غفورا له عما سلف منه رحيفا له .

اثر عن ابن عباس انه قال خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا فقال لقومه احملونى فأخرجونى من ارض الشرك الى رسول الله (ص) فمات قبل ان يصل الى النبى فنزل فيه و من يخرج من بيته مهاجرا - الخ -



\* ( و اذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن  
تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين  
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ) \*

الضرب فى الأرض هو السير فيها و الجناح هو الأثم و قصر الصلاة  
الحذف منها و الفتنة كل ما يدخل على الانسان لأجل اختباره وهى هنا  
الأذية و غير الملائم و هذه الآية تحتل و جهين من المعنى .  
(الأول ) ان السفر يبيح قصر الصلاة و الحذف من طولها  
فالباعية مثلا تكون ثنائية و اطلاق السفر يشمل ما كان مسافة شرعية  
ثمانية فراسخ ولو ملفقة و مالم يكن و سلب الجناح معناه اباحة القصر  
لا الألزام به و الحال ان السنة و بخاصة عند الأمامية الزمت به بشرايط  
خاصة : و القصر فى الآية لا يفهم منه حد خاص فى الحذف فلا يدرى  
كم يحذف المسافر من صلاته اذا صلى و السنة شخصت ذلك فى  
الرباعيات خاصة و ان المحذوف منها نصفها فيسلم المسافر على ركعتين  
أما الثلاثية وهى صلاة المغرب و الثنائية كصلاة الصبح فلا حذف فيهما .  
و قيد ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ليس معناه ان قصر الصلاة  
فى السفر يجب ان يكون مع الخوف من العدو و بدونه لا يباح القصر من  
الصلاة فان صلاة الخوف لها حكم آخر و صلاة المسافر بما هى صلاة  
مسافر موضوع برأسه بل معناه أن الأسفار فى الازمنة المعاصرة للقرآن  
كلها كانت ذات خوف لشيوع الغارات و كثرة اللصوص و قطاع الطرق و  
المنتهزين لضعف المسافر فالقيد سيق مساق الغالب فليست فيه شرطية  
( الثانى ) ان الآية تشير الى صلاة الخوف فقط و لا ربط لها  
بالمسافر بما هو مسافر و باعتبار ان الإنسان فى قرارة بيته آمن فى



الغالب عبّر تعالى في الآية بقوله و اذا ضربتم في الأرض فلا يكون الخوف الا في الخروج عن المواطن فاذا حصل الخوف للانسان من عدو يريد ه او قاطع طريق و نحو ذلك جاز له قصر الصلاة فتكون الآية بياناً لصلاة الخوف بما هي صلاة خوف غير مراعى فيها الأفراد و الجماعة و تكون الآية اللاحقة مبيّنة لصلاة الخوف جماعة .

\* ( و اذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك و ليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم و لتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك و ليأخذوا حذرهم و اسلحتهم و الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم و امتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة و لا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم و خذوا حذرکم ان الله اعدّ للكافرين عذاباً مهيناً ) \*

الخطاب في قوله و اذا كنت فيهم للنبيّ (ص) يعنى اذا كنت في جملة هؤلاء الضاربين في الأرض الخائفين من فتنة الذين كفروا و حان وقت الصلاة فأقمت لهم الصلاة جماعة فلينقسم من معك طائفتين طائفة تقوم تجاه العدو راصدة لمقاصده و طائفة تأتمّ بك : و حتى هؤلاء المؤمنون يأخذون معهم اسلحتهم حال الصلاة حذراً من ان يهاجموا و لا تستطيع الطائفة القائمة تجاه العدو ان تردّ كيد به بمجرد ما فاذا فرغوا من سجود ركعتهم الثانية و تشهدوا و سلّموا فليقوموا الى مراكز اخوانهم الذين كانوا راصدين لعدوهم و لتأت الطائفة التي لم تصل



فليقتدوا بك و ليصلّوا معك تمام صلاتهم و ليأخذوا حذرهم كما كانت الطائفة الأولى كذلك و ليحملوا معهم اسلحتهم كسلفهم و الذين كفروا لو تغفلون انتم المصلّي منكم و الراصد لهم عن اسلحتكم و امتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة وليكتسحوكم و صورة هذه الصلاة ان الأمام يكبر تكبيرة الأحرام بالطائفة الأولى فتصلّي معه بنية الجماعة ركعة واحدة ثم ينفردون عنه في الثانية فيأتون بها لأنفسهم و الأمام يطيل في ركعته الثانية حتى تتم الطائفة الأولى صلاتها و تأتي الثانية فتأتم به وهو في ركعته الثانية فاذا اتم سجود ركعته هذه قام المأمومون الى ركعتهم الثانية فأتموها و امامهم يطيل تشهده حتى يلحقوا به فيسلم بهم .

ثم ابان لهم سبحانه انه لا حرج ولا تكليف عليكم بأخذ السلاح ان كان بكم اذى من مطر بأن صادف ان السماء تمطر و انتم مضايقون بأداء الصلاة و حمل السلاح يخرجكم مع هطول المطر عليكم او كنتم مرضى يوهن بكم ثقل السلاح أن تضعوا اسلحتكم لكن مع اخذكم للحذر بأن تكونوا راصدين لمقاصد اعدائكم و سلاحكم بالقرب منكم ان الله اعبد للكافرين جزاء كفرهم و خبث ضمائرهم عذابا اليما .

و جاء في الأثر ان هذه الآيه نزلت و النبي بعسفان و المشركون بضجنان فتوافقوا فصلّى النبي (ص) و اصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع و السجود فهّم المشركون بأن يغيروا عليهم فقال بعضهم ان لهم صلاة اخرى احب اليهم من هذه يعنون صلاة العصر فأنزل الله عليه هذه الآية فصلّى بهم العصر صلاة الخوف .



\* ( فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما و قعودا

و على جنوبكم فاذا اطمانتم فأقيموا الصلاة ان

الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ) \*

ظاهر الآية يفيد هذا المعنى وهو انكم ايها الضاربون فى  
الأرض الخائفون من الذين كفروا اذا قضيت صلاة الخوف فاستمروا على  
ذكر الله فى حالات قيامكم و قعودكم و اضطجاعكم على جنوبكم لينصركم  
على اعدائكم و يحفظكم من كيدهم فاذا زال عنكم الخوف و امنتم فأقيموا  
صلواتكم على الحالة المعتادة بلا أن يكون فيها قصر و واظبوا على  
صلاتكم فى كافة الحالات ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا له  
حدود و آجال معينة فأقيمواها عند حدودها .



\* ( ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون

فأنهم يألمون كما تألمون و ترجون من الله

مالا يرجون و كان الله عليما حكيمًا ) \*

في هذه الآية حث على مكافحة العدو الكافر و مقاومته فإدائها ان تواتر الحروب عليكم و مديد و قفاتكم مع الخصوم الألداء لا يضعفكم فأنكم ان تجدوا من ذلك الما و مشقة فان خصمكم مثلكم يجد الما و مشقة و هناك داع قوي يحفزكم الى الاستمرار و تحمّل المشاق ليس موجودا عندهم فانكم لا اعتقادكم بالله و المعاد عليه ترجون منه الأجر الجزيل و الثواب الوفير أما هم فلا لحادهم بعالم الغيب و ما وراء الطبيعة لا رجاء لهم بمثل ذلك فقط انما يرومون في كفاحكم شهرة الدنيا متى انتصروا عليكم أما انتم فضلا عن تحصيلكم لمزية الانتصار متى ثبت لهم ترجون نشأة اخرى فيها من البقاء مالميس في الدنيا و من النعيم مالا تعرفه الدنيا ايضا و كان الله عليما بالمصالح حكيمًا في تشيبتها .



\* ( انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بيــــن

الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما :

واستغفر الله ان الله كان عفورا رحيفا ) \*

لهذه الآية وما بعد هاشان نزول نذكره اولاً ليكون رصيذا للكلام على هذه الآية وما بعد ها فقد اخرج جماعة من المحدثين عن قتادة بن النعمان وكان قتادة بدريا قال كان اهل بيت منّا يقال لهم بنو أبيرق بشر و بشير و مبشر و كان بشير رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله (ص) ثم ينحله بعض العرب فاذا سمع اصحاب رسول الله ذلك الشعر قالوا و الله ما يقول هذا الشعر الا هذا الخبيث فقال بشر او كلّمّا قال الرجال قصيدة اثموا فقالوا ابن الأبيرق قالها

قال و كانوا اهل بيت حاجة فى الاسلام فنقب بشير على علية رفاعة ابن زيد عمى و اخذ له طعاما و سيفا و درعا فشكا الى ذلك عمى فتجسسنا فى الدار و سألنا اهلها عن ذلك فقال بنو أبيرق و الله ما صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل منّا له صلاح و اسلام فلما سمع ذلك لبيد اخترط سيفه و اتى بنى أبيرق و قال انا اسرق فوالله ليخالطنكم هذا السيف او لتبينن هذه السرقة قالوا اليك عنا ايها الرجل فوالله ما انت بصاحبها فسألنا فى الدار حتى لم نشك انهم اصحابها فقال لى عمى يا ابن اخى لو اتيت رسول الله فذكرت له ذلك قال قتادة فأتييت رسول الله فقلت ان اهل بيت منّا اهل جفاء عمدوا الى عمى رفاعة بن زيد فنقبوا علية له و اخذوا سلاحه و طعامه فليردوا علينا سلاحنا و امّا الطعام فلا حاجة لنا فيه فقال رسول الله سأنظر فى ذلك .

فلما سمع بنو ابيرق ذلك اتوا رجلا منهم يقال له اسيد بن عروة



فكلموه فى ذلك فجمع اليه ناسا من اهل الدار فأتوا رسول الله فقالوا ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا والى اهل بيت منّا اهل اسلام وصلاح ورموهم بالسرقه من غير بينة ولا ثبت قال قتادة فأتيت رسول الله فكلمته فقال عمدت الى اهل بيت ذكر لهم اسلام وصلاح ورميتهم بالسرقه على غير بينة ولا ثبت قال قتادة ياليتنى متّ ولم اكن كلمت رسول الله فأتاني عمى رفاعه فقال لى يا ابن اخى ما صنعت فأخبرته بما قال لى رسول الله فقال الله هو المستعان .

فلم نلبث حتى نزل القرآن ( الآيه المصدر بها البحث ) فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب الى مكة وارتدّ كافرا ونزل على سلافة بنت سعد وكانت امرءة من الأوس نكحت فى بنى عبد الدار فهجاها حسان بقوله :

فقد انزلته بنت سعد واصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتم وفيما نبىّ عنده الوحى واضعه فحملت سلافة رحله على رأسها وألقته بالأبطح وقالت ما كسبت تأتيني بخير أهديت الىّ شعر حسان .

وقيل ان بنى ابيرق طرحوا ذلك على يهودى فجاء اليهودى الى رسول الله وجاء بنو ابيرق اليه وكلموه ان يجادل عنهم فهم رسول الله أن يفعل وان يعاقب اليهودى فنزلت الآيه .

وقيل نزلت فى رجل من الأنصار استودع درعا فجدد صاحبها فخونّه رجال من اصحاب النبىّ (ص) فغضب له قومه فقالوا يا نبىّ الله خونّ صاحبنا وهو مسلم أمين فعذره النبىّ وهو يرى انه برىء مكذوب عليه فأنزل الله الآيه .

ومفادها انا انزلنا اليك الكتاب وهو القرآن بالحقّ يعنى بما هو



ثابت فى صفحة الواقع لا شكّ فيه ولا شبهة تعتريه والغاية من انزال الكتاب اليك بالحقّ هو ان تحكم بين الناس فى خصومة وغيرها بما اراك الله ووقفك عليه من الحكم حتى تكون احكامك مسدّدة وقضاؤك لا تموج فيه ولا تكن للخائنين اى من اجلهم خصيما تدافع عنهم وتنزه ساحتهم وحاشا النبىّ من ذلك فأنه (ص) ان كلّ قتادة بقوله عمدت الى اهل بيت لهم اسلام وصلاح ترميهم بالقبيح من غير بيّنة ولا ثبت فلفقد ان قتادة للبيّنة ولتزكية بنى أبيرق من ناحية مسلمين كثيرين فالنبىّ عمل على ما يوحى به الظاهر وهو الميزان فى القضاء : وقوله تعالى واستغفر الله ليس معناه انه كان مذنباليدفع بالاستغفار دنبه بل لدفع مخالفة الواقع الذى لم يكن مكلفا به قبل اراءته ان الله كان لسيئات عباده الصادرة عنهم لاعن تعمّد والتى تعقبها التوبة رحيمًا بهم يريد لهم السعادة ولا يحاول لهم الشقاء .



\* ( ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما : يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا : ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ) \*

هذه الآيات كلّها مربوطة بالقصص السابقة في اصل نزولها ولكن موردها لا يخصّها بذلك بل عناوينها العامة تمشي مع كل مورد يكون بملاك ذلك : والمجادلة هي المناظرة وابداء الحجج لأجل تثبيت المطلوب ما تركز في نظر المجادل كونه حقّا يعنى ولا تدافع عن الذين يختانون انفسهم في واقع الأمر و يتظاهرون بمظاهر الأمين العفيف وطبعا انما يكون للنهي محلّ فيما لو كان المدافع واقفا على حقّ القضية وليها لا اذا كان على رسله من صحة الظواهر واما انتهاها والخوان مبالغة في الخيانة اما لتكررها منه او لصدور خيانة عظيمة عنه فالمبالغة كما تصح في مقام التكرار تصح في مقام اشتداد الأمر وضخامته والأثيم مرتكب الأثم وفاعله .

يستخفون - اي هؤلاء الذين يختانون انفسهم في الواقع - من الناس ملاحظة على شرفهم بينهم ولا يستخفون من الله في حين أنّ الله معهم تجاهروا بالشيء ام اخفوه وهو اقدر على انزال العقوبة بهم من الناس لقصورهم في الأعم الأغلب عن ذلك وعدم قصوره هو تعالى اذ لا محدد لقدرته .



اذ يبيتون اى يجتمعون فى الليل فيما بينهم و يتعاقدون على ما يحاولون اظهاره او اخفائه : ما لا يرضى من القول كاتهام بنى أبيرق للبيد بن سهل او كاتهامهم لليهودى : و كان الله بما يعملون فى الخفاء محيطا واقفا عليه اذ لا تخفى عليه خافية : ها انتم هؤلاء جاد لتم عنهم ها للتنبيه و انتم خطاب للذين جاد لوا عن بنى أبيرق من قراباتهم و محبيهم فى الحياة الدنيا لتحفظوا شرفهم بين الناس فهل تستطيعون أن تجادلوا عنهم الله العالم بخفايا الأمور يوم القيامة فتدفعوا عنهم العذاب ام من يكون عليهم و كيلا يتصدى للذبح عنهم و تبرئة ساحتهم و الاستفهام فى كلا مقاميه فمن يجادل ام من يكون عليهم و كيلا للأنكار .



\* ( و من يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً : و من يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه و كان الله عليماً حكيماً : و من يكسب خطيئةً او اثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً و اثماً مبيناً ) \*

هذه الآيات مصدر سياقتها ماسبق من القصة و ملاكها اشمل من ذلك و مفادها ان كلّ مكلف يعمل سوءاً بمعنى ما يستاء له وهو الفعل القبيح يسوء الغير او يظلم نفسه بأن لا يصلى او لا يصوم او لا يهاجر من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام ثم يتراجع و يتوب و يستغفر الله يجد الله غفوراً له رحيماً به اى يجزّ اثماً وهو الجرم و الذنب فانما يجزّه على نفسه فان ضمان الجرم على فاعله و كان الله عليماً بما يصلحكم و لذلك يأمركم به و بما يضركم و لذلك ينهاكم عنه حكيماً فى تقرير احكامه و من يرتكب خطيئةً اصلها من الخطأ ضد الصواب لا من الخطأ بمعنى الجهل و عدم العمد او اثماً و الخطيئة و الأثم بالمعنى اللغوى العام واحد و انما جىء بهما متعدد بين للتفنن فى التعبير ثم يرم به بريئاً لم يرتكب جرماً نظير بنى أبيرق الذين سرقوا و وجّهوا السرقة الى لبيد بن سهل او الى اليهودى على القول الآخر فقد احتمل بهتاناً وهو الكذب مع العواجهه و لا شك ان ذلك اثم واضح .



\* ( و لولا فضل الله عليك و رحمته لهمت طائفة منهم  
 أن يضلوك و ما يضلون الا انفسهم و ما يضرّونك  
 من شىء و انزل الله عليك الكتاب و الحكمة و  
 علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما ) \*

معنى ذلك لولا أنّ الله اوقفك على واقع قضية بنى أبيرق و بين لك  
 أنّهم هم اللصوص لا لبيد بن سهل و لا اليهودى لهمت طائفة منهم  
 اى من المسلمين بحسب ما يظهر عليهم أن يضلوك عن الواقع و يبرّوا  
 ساحة بنى أبيرق و يبطلوا على رفاعه بن زيد حقه و ما يضلون فى الحقيقة  
 الا انفسهم لأنهم بتعمية المطلب فى الظاهر لا يستطيعون ان يعمّوه  
 على الله سبحانه و ما يضرّونك لو برّأت ساحة بنى أبيرق لانك حاكم  
 بالظاهر الذى هو و وظيفة القضاة و لست مكلفا بالواقع قبل ابانته لك  
 و لكنّ الله انزل عليك الوحي و الحكمة وهى الوقوف على قرار الشىء  
 وعلّمك من الواقع ما لم تكن تعلمه و كان فضل الله عليك بتسديدك و  
 تأييد خطاك عظيما .



\* ( لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة

او معروف او اصلاح بين الناس و من يفعل

ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ) \*

ابان سبحانه ان التناجى و جلسات السر لا خير فيها اذا لم  
يتعاط المتناجون فيها امور الخير بأن يشير بعضهم على بعض بالصدقة  
وقضاء حاجات المضطرين و تنفيس كربات المكروبين و سائر فعل  
المعروف من تنديم بعض على مشاقته لآخر و مقاطعة بعض لبعض فان  
من يفعل فى تناجيه شيئا من ذلك طلبا لرضوان الله فان الله لا ينسى  
له اجره : و جاء فى الأثر مرفوعا الى امير المؤمنين عليه السلام انه قال  
ان الله فرض عليكم زكوة جاهكم كما فرض عليكم زكوة ما ملكت ايديكم .



\* ( و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين لله الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا ) \*

المشاقّة و قوع كل من الطرفين او الأطراف فى شقّ غير الآخر و لازم ذلك العداة و البغض و مشاقّة الرسول معناها الأنتباز عنه و المجافاة له قيل نزلت الآيّة فى ذلك الأبيرقى الذى هرب الى مكة بعد ما ثبتت عليه السرقة فأنه كفر و ارتدّ و لحق بالمشركين ثم نقب حائطا فوقع عليه الحائط فقتله و بيان الهدى اتضح نبوة نبي الاسلام له و سبب المؤمنين هو الدين الذى تلقّوه جيلا بعد جيل عن مصدر التشريع فالاستدلال بذلك على ان اجماع الأمة حجة ليس بصحيح على اطلاقه و الصحيح منه ما كان متواصلا يدا بيد حتّى يتصل بالحجة و الاّ فصرف اجتماعهم بما هو لاقيمة له و معنى نوله ما تولى نكله الى ما اختار لنفسه و عاقبته اتصالة و ملازمته لجهنم و بئس المصير جهنم .



\* ( ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون

ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد ضلّ

ضلالا بعيدا ) \*

تقدّمت هذه الآية و جيء بمكرّرها للتأكيد من مفادها و جاء فى سبب نزولها عن بعض الآثارة أن شيخا من الأعراب جاء الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله انى شيخ منهمك فى الذنوب و الخطايا الا انى لم أشرك بالله شيئا مذ عرفته و آمنت به و لم اتخذ من دونه وليا و لم أوقع المعاصى جرءة على الله ولا مكابرة له و انى لنادم و تائب و مستغفر فما حالى عند الله فأنزلت هذه الآية و الضلال البعيد هو الذى يتلف معه صاحبه .



\* ( ان يدعون من دونه الاّ اناثا وان يدعون الا  
 شيطانا مريدا : لعنه الله وقال لأتخذنّ من  
 عبادك نصيبا مفروضا : ولأضلّهم ولأمنّيهم  
 ولأمرّهم فليبتكنّ آذان الأنعام ولأمرّهم  
 فليغيّرنّ خلق الله و من يتخذ الشيطان وليا  
 من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا : يعدهم  
 و يمنّيهم و ما يعدهم الشيطان الاّ غرورا : اولئك  
 ماؤاهم جهنّم و لا يجدون عنها محيصا ) \*

ان فى قوله ان يدعون نافية بمعنى ما يعنى ان المشركين لا يدعون  
 من دون الله خالق الكائنات صانع الكون الاّ او ثانا مؤنثة و تأنيثها  
 باعتبار اساميتها كاللآت والعزى ومناة و اساف و نائلة و فى الحقيقة انما  
 يدعون من دون الله من أعواهم و سؤل لهم و هو الشيطان المتمرد على  
 ربّه المطرود عن ساحة عزّه منذ ابي السجود لآدم و عصى امر الله فيه  
 و قد كان الشيطان قال لله متوعدا لأتخذنّ من عبادك اى ممّن خلقت  
 من ذرارى آدم سهما اغويهم و أضلّهم و يتابعوننى على اغوائى لهم  
 و اضلالى اياهم و المفروض هنا هو المحقق الثابت : ولأضلّهم اى عن  
 طريق الحقّ ولأغرّهم بالأمانى ولأسولنّ لهم ما ينحرفون معه ولأمرّهم  
 بأطاعة الأوثان ولأزيننّها فى اعينهم حتى اجعلهم ينحرفون لها و  
 يذبحون و يسمون لها من انعامهم بقطع آذانها فان البعك هو القطع  
 ولأدعونهم الى تغيير خلقه الله وهو تغيير مجارى الفطرة الى ما يناقضها  
 و يضادها و من جملة ذلك ان يتشبه الذكور بالاناث و الاناث بالذكور  
 و كل تحريف عن مجارى الخلقة بحسب ما فطر عليه المخلوق فهو



تغيير لخلق الله ثم قال سبحانه و من يتخذ الشيطان وليا من دون الله الذى خلقه و رزقه و هداه فقد خسر خسرا نانا مبينا لأنه اعراض عن جانب المنعم الى جهة عدوه مضافا الى ان الله يعد بالصدق و الحق و الشيطان يعد ويمنى بالأباطيل و ما يوجب الأرتكاس فى الذنوب و البوار فأولئك الذين يترسمون خطوات الشيطان و ينجرفون معه الى كل مباءة مهلكة لا مأوى ولا مصير لهم الا جهنم لأنها دار المنحرفين و لا يجدون عن هذا المصير مخلصا يلتجأون اليه .

\* ( و الذين آمنوا و عملوا الصالحات سندخلهم

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها

أبدا و وعد الله حقا و من اصدق من الله قيلا ) \*

هذه الآيه تقابل ما سبقها و السابق و عيد و هذا وعد فقال سبحانه و الذين زرعوا فى قلوبهم بذرة الايمان حتى تمكنت منها ثم دعاهم ايمانهم الى العمل الصالح المرغوب لله و لعباده المؤمنين فأولئك سنجازيهم بأقصى ما يمكن مجازاة الإنسان بالراحة و النعمة و طرد كل مزاحم و جلب كل نافع فى ظرف الخلود الأبدى و وعد مصدر منصوب على البدلية من فعله كأنه قال وعد الله بذلك وعدا حقا و حقا منصوب على المصدرية ايضا باعتباره مؤكدا لوعده لان وعد الله لا كسائر الوعود مما يتهم بعدم التحقق بل هو ثابت و الحق معناه هو الثابت و من اصدق من الله فى قوله - ليس هناك احد - الا المتخلق بأخلاقه المتجافى عن استدعآت منافعه المادية .



\* ( ليس بأمانيّكم ولا امانيّ اهل الكتاب من  
يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا  
ولا نصيرا : و من يعمل من الصالحات من ذكر  
او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة  
ولا يظلمون نقيرا ) \*

الأمانى هى احاديث النفس و تسويلاتها و الخطاب للمسلمين  
و مفاده انه لا يجوز لكم أن تغتروا بأسلامكم فتقولوا منّا خاتم النبيين  
و نحن آخر الأمم و كتابنا القرآن يقضى على ما سواه من كتب السماء كما لا  
يجوز لأهل الكتاب ان يدلّوا بأنهم أسباط الأنبياء بل المعيار فى  
شرفكم و شرفهم و انحطاطكم و انحطاطهم عند الله هو العمل فمن  
يعمل سوء يجز به ولا ينفعه كونه مسلما او كونه سبط نبيّ ولا يجد له من  
دون الله وليًا يحميه على الله او نصيرا ينصره عليه تعالى و من يعمل  
من الصالحات ذكرا كان ام انثى بشرط ان يكون رصيد عمله الأيمان  
بالله و بما اوجب الايمان به فأولئك جزائهم دخول الجنة و استقرارهم  
فيها ولا يظلمون ممّا عملوا من الصالحات اقلّ ما يتصور فى القلّة و قيل ان  
النقيير النكته الصغيرة فى ظهر النواة و الهدف من التعبير به الكناية  
عن القلّة .



\* ( و من احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو  
محسن و اتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله  
ابراهيم خليلا : و لله ما فى السموات و ما فى  
الأرض و كان الله بكل شىء محيطا ) \*

ثم اعطانا فى هذه الآيه ملاكالايمان الصحيح فقال و من احسن  
دينا ممن اسلم وجهه لله اى اعطى كل وجوده لله سبحانه فكان قياده  
تكليفا و تكويننا بيد الله هذا من وجهة العقيدة و اما من وجهة العمل  
فكان محسنا يفعل كل فعل حسن كان بمقدوره و جعل برامجه للفعل  
العبادى دين ابراهيم الذى صدع به محمد و تممه ما تلا عن كل باطل  
زائما بنفسه عن كل انحراف ثم اراد ان يبين و يعرف ابراهيم لمن لا  
يعرفه فقال و اتخذ الله ابراهيم خليلا له .

و لازم هذه المخالفة كون ابراهيم متخلقا بأخلاق الله : و جاء فى  
سبب اتصاف ابراهيم بالخلة مع ان كل نبي لله خليل له ان ابراهيم  
كان يضيف الناس و يطعم المساكين و ان الناس اصابهم جدب فارتحل  
ابراهيم الى خليل له بمصر يلتمس منه طعاما لأهله فلم يصب ذلك عنده  
فلما قرب من اهله و كان بمفازة ذات رمل لينة ملأغرامه من ذلك الرمل  
لئلا يغم اهله برجوعه اليهم من غير ميره فحول الله ما فى غرائره دقيقا  
فلما وصل الى اهله دخل البيت و نام استحياء منهم ففتحوا الغرائر و  
عجنوا من الدقيق و خبزوا و قدّموا اليه طعاما طيبا فسألهم من اين  
خبزتم قالوا من الدقيق الذى جئت به من عند خليلك المصرى فقال اما  
انه من خليلى و ليس بمصرى فسمّاه الله خليلا .

و لله ما فى السموات و ما فى الأرض من كل ما هبّ و دبّ و ركذ و كان



اللّه بكل شيء من اشياء الكون محيطا لانه خلقه و دبره ولانه مجرد لا تحجبه مادة عن مادة .

\* ( و يستفتونك فى النساء قل اللّٰه يفتيكم فيهنّ  
و ما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء  
اللاتى لا تؤتونهنّ ما كتب لهنّ و ترغبون ان  
تنكحوهنّ و المستضعفين من الولدان و ان  
تقوموا لليتامى بالقسط و ما فعلوا من خير فان  
اللّٰه كان به عليما ) \*

كاف الخطاب للنبيّ وقوله فى النساء لا بدّ فيه من حذف مضاف  
تقديره فى شأن النساء و ما يخصهنّ من الأرت و عدمه و جواز اكل  
مهورهنّ و عدمه و منعهنّ عن الزواج و عدمه وما الى ذلك ممّا له حكم  
فى الشريعة .

قل اللّٰه يفتيكم فيهنّ اى يبيّن لكم الفتوى اللازمة فى حقهنّ فجملة  
اللّٰه يفتيكم فيهنّ جملة ابتدائية و ما فى قوله و ما يتلى عليكم موصولة  
بمعنى الذى و يتلى عليكم فى الكتاب صلته و خبره محذوف مدلول عليه  
بما سبق اى و الذى يتلى عليكم فى الكتاب يفتيكم به ايضا .

و المراد بالذى يتلى فى الكتاب شتات الموضوعات التى قدر اللّٰه  
السؤال عنها بمثل قوله يسألونك او يستفتونك و قوله فى يتامى النساء  
يجوز ان يكون من باب اضافة الصفة الى الموصوف بمعنى النساء اليتامى  
كما يجوز ان يكون بمعنى الأولاد اليتامى للنساء و يجوز ان يراد بقوله  
لا تؤتونهنّ ما كتب لهنّ انكم لا تؤتونهنّ ميراثهنّ لان الجاهلية ما كانت  
تورث امرأة كما لا تورث من لا يحمل السلاح وليست فيه صلاحية الكفاح



لصغره .

او انكم لا تؤتونهنّ ما يستحقن من مهر امثالهن لأنهنّ يتامى تحت كنفكم وقوله و ترغبون ان تنكوهنّ يجوز فيه معنيان ايضا معنى و ترغبون فى نكاحهن و معنى و ترغبون عن نكاحهنّ و المعنى الأول لازمه انه لا يجوز لكم ان تستبيحوهنّ بالصدّاق القليل اتكالا على كفالتكم لهن و على يتمنّ وهنّ لو خيرتموهنّ لما رضين بذلك و المعنى الثانى لازمه انه لا يجوز لكم منعهنّ عن النكاح لتحبسوهنّ حتى يمتن فتأخذ و ماورثن عن اهلهنّ .

و المنظور بالمستضعفين من الولدان الاولاد الضعاف عن حمل السلاح و مقاومة الكفاح و معناه انه يجب عليكم ان تعطوهم ميراثهم ولا يجوز لكم ان تستضعفوهم فتحترقوهم ولا تؤدّوا اليهم حقهم و المراد بقوله و أن تقوموا لليتامى بالقسط انه يجب عليكم ان تحفظوهم و تقوموا على اموالهم قيام انسان امين على ما تحت يده .

و اجوبة هذه الأسئلة حسبا اشرنا اليه تقدمت فى شتات الآيات السالفات من وجوب ايتاء الجميع حقوقهم من الأرت و انه لا يجوز نكاح اليتيمات بدون مهر امثالهن اذا لم يرضين بالأدون و انه لا يجوز منع اية امرأة عن النكاح و لا قسرها على التزوج بها و ان الولدان مستضعفين كانوا ام لا يجب ايتاؤهم حقهم من الأرت و ان حفظ مال اليتيم واجب و اكله بغير حق ظلم .

ثم عقب ذلك بقوله و ما تفعلوا من خير يرضاه الله و ان كان من زمرة التكاليف الواجبة عليكم فأن الله كان به عليما و عليه بالجزاء الحسن

مكافئا .



\* ( وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا  
فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا و  
الصلح خير و أحضرت الأنفس الشحّ وان تحسنوا  
و تتقوا فأن الله كان بما تعملون خبيرا ) \*

النشوز فى الزوج او الزوجة الأرتفاع عن الطاعة و عن القيام بالواجب  
الزوجى و الأعراض هو عدم التوجه و قرء يصالحا بتشديد الصاد على  
ان يكون اصله يتصالحا و مصدره التفاعل و يكون قوله صلحا اسم مصدر  
على كلا القراءتين فان مصدر اصلح هو الأفعال مثل اكرم اكراما و الشحّ  
هو الحرص .

بين الله آفا حكم نشوز الزوجة و الآية الفعلية تعرضت لحكم نشوز  
الزوج وهو ارتفاعه عن حقوق الزوجة كلّها او بعضها بأن لا يقاربها او لا  
يقسم لها ليلة كما ورد فى مورد نزولها ان بنت محمد بن مسلمة كانت  
عند رافع بن خديج و كانت قد اسنت و كانت عنده امرأة شابة سواها  
فأراد تطليقها و خيرها ان هى احبّ البقاء ان لا تريد منه ما يقسمه  
للثانية فقالت اصبر على الاثرة فنطقت الآية بأنه لا اثم عليهما ان اصطلحا  
على لون يرتضيانه و الصلح خير من الطلاق خصوصا لمن كبر سنّها و فنى  
شبابها .

و أحضر مبنى للمجهول معناه ان الطبيعة البشرية تحضر للأنفس  
الشحّ و الحرص حتى المرثة المسنة تحرص على مساواتها مع الشابة  
و معارضتها لها وقد لا يكون ذلك باختيارها الا اذا راضت نفسها  
واقنعته بالمعقول ثم خاطب سبحانه الأزواج بأنكم مهما احسنتم  
لمن عافت انفسكم و اتقيتم الله فى ذلك فان الله كان بما تعملون من الخير



معهنّ خبيرا يحفظه لكم .

\* ( و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلّقة و ان تصلحوا و تتقوا فانّ الله كان عفورا رحيمًا : و ان يتفرقا يغن الله كلًّا من سعته و كان الله واسعًا حكيمًا ) \*

مفاد هذه الآية تابع للآية السابقة و خلاصته ان الأنسان اذا مال قلبه جذريا نحو شيء و استمر داعي الميلان موجودا في الطرف فمن الصعب العسير ابعاده عنه كما أنّه من المتعذر التفكيك بينه و بين لوازمه فالرجل اذا مال قلبه الى امرءة فبمقدار ما يميل لها يبعد عن الأخرى و تلك الأخرى على حساب انّ لها من زوجها مثل ما لقبيلتها تريد هذا الاستحقاق و هو عاجز عنه و لذلك قال تعالى و لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم لأنّ الحرص تصنّعي و الميل الى المحبوب طبيعي فكيف يوازي التصنّعي الطبيعي و لكن هناك شيء الفت الله انظارهم له فقال من البين ان العدل بين النساء غير مستطاع لكم و لكن هناك امر مقدور لكم هيّن عليكم وهو انّ تعربوا لتلك اللاتي يرين انفسهنّ مهجورات باختيار واحد من امرين اما اسقاط حقهنّ من المقاربة و قسم الليالي و اما الطلاق ولا يجوز لكم ان تهملوا امرهنّ فتدعوهنّ كالمعلقات لا ذوات ازواج ولا مطلقات .

و ان تصلحوا بينكم بأسقاط بعض الحقوق من الطرفين و تتقوا الله في الباقي فانّ الله كان عفورا لكم ايها الرجال عن ميلكم القلبي لبعض نساءكم دون بعض لانه امر خارج عن الاختيار كما روى عن النبي ( ص )



انه قال اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني في ما تملك ولا املك  
رحيما بكم و بكافة خلقه ما استحقوا الرحمة و ان لم يمكن الصلح لا شتطاط  
ما بينهما و اختار الفرقة فانّ الله سيغني الطرفين من سعته فلا يكون  
بعض محتاجا الى بعض و كان الله واسعا في مادة العطاء لا يعسر  
عليه شيء حكيما فيما يقنن من قانون .

\* ( و لله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا  
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم و اياكم أن اتقوا  
الله و ان تكفروا فانّ لله ما في السموات و ما في  
الأرض و كان الله غنيا حميدا : و لله ما في  
السموات و ما في الأرض و كفى بالله و كيدا ) \*

لله بالمالكية الحقيقية جميع الكائنات التي لا تخلو من مكان اما في  
السماء او في الأرض لأنّه خالقها و باعثها من العدم الى الوجود وهذه  
المقدمة رصيد لقوله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم —  
كليميين و مسيحيين و غيرهم كما و صيناكم انتم ايها المسلمون بالايمان  
بالله و الخوف من سطواته التي لا ترد و اما اذا اخترتم الكفر و الألحاد  
بالله فانّ الله عنى عنكم على كل حال اتم موحدين كنتم ام ملحدين و ذلك  
لانّ لله ما في السموات و الأرض فلا ينقصه شيء لو توليتم لان توليكم  
ظاهري قشري و الله يتصرف بكم تكوينا كيف يشاء كما يتصرف بالجوامد  
الهوامد .

نعم الله تعالى في عالم التكليف يحمد المؤمن المطيع لانقياده و  
صفاء ضميره و شكره لأنعم مولاة عليه و أكد سبحانه بتأكيد ثالث بان له  
جميع ما في السموات و ما في الارض فلا يغترن انسان بتمردّه او بحوله



الظاهرى فانه كما اسلفنا محكوم لقدرة الله على كل حال انتخابها لنفسه  
والله سبحانه نصب نفسه وكيلا على عباد ه كما نعبر عن ذلك بالوكيل  
التسخيرى الا ان هناك بونا بعيدا بين الوكيلين فان الوكيل التسخيرى  
يخاف منه على موكله وكالة الله على عباد ه لا يخاف منها بالمرّة لأنها  
تراعى الأصلح فى حق العبد ان لا تحيّر فى الله سبحانه .

\* ( ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويات بأخريـن

وكان الله على ذلك قديرا : من كان يريد

ثواب الدنيا والآخرة فعند الله ثواب الدنيا

والآخرة وكان الله سميعا بصيرا ) \*

ثم انه سبحانه أبان جهة غناه عن البشر الموجود بأنه قادر على  
اماتة هذا النوع اماتة جماعيه و الأستعاضة عنهم بنوع آخر وهذا النوع  
من القدرة مفقود عند المقتدرين فان اعظم المستولين يمكن فى حقهم  
تصوير ابادة رعاياهم متى كرهوهم من صميم قلوبهم ولكنهم لا يمكنهم ان  
ينشأوا لأنفسهم اما غيرهم على وفق ما يرضون فمن هنا صح لله وحده  
ان يقول وكان الله على ذلك قديرا ، ثم ازرى تعالى بالمنافقين والمؤلفة  
قلوبهم الذين ينضون تحت راية الأيمان لأجل الأستفادة من غنائم  
الحرب بان انضواكم تحت راية المسلمين ان كان لأجل المنافع الدنيوية  
فهناك ما يكفل لكم خير الناشأتين الدنيا والآخرة وهو ايمانكم بالله  
تعالى واعتناقكم للإسلام حقيقة فأن هذا الرصيد الذى لا يحتاج فى  
اثباته الى مؤنة لوضوحه ودلالة نفسه على نفسه انه حق وصدق يكفل لكم  
ثواب الدنيا و منافعها كما يكفل لكم ثواب الآخرة و فوائد العظيمة  
فعلام تميلون الى الأدنى و تتركون الأعلأ وكان الله سميعا لما تتناجون  
به ايها المنافقون بصيرا بد فائن قلوبكم .



\* ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى إن تعدلوا وإن تلووا وتعرضوا فإن الله بما تعملون خبيراً ) \*

قوام صيغة مبالغة في القيام والقسط هو العدل واللام في الله لام تعليل بمعنى لأجل الله وطلباً لمرضاته والهوى هو الميل النفسي ولوى لسانه بالكلام إذا لم يؤده كما هو .

تفيد الآية لزوم ملازمة المؤمن للعدل والأنصاف وإحقاق الحق في كل موطن في الشهادة وغيرها والشهداء جمع شهيد مؤدى الشهادة وانتصب شهداء على أنه خبر بعد خبر لكان وجوب أداء الشهادة بما يلزم به العدل يتناول الشهادة على النفس ويسمى إقراراً أما الشهادة للنفس فهي دعوى تحتاج إلى شهادة خارجية كما يتناول الشهادة على الغير وللغير .

وقوله أو الوالدين والأقربين عطف على قوله ولو على أنفسكم فأنهم بمنزلة النفس في الشهادة عليها لان الأنسان تجرّه عصبية الرحم فلا يشهد على رحمه وقربه لكن هذا التصوير مع فرض العدالة في الشاهد لا مجال له .

واسم ان يكن محذوف تقديره المشهود له أو عليه غنياً أو فقيراً بمعنى ان المشهود له حتى لو كان غنياً غير محتاج لا يبرر لكم غناه التهاون في حقه فان العدل لا تبعيض فيه والمشهود عليه حتى لو كان فقيراً لا يجوز لكم ان تبطلوا الحق لأجل فقره .



وقوله فالله اولى بهما جواب الشرط لقوله ان يكن غنيا او فقيرا ومعناه ان المشهود له وعليه مع غناه او فقره لا ربط لكم به اذ ليس باستطاعتكم اغناء الفقير او افقار الغنى و انما ذلك الى الله والله اولى بهما منكم فلا تتبعوا اهوائكم و ميولكم مخافة اتباعكم للعدل الذى يخالفها فقولته ان تعدلوا ينسبك بمصدر يكون مضافا اليه لمضاف محذوف هو ما قدرناه من قولنا مخافة .

ولى اللسان هو الخروج به عن الاعتدال و الصراحة و معناه ان الانسان اذا لوى لسانه عن الصراحة بضمون الشهادة كما تحمّلها فأنه آثم و هكذا اذا اُعرض عن اداؤها فهو آثم .

فان الله كان بما تعملون من حق و باطل و اداء لما تحمّلت من الشهادة و عدم اداء خبيرا لا تخفى عليه خافية، و خلاصة الآية ان العدالة الاجتماعية لا يمكن تحقيقها فى الاجتماع من طريق انسان واحد او اثنين او ما هو فى مقربة من ذلك لان الانسان الصالح حتى لو ثنيت له الوسادة لا يستطيع ان يمارس شؤون المجتمع كلها بخاصة نفسه لعجزه الطبيعى عن ذلك بل يحتاج الى معاونة الاكثرية من الناس حتى يبقى القليل مضايقا لا يجد له مساعدا من بين هؤلاء اما اذا تخلّفت الاكثرية عن ذلك شمل الظلم كل احد ولا يغترن القوى فى دور ببقاء الدور له كما هو مشاهد محسوس .



\* ( يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله و الكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلّالا بعيدا ) \*

آمنوا الأولى خبر و آمنوا الثانية امر و الألف و اللام فى الكتاب المذكور أولا للعهد اى القرآن وهى فى الكتاب المذكور ثانيا للجنس لان المراد به ما انزله الله على من سبق نبيّ الإسلام من الأنبياء السابقون عليه كثيرون وكتبهم ايضا كثيرة :

و يجوز ان يراد بالذين آمنوا المنافقون الذين يتظاهرون بالآيمان فيكون معنى آمنوا بالله ورسوله كونوا واقعيين فى ايمانكم لا سطحيين فان من لا واقع لأيمانه ليس بمتدين اصلا .

كما يجوز ان يراد بهم المؤمنون الواقعيون و يكون الأمر لهم بالآيمان بمعنى الاستمرار عليه و الثبات معه ومن لازم الكفر بالله الكفر بما يمتّ اليه من ملائكة و كتب و رسل و معاد بخلاف الكفر بواحد من هذه الأمور فانه لا يلزم من طريق المنطق الكفر بالله و إن لازمه من طريق الشرع و الضلال البعيد هو الانحراف المتمادى الشقة عن الواقع .



\* ( انّ الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا : بشرّ المنافقين بأن لهم عذابا اليما : الذين يتخذون الكافرين اولياءً من دون المؤمنين ايتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ) \*

قيل ان المراد بالذين آمنوا اولًا ثم كفروا ثانيا ثم آمنوا ثالثا ثم كفروا رابعا ثم ازدادوا كفرا خامسا هم اليهود. آمنوا بموسى اولا وكفروا به اذ عبدوا العجل ثم عادوا الى الأيمان به ثم كفروا بعيسى لما جاءهم ثم ازدادوا كفرا بمحمد ، وقيل ان المراد بهم المنافقون المعاصرون لنبي الأسلام فأنهم اظهروا الأيمان به بادئا عندما انتصر على قريش ثم كفروا عندما انكسر منهم فى وقعة احد ثم لما توالى انتصاراته عليهم عاودوا اظهار الأيمان به ثم اخذوا يحالفون اعدائه ثم ازدادوا كفرا به عندما مات وماتوا على الكفر فان امثال هؤلاء لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم حال حياتهم واستمرارهم على الكفر سبيل الرشاد لأنهم ليسوا حاضرين لذلك ولا مستعدين له و اطلاق البشارة على العذاب تهكم .

ثم عرفّ المنافقين بأنهم الذين يتخذون الكافرين اولياء لهم و يعرضون عن المؤمنين ثم يستفهم سبحانه استفهما انكاريا بقوله ايتغون عند الكافرين العزة و الظفر فان العزة بيد الله يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء فكم اطلاق بشامخ و كم شمع بسافل .



التفسير ج ٢ حرمة الاشتراك في مجالس الكفر والفسق ٣٠٨  
\* ( وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات  
الله يكفربها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم  
حتى يخوضوا في حد يث غيره انكم اذا مثلهم ان  
الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ) \*

قيل الأشارة بقوله وقد نزل عليكم في الكتاب ٠٠ الخ الى قوله اذا  
رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حد يث  
غيره و تشير الآية الى حرمة مجالسة الكافر وهو يبدى كفره و استنقاصه  
للأيمان و اهله و باتحاد الملاك تشير الى حرمة الأشتراك في مجلس  
يعصى الله فيه أما بغيبة او نميمة او ما يغرى بالجهل ويحيد بالأنسان  
عن طريق الفضيلة وان المؤمن اذا اشترك في امثال تلك و هـــــــــــــــــــــ  
المجالس كان مثل الكفرة في كفرهم و نظير الفسقة في فسقهم و انه  
لا مانع من مجالسة الكفرة اذا لم يتحدثوا عن الكفر و هكذا الفسقة بل  
كان الحديث حديث تجارة و نحوه .

و ان المسلم الذى يستمع الى هجو اخوانه المؤمنين من الكفرة  
و المنافقين و هكذا ذو الصلاح يستمع الى غيبة اخيه المؤمن او النميمة  
عليه او هجوه سيحشر مع المنافقين و الكافرين في جهنم لأنه مثلهم فى  
رضاه بعملهم و الأشتراك معهم فى مجالسهم و محادثاتهم .



\* ( الذين يتربصون بكم فأن كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم و نمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ) \*

هذه الآية من وصف المنافقين لعنهم الله حيثما يكونون ومعنى التربص هو تهيأة انفسهم لمحاولة الأمور ومجاريها حتى يسلكوا مع كل سبيل ما يليق به لأنفسهم و يروونه مؤمنا لرغباتهم فأن كان للمؤمنين فتح و نصر على الكافرين اظهروا التملق للمؤمنين بصورة بيان واقع و ذلك انكم تظنون بنا النفاق و عدم الصدق و الأخلاص فى الدين اما تروننا كيف خطونا خطوتكم و دافعنا دفاعكم حتى انتصرتم و انتصرنا على عدوكم و عدونا و ان دارت الدائرة على المسلمين وكانت بنفع الكافرين انتهزوا الدور وقالوا للكفرة الم نهيمن عليكم بأخافتنا للمسلمين منكم و اراعبننا لهم من قوتكم و شدة بأسكم و شكيمتكم فنحن الذين خذلنا المسلمين حتى انتصرتم عليهم فالنصر الذى احرزتموه فى الواقع لنا و نحن سببه الأوثق و بهذا منعناكم من المؤمنين فلم يغلبوكم ولو أننا شجعناهم و ضعفنا امركم عندهم لما انتصرتم و لكنت الغلبة لهم عليكم .

ثم ابان سبحانه ان هذه القضايا المحبوكة بحسب الظاهر والتى كل منها لها لسان و منطق لا يقضى فيها بين المنافقين و المسلمين الا الله العالم بالسرائر و موقع ذلك القضاء هو يوم القيامة .

ثم ابان عزوجل وجهة اخرى بأن منطق الكافر حتى فى عالم الدنيا مغلوب عند التحقيق لانه فاقد للحجة و الحجج دائما للمؤمنين على



الكافرين و ان انتصر الكافر مادياً فى بعض الأحيان على المؤمن  
 \* ( انّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم و اذا  
 قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا  
 يذكرون الله الا قليلا : مذذب بين بين ذلك لا  
 الى هؤلاء ولا الى هؤلاء و من يضل الله فلن  
 تجد له سبيلا ) \*

المنافق لاعتقده له بالله كالمرائى لأنّ الطرفين لو كانت لهم عقيدة  
 بموجود يعتقدون فيه علم الغيب و انه يعلم من السرّ ما يعلمه من  
 العلانية لما دلّسوا لكنّ الله نزل مخادعتهم للمسلمين و لنبىّ الاسلام  
 بمنزلة مخادعتهم له و اما مخادعة الله لهم فهو غصّ النظر عنهم فى  
 هذه النشأة و فضحهم يوم القيامة و هتك اسرارهم بين اهل المحشر .  
 و انما يقومون الى الصلاة كسالى لأنّهم لا يعتقدون بها و انما  
 يفعلونها تستترا من المسلمين لحفظ ظواهرهم و فعل الشىء عن غير  
 عقيدة به لا يكون عن نشاط قطعا .

يراؤن الناس يعطونهم ظاهر رؤية حسنة ولا يذكرون الله الا قليلا  
 اى فى المواطن التى يضطرون فيها الى ذكر الله لأنّ مجاملة الفرصة  
 السانحة يرونها لازمة و التذبذب هو الاضطراب و عدم الاستقرار على  
 لون واحد و هكذا حال المنافقين فأنهم فى تشعب ظواهرهم عن  
 بواطنهم ليسوا بكفرة خالصين لأن الكافر مصحر بكفره و عقيدته الكفر  
 ايضا و ليسوا بمؤمنين خالصين لان المؤمن كما يصلى فى الجلوة يصلّى  
 فى الخلوة و كما يتظاهر بالايان يكتنه فى نفسه ايضا .  
 و ضلال المنافق ضلال عمدى لاعن جهل و بساطة و لذلك قال فى



حقهم تعالى ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا ومعنى اضلال الله له  
 صرف لطفه عنه وعدم توجهه له و اذا انقطع توجه الله عن عبد استحالت  
 عليه الهداية لان الهداية مربوطة بالمعنويات التي لا تحصل للإنسان  
 الا بالتوجه الى ما وراء الطبيعة و ليس وراء الطبيعة غير الله .  
 \* ( يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من  
 دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم  
 سلطانا مبينا : ان المنافقين فى الدرك الأسفل  
 من النار ولن تجد لهم نصيرا ) \*

ضرورى ان الإنسان اذا اخلص المحبة لأنسان ابغض اعدائه  
 و احب اوليائه لان هذه الارتباطات طبيعية ومن هنا خاطب الله  
 المؤمنين بحرمة اتخاذ الكافرين اولياء بحقيقة هذه الكلمة نعم مجاملتهم  
 الظاهرية حيث تدعوا الأوضاع الصحيحة الى ذلك لا مانع منها وقد تزيد  
 هذه الحرمة شدة فيما لو اتخذ الكافر وليا واقعيا و انصرف عن المؤمنين  
 بالمرّة فأن مثل هذا الإنسان لا دين له و لذلك خاطبهم سبحانه بقوله  
 اتريدون ان تجعلوا الله عليكم سلطانا بالحجة و اقامة الدليل بما  
 تفتضحون به فالمراد بالسلطان هنا سلطان المنطق لا سلطان التكوين  
 فأن الله سلطان على كل كائن رضى و خضع بالقول لسلطانه ام ابى  
 و تمرد بحسب ما يظهر عليه .

و جاء بعلّة ثانية للمؤمنين بعدم جواز اتخاذهم للكافرين اولياء  
 بأن المنافقين وهم الكافرون فى لبّ الواقع فى اسفل طبقات جهنم مكافئة  
 لهم على خبثهم العميق و عداوتهم العريق حيث لا يجدون ناصرا ينتصر  
 لهم او مساعدا يعضدهم .



\* ( الآ الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا  
 د ينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين  
 اجرا عظيما : ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم  
 وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ) \*

الأستثناء بقوله الآ الذين تابوا من قوله ان المنافقين يعنى ان  
 الإنسان قد ينافق وقد يفسق وقد ينحرف ويصدر عنه كل شىء وهو نفسى  
 حينه مذموم قطعاً الآ ان له طريق نجات بتوبته واصلح ما فسد من امره  
 و ترميمه لما خرب على نفسه و رجوعه الى الله من صميم قلبه و اعتصامه  
 بالله وحده و اخلاصه لدينه الذى كان يدين به فاذا سلك هـذا  
 الطريق و استمر عليه فحشره يكون مع المؤمنين وماذا يؤتى الله المؤمنين  
 غدا قال يؤتيهم اجرا عظيما فالثواب الذى يصفه سبحانه بالعظمة جسيم  
 جدا .

ثم انه سبحانه ابان جهة قبوله للتوبة و غسلها للدرن السابق بأن  
 الله لا حاجة له بعذابكم ايها المنافقون اذا تبتتم و شكرتم انعم الله  
 عليكم و آمنتم به و بقوانينه و شرائعه مضافا الى ان الله مع غناه عن كل  
 شىء شاكرا لعبده القائم بوظيفته عليهم بما صدر منه من قليل و كثير نفسى  
 سر و فى علانية .



\* ( لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الآ من ظلم

وكان الله سميعا عليما : ان تبدوا خيرا او تخفوه

او تعفون سوء فأن الله كان عفوا قديرا ) \*

الأستثناء بقوله الآ من ظلم منقطع شبيه متصل و توضيح اتصاله بهذا اللون ان الله لا يجيز لأحد ان يجهر بقول سوء كغيبية و سوق كلام مجّ خفيف الآ لمظلوم ظلمه انسان فهو بجهره بقول سوء فيه يريد ابداء ظلامته بان يقول فلان اكل حقى او غضبى مالى او تعدى علىّ او شتمنى و نظير ذلك فأنه جائز وهو من موارد جواز غيبة المسلم ولو لم يكن فاسقا متجاهرا بفسقه وكان الله سميعا لما يقوله هذا الجاهر عليما بمقاصده و خباياه هل انها عن داع مشروع او بداعى حسد و عداة و رقابة و نظير ذلك .

ثم اردف ذلك بما هو من ملاكه فقال ان تبدوا خيرا من قول او عمل او تخفوه عن الناس او تعفوا عن سوء و تصفحوا فأنكم تأسيتم بالله فى مقام العفو عن المسيء و انتظرتم جزاء الله لكم عن فعل الخير الذى فعلتموه لأجل الله و لأجل الضمير فان الله قد ير على مكافئتم باكثر مما تأملون .



\* ( انّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا : اولئك هم الكافرون حقاً و اعتدنا للكافرين عذابا مهينا : والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجرهم وكان الله غفورا رحيمًا ) \*

الكفر بالله يكون على نحوين مرّة بالألحاد به والنكران له و اخرى بالأعتقاد به عقيدة فاسدة كجعل شريك له و تجسيمه و انه يلد او يولد و نظير ذلك .

و الكفر بالله هنا من المقولة الثانية لا المقولة الأولى لان سياق الآية ينافية بمعناه الأول أمّا الكفر بالرسل وهو انكارهم مع الأعتقاد بالله فممكّن لغير المتعمقين فى معنى الواجب وما يلزمه من طريق تبسّط العقول و اعتباراتها الصحيحة و معنى يريدون ان يفرّقوا بين الله ورسله يشير الى ما افدناه قريبا من الاعتراف بالله وحده و الأنكار للرسالة أمّا مطلقا او لبعض الرسائل الثابتة دون بعض و انما اطلق على ذلك معنى الكفر لان الاعتراف بالله من لازمه الاعتراف ببراهينه التى يقيمها على صدق انبيائه و انكار ذلك فيه نوع من الاستلزام لنكرانه هو تعالى بالمرّة

و يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض يحتمل ان يراد به نؤمن بالله وحده و نكفر بالمدعيين للرسالة او نؤمن ببعض الأنبياء و نكفر ببعضهم ولا نراهم واقعيين و يريدون بأيمانهم بالبعض و كفرهم بالبعض ان



يتخذوا سبيلا بين الاعتراف بالله و نفي من ادعى النبوة او بيّن  
 الاعتراف ببعض الأنبياء و الكفر ببعض الآخر منهم .

اولئك الذين يحملون هذه الروح التى تفكك بين حلقات السلسلة  
 الواحدة هم الكافرون حقاً لأنّ ايمانهم ببعض مما يستدعيهم للايمان  
 ببعض الآخر فالتفكيك بين ابعاض الحقيقة نوع من الكفر القائم على  
 الجهل بالموازن العلمية .

و توعّد سبحانه كل كافر ومن جملة الكفرة من اشار اليهم بأنه هيّا  
 لهم عذابا يهينهم حتى فى نظر انفسهم فضلا عن نظر الأغيار، أمّا  
 الذين قادهم الأيمان بالله الى الأيمان برسله جميعا ولم يفرقوا بين  
 احد منهم فيؤمنوا ببعض و يكفروا ببعض فأولئك سوف يؤتيهم  
 ما يستحقون من اجر الأيمان و العمل على طبقه وكان الله غفورا لما يبدر  
 منهم من سيئات تتعقبها التوبة رحيمًا بهم عطوفا عليهم لأنهم عباده .



\* ( يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جائتهم البينات فحفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ) \*

المراد بأهل الكتاب هنا هم اليهود بسبب السياق ولا شك ان القرآن واقعا وعند كل من له عقيدة به نازل من السماء و انما سأل اليهود ان ينزل عليهم محمد كتابا من السماء لبتشكك منهم فى سماويته فأرادوا منه لأجل تثبيت الأيمان به فى قلوبهم ان يروه بأعينهم كيف يصعد امامهم الى السماء بجسده و ينزل و بيده كتاب مكتوب حتى لا تبقى فى انفسهم ظنة منه وطبعا ما سألوه منه فيه نوع من الأعجاز وانما لم يجابوا اليه لأن فعل المعجز ليس الى رغبة المكلف بل ارادته وفعله مربوطان بالله سبحانه حسبما يراه من المصلحة والحكمة فأن العامى قد يريد السخائف بلون المعجز و ليس لزوما على الله ان يجيبه الى ما اراد بل عليه ان يفعل من المعجزات ما يتوافق مع المصلحة والحكمة و القرآن من هذا القبيل .

و دليل اعجازه تحدّيه فهلا تحدّاه اليهود حتى يبطلوا دعوة النبيّ المستند اليه المعترّ به و لذلك قال سبحانه فى مقام التسلية و التخفيف عن عاطفة النبيّ ما مفاده ان القوم ان يسألوك ان تعرج بجسدك الى السماء و تنزل عليهم على منظر منهم و بيدك كتاب من السماء يشهد بنبوتك و صدقك و لزوم الأخذ بمضامينه فلا عليك من هذا السؤال فانه للتعنت منهم و هذا قرآنك سماوى من اعلا طراز و قد



تحد يتهم به فلم يأتوا بشيء في معارضته وان لهؤلاء القوم سوابق  
 سخيفة مع نبيهم موسى فإنه لما اخذ السبعين المختارين من قومه معه  
 الى ميقات ربه و انزلنا عليه و بمشهد منهم الواح التوراة طمعوا فيها  
 لاطماعية فيه فقالوا ارنا الله عيانا نراه بأحد اقنا كما رأينا الألواح و كما  
 نراك مواجهة فأنزلنا عليهم نارا من السماء احرقتهم و بشفاعه و تضرع  
 من موسى اعدنا لهم حياتهم و هؤلاء هم لم يكتفوا بالآيات العظيمة  
 التي رأوها بأحد اقمهم من عصا موسى و يده البيضاء و آخرها قبل  
 عبادتهم العجل انفراق البحر لهم بتلك الصورة المدهشة و التهام  
 البحر لفرعون و جنوده حتى اذا مروا بعجل و وجدوا في الجهلة من  
 يعبده لووا رؤسهم عن كل ما سلف و اشتروا مع هؤلاء الأنعام في  
 عبادته .

و لما تابوا في قصة مضي القول فيها سابقا عفونا عنهم و آتينا موسى  
 من الآيات البينات و الحجج القواطع ما به سلطانه على كل مخاصم و مع  
 ذلك وجد من اعنات هؤلاء ما وجد فتأس بسلفك موسى ولا تغتم مـ  
 يعرض لك من هؤلاء



\* ( ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا  
الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت  
وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ) \*

هذه الآية من تمام سابقتها فى استطراد وقائع اليهود مع موسى  
وتلويهم عليه ومعارضتهم له فى حال ان المجارى التى ارادوها قد  
امتت لهم كما طلبوا ، و الطور اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى  
وانزل عليه التوراة فيه فلما انزلت التوراة على بنى اسرائيل بطلب منهم  
بعد اغراق فرعون وجنوده ونجاح الامور بنفعهم وعرض الواحها على  
السبعين النقباء الذين كانوا معه فى الطور ابوا العمل بها و ارادوا  
فيها حذفاً و زيادة هناك امر الله ان يظلل بالطور ويرفع على رؤسهم  
فأن وفوا بما اعطوا من الميثاق سابقا رفع عنهم العذاب والآن أسقط  
عليهم مجازاة لتمردهم و تذبذبهم وتعنتهم المقيت .  
وهذا ما اشار اليه بقوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اى بسبب  
توثقنا منهم قبل انزال التوراة بالعمل بمضامينها متى انزلت ، ومن بعض  
تعنتات هؤلاء القوم ان موسى و هارون لما اختارهما الله اليه بالوفاة  
تكلف تسيير بنى اسرائيل الى الأرض المقدسة يوشع بن نون و كان الله  
سبحانه الزمهم عند دخولهم لبيت المقدس او لأريحا ان يسجدوا على  
مدخل القرية شكرا لله الذى اعادهم الى اوطانهم سالمين منتصرين  
وان يدعوا الله فى حط ذنوبهم عنهم فبدل الذين ظلموا قولاً غير  
الذى قيل لهم وقالوا بدل لفظة حطة حنطة حمراء بمعنى اننا من بعد  
التيه و سآمتنا من المن والسلوى انما تهمننا الحنطة الحمراء نأكلها  
لاحظ الذنوب عنا .



كما أنّ من بعض تعنتاتهم صيدهم الحيتان في يوم السبت وقد نهوا عن ذلك وأخذ منهم ميثاق غليظ به وهو كناية عن التأكيد في التحريم وتشديده اختبارا لطاعتهم من معصيتهم وقد سلف القول عن هذه النكات في سورة البقرة .

\* ( فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حقّ وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا : و بكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم الا اتباع الظنّ وما قتلوه يقينا : بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما ) \*

ما — في قوله ، فيما — زائدة للتأكيد و اصل الكلام فبنقضهم والمراد بالميثاق عموم المواثيق التي اعطوها او اخذت منهم في عالم التكليف فان بنى اسرائيل من لدن موسى ما وفوا بميثاق اخذ منهم تكليفا او اعطوه من تلقاء انفسهم والمنظور بكفرهم بآيات الله تمردهم عليها وعدم توجههم لها نظير عبادتهم للعجل عقب انفراق البحر لهم و سلوكهم فيه كسلوكهم في جواد الأرض وقتلهم للأنبياء نظير ما ارتكبه من قتل يحيى و زكريا وقولهم لمن يلحّ عليهم بالتأنيب والتفنيد على معاصيهم وتلوّيبهم على اوامر الله و رسله ان قلوبنا مغلفة لا تفقه ولذلك تكثر منا الانحرافات فكذبهم الله في هذه الدعوى وقال بل هم اناس



متمردون اخبث يعرضون عن الحق و الحقيقة تعمدا و تقصدا .  
 و لأجل اعراضهم الجدى عن الله اعرض الله عنهم فانطبع على  
 قلوبهم بما حجب ورود الحق اليها و انطباعه فيها فلا يؤمنون للواقع  
 الا فترة قليلة ثم يعرضون عنه او فلا يؤمن للواقع من افراد هم الا القليل  
 سواء فى السابق ام فى اللاحق كالأفراد الذين آمنوا بنبى الأسلام  
 منهم .

و المراد بقوله و بكفرهم هو كفرهم المتنوع سواء كان بأصل بعض المبادئ  
 الثابتة من السماء ككفرهم بالله بنسبة الولد له او بعبادة العجل مع  
 الدينونة له بالربوبية و كفرهم بالمسيح بن مريم و بمحمد بن عبد الله  
 و نظير ذلك من انواع الجحود للواقع، و قولهم فى حق مريم و حملها  
 البهتان العظيم الذى يشق سماعه فان الذى اتهموها به هو يوسف  
 النجار و كان من الصالحين المعروفين بذلك وهى ذاتها من المقدمات  
 المعروفة بالعقّة و القداسة .

و قولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله و جائهم الذم  
 لهذا القول من نوحى (منها) تمجدهم بقتل الأنبياء ولا اعظم موبقة  
 من ذلك (ومنها) كذبهم فى هذا القول وعدم تحققهم من مفاده لأنهم بعد  
 حدوث الحادثة كما سيجىء شكوا فى وقوع القتل على عيسى (ومنها)  
 وصفهم عيسى بانه رسول الله استهزاء بمعنى ان ادعائه للرسالة تزوير  
 و كذب و يجوز ان يكون قول رسول الله مقولا لله فقط و الذى هو مقولهم  
 (المسيح عيسى بن مريم) لا اكثر .

ثم ان الله زيف مدعاهم بأنهم قتلوه و صلبوه بعد قتله فقَالَ  
 و ما قتلوه هو بنفسه و ما صلبوه و لكن قتلوا و صلبوا من كان يحمل شبه  
 عيسى و ان الذين اختلفوا فيه اى فى الأقدام على قتله و عدم الأقدام



عليه او اختلفوا في هويته انه كان هو الربّ او ابن الربّ او بعيث الربّ لفي شكّ من قتله اذ لم يتحقق لديهم انه المقتول واقعا لأ لتباس الأمر عليهم بعد وقوع الواقعة ما لهم بقتله الواقعي من علم نعم انما يملكون التخرّص في ذلك .

قوله وما قتلوه يقينا يجوز في معناه ان يكون بعنوان الردّ على ظنهم بقتله او شكهم فيه بأنهم لم يقتلوه قطعاً وانه حتى سالم جزماً كما يجوز ان يكون بمعنى انهم لم يتيقنوا من قتله وانما هو الظنّ به وقوله تعالى بل رفعه الله اليه ردّ حتمى لكل من اشتبه امر عيسى عليه و كان الله عزيزاً لا يغالب حكيماً يوقع الأمور في مواقعها .

جاء في الأثر ان اليهود تجمّعوا و تعاقدوا على قتل عيسى فبعث الله تعالى جبرئيل ليمنعه منهم و يعينه عليهم فأدخله جبرئيل في خوخة البيت و لها روزنة في سقفها فرفعه الى السماء و ارسل اليهود واحدا منهم ليدخل عليه البيت فيقتله فدخل و لم ير احدا فألقى الله عليه شبه عيسى فلما ايس من وجود احد في البيت خرج على اصحابه فظنوه عيسى خرج فاراً من صاحبهم فقتلوه و انتظروا خروج صاحبهم فلم يكن شيء فدخلوا فلم يجدوا احدا فارتابوا و قالوا ان كان المقتول عيسى فأين صاحبنا و ان كان المقتول صاحبنا فأين عيسى .

و الجمع بين قوله تعالى لفي شكّ منه و قوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن حيث عبر سبحانه أولاً بالشكّ و ثانياً بالظن - ذلك - لأنهم شكوا بادئاً و بعد ترويضهم غاية ما حصل لهم الظن بقتله و للتالي لم يحصل لهم علم بقتله و استثناء الظن من العلم استثناء انقطاع اذ ليس من جنسه الا اذا توسعنا فأطلقنا العلم على ما هو اعم من الظن . و على الأنقطاع يكون المعنى ما لهم به علم وانما اعتمدوا في قتله



اتباع الظن و يتعلق قوله فيما نقضهم بمحذوف يستفاد من مجرى الحدِيث عنهم و تقديره لعناهم بسبب نقضهم ميثاقهم الى آخر المعطوفات .

\* ( و ان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته

و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا ) \*

اقرب الوجوه مّا قيل فى هذه الآيّة ان الضمير فى به و موته يرجع للمسيح ابن مريم و يكون مفاد الآيّة وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح و المسيح كما ورد فى مستفيض الروايات ينزله الله الى الأرض وقت خروج المهدي آخر الزمان و يصير الناس كلّهم على ملة واحدة هى الإسلام و المسيح نفسه صلى خلف المهدي ، وجاء فى الأثر عن ابى حمزة الثمالى عن شهر بن حوشب قال قال الحجاج بن يوسف آية من كتاب الله قد اعيتنى فهما وهى قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآيّة و الله انى لا امر باليهودى والنصرانى فتضرب عنقه ثم ارمقه بعينى فما اراه يحرك شفثيه بشىء حتى يحمل فقلت اصلح الله الأمير ليس على ما اولت قال فكيف هو قلت ان عيسى ابن مريم ينزل قبل يوم القيامة الى الأرض ولا يبقى اهل ملة من يهود و نصارى وغيرهم الا و يؤمن به قبل موت عيسى و صلى خلف المهدي قال ويحك انى لك هذا قال قلت حدثنى به الباقر محمد بن على بن الحسين بن على قال جئت بها و الله من عين صافية .

و المراد بقوله يكون عليهم شهيدا ان عيسى يشهد على اهل الكتاب بايمان من آمن به و تكذيب من كذبه فى دور رسالته .



\* ( فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات  
احلت لهم و بصدّهم عن سبيل الله كثيرًا :  
واخذهم الربا وقد نهوا عنه و اكلهم اموال  
الناس بالباطل و اعتدنا للكافرين منهم عذابا  
اليما ) \*

ومفاد ذلك ان اليهود بظلمهم الواسع و ارتكابهم للمعاصي  
الكثيرة بما تقدّم نموذج منه سبّبوا على انفسهم توسيع دائرة الحرام  
عليهم و تضيق منطقة الحلال و الطيبات التي كانت حلالا لهم ثمّ  
حرّمت عليهم هي ما اشير اليه بقوله تعالى و على الذين هادوا حرمنا  
كل ذى ظفر و من البقر و الغنم حرّمت عليهم شحومهما الا ما حملت  
ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم و اتّنا  
لصادقون ( الآيّة ١٤٥ من سورة الأنعام ) و بقوله تعالى و بصدّهم عن  
سبيل الله ٠٠ الخ اشار الى عدة اخرى من معاصيهم و مظالمهم و معنى  
صدّهم عن سبيل الله اغوائهم للناس عن الحق الى الباطل الذى  
يستدقونهم و اتّهم كانوا ربويين تسوقهم الأطماع الماديّة الى ملابسة  
هذا العمل المنفور شرعا و وجدانا و انهم كانوا لا يتحاشون فى سبيل  
اقتناص المادة اكل السحت من الرشا فى مقام القضاء و تحويرهم كتاب  
الله بما كانوا يكتبونه بأيديهم و ينسبونه للسماء من اجل دواعى خاصة  
تستدرّ لهم المال الى غير ذلك من مظان اكل مال الناس بالباطل .  
ثم تهدّدهم سبحانه بأنّه هيا للكافرين منهم عذابا مؤلما موجعا  
لتبدّل افراحهم فى الدنيا اتراجا قاسية فى الآخرة ، و يتعلق قوله  
فبظلم من الذين هادوا بقوله حرّمت عليهم و قد يكون متعلّق بصدّهم



هو ذلك و يحتمل غيره مما يناسب كتقدير لعناهم او اعتدنا لهم عذابا  
اليما .

وقوله و اعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما وان اختص بالكافر الآ  
انه لا يفهم منه ان غير الكافر منهم ولو كان فاسقا لاعتدب عليه اذ لا حصر  
فى العبارة و السياقات السابقة و اللاحقة قاضية بتعذيب الفاسق منهم  
كالكافر وان تفاوت الفريقان فى كم العذاب و كيفه .

\* ( لكن الراسخون فى العلم منهم و المؤمنون  
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك  
و المقيمين الصلاة و المؤتون الزكاة و المؤمنون  
بالله و اليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما ) \*

الراسخ فى الشىء الثابت فيه و المقيمين الصلاة عطف على  
الراسخون وكان من حقه ان يرفع على التبعية و لكن نصب على المدح  
بتقدير و امده المقيمين الصلاة فكانت هذه الجملة شبه اعتراضية ،  
و النصب على المدح وارد فى كلام العرب و انشد سيبويه وغيره على  
ذلك قول الجاهلى :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة و آفة الجزر  
النازليين بكل معترك و الطيبون معاقد الأزر

و الأستدراك بلكن مما سلف من استنقاص اليهود و ذمهم بشتى  
الصفات المرذولة يعنى ان فى اليهود اناسا راسخين فى العلم افاضل  
لم يدوسوا علمهم تحت ارجلهم نظير اولئك الذين آمنوا بنبيّ الأسلام  
كعبد الله بن سلام و لذلك آمنوا بك كما آمن بك المؤمنون و بما انزل  
اليك من القرآن و ما انزل من قبلك من كتب السماء فأنهم يرون ان



المحور واحد وهو الله و الكتب السماوية الحقّة كلها من عنده ، وانما خصّ سبحانه اقامة الصلاة بمزيد من العناية لأهميتها فى نظره بالنسبة الى غيرها من الفرائض و الأشارة بأولئك للفريقين من الراسخين فى العلم من اليهود ومن المؤمنين بنبيّ الأسلام وما انزل اليه والى من قبله .

\* ( انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح و النبيين من بعده و اوحينا الى ابراهيم و اسماعيل و اسحاق و يعقوب و الأسباط و عيسى و ايوب و يونس و هارون و سليمان و آتينا داود زبوراً ) \*

الزبور فعول بمعنى مفعول والمزبور هو المخطوط و المكتوب و الأسباط جمع سبط وهو الحفيد وكل من تفرّع من يعقوب فهو سبطه ومن جملتهم المذكورون بنصّ اساميهم و انما خصّهم بالذكر دون من سواهم لاحتمال مزيد التشريف لهم و الترتيب فى الذكر لاربط له بترتيب الواقع فان داود قبل سليمان فى سلسلة الترتب و هكذا هارون قبل عيسى الى غير ذلك .

اراد سبحانه بهذه الآية وبتاليها ان يبين له صفحة عن الواقع الماضى ليعطيه علما به وليوقفه على جملة من حلقات سلسلة الأنبياء وان الهدف منهم الوساطة بين الله وبين عباده لأجل تعليمهم و اخراجهم من الجهل الى الفضل و اقامة الحجّة عليهم .



\* ( ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم  
نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما : رسلا  
مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله  
حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا ) \*

انتصب رسلا على انه مفعول لفعل محذوف متصيد من الكلام  
تقديره و ارسلنا رسلا آخرين غير من استطردنا اسمائهم قد قصصنا  
ذكرهم عليك في غير هذا الموضع من القرآن .  
قوله من قبل ، اى قبل هذه السورة من السور القرآنية السابقة  
النزول عليها من مكية و مدنية ، و ارسلنا ايضا رسلا لم نقصصهم عليك في  
القرآن كما ورد في جملة من الآثار ان مجموعة الأنبياء تبلغ مائة الف  
و اربعة وعشرين الف نبى و لم نغفل اسمائهم استهانة بهم حاشا و لكن  
في ذكرهم طول لا يتناسب مع اهداف القرآن و اختصاره .  
و باعتبار ان موسى عليه السلام لم يذكر في الآية الآنفه باسمه  
الصريح وهو من اعظم الأنبياء و الرسل ذكره بعنوان خاص شامخ فقال  
وكلم الله موسى تكليما اى هو نبى كلمه الله مباشرة في بعض ادوار نبوته  
اعلاء لشأنه ، قوله رسلا مبشرين و منذرين حال من رسلا السابقة بمعنى  
ارسلنا رسلا مقصودين عليك و غير مقصودين حال كونهم رسلا مبشرين  
بالنجاة و النعيم لمن اطاع و منذرين بالهلاك و الجحيم لمن عصى  
و انحرف ، و اللام في لئلا تعليلية بانته جهة الأرسال و انه عن اى داع  
كان فقال لئلا يكون للناس على الله حجة حينما يقول لهم في الحساب  
لم ضللتكم عن اى داع انحرفتم فيقولون لا هادى لنا ولا مرشد و الإنسان  
بمفرده و مجردة لا يستطيع الهداية الى ما تريد ه انت يا ربنا ، وكان الله



عزيزا يعنى يعتز بنفسه عن الأيقاع بهم من دون اقامة حجة حكيما فى

ارساله للرسل هم وما يتناسب من ذهنيات وصلاحيات اجيالهم

\* ( لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه

و الملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ) \*

ورد فى الآثر ان جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله فقال

لهم انى و الله اعلم انكم تعلمون انى رسول الله قالوا ما نعلم ذلك

فأنزل الله لكن يشهد الله و مضمون ما جاء فى هذا الأثر سبق فى

آيات عديدة من تكذيب اهل الكتاب لنبيّ الأسلام و الحال انهم عالمون

بنبوته من طريق ما انزل اليهم فى كتبهم ، و شهادة الله بصحة القرآن

ونزوله على نبيّه قائمة باعجاز القرآن نفسه فانه شاهد متكلم على انه كتاب

سماوى و ليس من خلقه بشر و تحدّيه بذلك من اعظم الشواهد

و معنى انزله بعلمه انزله بما يعلم من الواقع و ليس من احد يعلم

بالواقع كما يعلمه الله ، وهكذا يشهد ملائكة الله بصدق وصحة ما انزله

اليك لأنهم وسطاء فى ذلك بين الله وعباده الأنبياء منهم و غير الأنبياء

فهم اطلع من كل احد بهذا المشهود به وكفى الله شاهدا لانه اصدق

الصادقين



\* ( ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا

ضلالا بعيدا : ان الذين كفروا و ظلموا لم يكن

الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا : الا طريق

جهنم خالدين فيها ابدًا وكان ذلك على الله

يسيرا ) \*

ان الذين كفروا بكل ما يرجع لما وراء الطبيعة او كفروا بشيء من اصول ذلك كالنبوة او بعض عمدها وصدوا الأغيار بالأغواء عن سبيل الله وحقروا الدين في نظرهم وزهدوه في ابصارهم وقالوا لا ينفذ الإنسان في قليل ولا كثير وانما ذلك تسويلات فمثل هذا الرقم من المخلوق قد ضلوا عن الواقع ضلالا بعيدا اى متجاوزا عن كافة الحدود . ان الذين كفروا في انفسهم وظلموا غيرهم بسد السبيل المستقيم في وجهه وماتوا على هذه الروح لم يكن الله ليغفر لهم لانه لا مغفرة لمشرك او كافر ولا ليهديهم طريقا بعد ان هدى الناس قاطبة بالرسالات العامة والخاصة الى كافة اجيال البشرية والجاحد المتمرد المتعنت اللوى لوجهه و لقلبه ليس محلا للأقبال عليه .

و استثناء طريق جهنم من قوله ليهديهم طريقا استثناء نقيض من نقيض لان الطريق المستثنى منه يراد منه طريق الخير واما طريق الشر فلا تحتاج الى هداية لأنها طريق الأنفس الجاهلة بحكم طبيعة الجهل والخلود يدل على الأبدية وانما جىء معه بلفظ ابدًا تأكيدا له و تثبيتا لمفاده بان امثال هؤلاء العتاة لا مخلص لهم من العذاب وهو جزاؤهم الملازم لهم كما لازموا الكفر طوال حياتهم وكل انواع العذاب كأنواع النعيم سهلة التحقق من جانب الله لأنه اقدر القادرين .



\* ( يا ايها الناس قد جائكم الرسول بالحق من ربكم  
فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما فى السموات  
و الأرض وكان الله عليما حكيمًا ) \*

بالحق معناه بما هو ثابت فى لوح الواقع حيث لامرية فيه ولا شك  
يعتريه خلافا لما يجيء به الأفراد من طريق عقولهم وآرائهم فأن فيه  
من الخطأ الشىء الكثير والذى جاء به هذا الرسول هو من الله  
سبحانه لا من كيسه فانه بما هو بشر كالسائرين وان بلغ فى تهذيب نفسه  
ما بلغ فآمنوا ايها الناس بالله وبالرسول وبما جاء به من عنده يكن  
ايانكم خيرا لكم فى الدين والدنيا فى النشأة الأولى والأخرى وجهة  
كونه خيرا ان المؤمن يكون جامعا لكافة الصفات المثمرة من الجـد  
والأخلاق والصدق والوفاء والشجاعة والثبات والعلم والعـز  
والمفاداة وكل من يكون كذلك يكون من السعداء حقيقة وان تكفروا  
وتلحدوا بالله فلا يخيل لكم انكم تنقصونه او تحطون من قدره فأن لله  
جميع ما فى السموات والأرض وكان الله عليما بكل شىء يكون منكم حكيمًا  
فى كل اقواله وافعاله .



\* ( يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على  
الله الآ الحقّ انما المسيح عيسى بن مريم رسول  
الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله  
ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله  
اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى  
السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيفا ) \*

الغلوّ هو سوم الشىء غاليا متجاوزا الى فوق بالنسبة الى  
ما يستحقه سواء فى ذلك الماديات و المعنويات وسياق الآيه مشعر بأن  
المراد بأهل الكتاب هم النصارى وانما نهاهم عن الغلوّ فى دينهم  
لأنهم خرجوا بعقيدتهم فى المسيح عن الموازين المعقولة فلم يقتصروا  
على كونه نبيا وسيطا بين الله وعباده كموسى و ابراهيم ونوح فتارة عبّروا  
عنه بأنه الربّ واخرى بأنه ابن الله وثالثة تطوّر بهم الوضع فاعتبروا الله  
وجودا واحدا متشكلا من ثلاثة اجزاء الأب و الابن و مريم ولا شك ان  
مثل هذه الوحدة وحدة صورية لا قيمه لها والحقيقة تتبع الأجزاء العمد  
القائمة بهذه الهويّة القابضة بهيأة الواحد و لذلك امرهم ان لا يقولوا  
على الله الآ الحق يعنى الثابت فى صفحة الواقع من كون واجب الوجود  
يجب ان يكون مجردا عن المادة بسيطا لا شائبة للتركيب فيه ومثل هذا  
الوجود يستحيل فى حقه تصوّر التركيب او المادّية اللازمة لكونه والدا  
او مولودا انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله لانه ولده ولا انه هو  
الربّ ولا انه من العناصر الموجده لهويّة الربّ ولفظ المسيح مرفوع  
بالابتداء و عيسى بدل منه وابن مريم وصفه وخبر المبتدأ قوله رسول الله  
وكلمته معطوف على رسول الله وروح منه كذلك .



ومعنى كونه كلمة الله انه محصول قوله تعالى كن اللفظ المعرب عن الارادة الجدّية لكونه وجوده ومعنى القاها الى مريم ان ظرف هذه الكلمة و المحمل الذي يتجسد معناها فيه هي امه مريم ومعنى كونه روحا منه انه روح كسائر الأرواح بجامع مخلوقيتها لله وميزته انه لم يحصل بالتوالد الطبيعي فكان كنفثة خاصة من الله فأمنوا ايها النصارى بالله كما هو حقّه و آمنوا برسله باعتبارهم رسلا و وسطاء بين الله و عباده لانهم آلهة ولا تقولوا الله ثلاثة انتهوا عن هذه المقالة الخاطئة يكن خيرا لكم انما الله اله واحد بالوحدة الحقيقية لا التركيبية يجلّ وينزّه عن ان يكون له ولد او والد او مزيج مركب انما هو واجب الوجود خالق الكائنات بأسرها له كل مافى السموات وكلّ مافى الأرض وكفى به وكيفا لمخلوقاته يتحرى لهم الأصلح و الأنجح .



التفسير ج ٢ المسيح والملائكة لا يستنكفون عن العبودية لله ٣٣٢

\* ( لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا  
الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته  
و يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا : فأما الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم اجرهم و يزيدهم  
من فضله وأما الذين استنكفوا و استكبروا  
فيعدّ بهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون  
الله وليا ولا نصيرا ) \*

الأستنكاف هو الأنفة وسمى المسيح بهذا اللفظ لأنه مسح من  
الدنيا و العيوب و الذنوب والحشر هو الجمع ومورد نزول الآية قيل فيه  
ان نصارى نجران قالوا لنبيّ الأسلام لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم  
قالوا عيسى قال وائى شىء قلت فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله  
فأجاب القرآن عن ذلك بأن المسيح الذى هو مخلوق لله لا يأنف ان  
يكون عبد الله فان المخلوق بمادته ومعناه مملوك لخالقه وكذلك لا يأنف  
الملائكة المقربون عند الله لعبادتهم وطاعتهم ان يكونوا عبيدا لله فأن  
المخلوق عبد كما اسلفناه .

ويبدو من الآية ان الملائكة افضل من الأنبياء لان مثل هذا  
التعبير يترقى فيه من الأدنى الى الأعلى الا ان هذا الأنصراف بدوى  
ويصحّ المعنى بدونه ومن يستنكف عن عبادة الله ويستكبر فسيحشرهم  
اليه و الضمير فى اليه يرجع الى المكان الأختصاصى به تعالى وهو عالم  
النشأة الثانية المتمحضة له كما قال مالك يوم الدين .

ولفظهم يشمل الخلق كلهم لا المستنكفين فقط ولذلك فى مقام  
التفضيل قال فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم اجرهم يعنى



يعطيهم ما تستحقه اعمالهم ويضيف الى ذلك تفضلا منه ما يشاء من اجر وثواب واما الذين أنفوا وتكبروا واعتزوا بأنفسهم فى حال انها لاشيء فى انفسها فضلا عن قياسها الى خالقها فيعذبهم عذابا الينا ولا يجدون لهم من دون الله اى كائن ومهما عظم وليا يقف دونهم وينصرهم فان الكائنات كلها لا تملك اية عظمة امام الله سبحانه .

\* ( يا ايها الناس قد جائكم برهان من ربكم و انزلنا اليكم نورا مبينا : فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهدىهم اليه صراطا مستقيما ) \*

الأشارة بالبرهان هنا الى نبي الأسلام وان كان كل نبي برهانا من الله لانه حجة على امته/ولسان ناطق عن الله اليهم والنور المبين هو القرآن لانه يوضح للبشرية طرق سيرها فى انفسها وبالمجتمع الذى تعيش فيه فأما الذين آمنوا بالله ومن لازم ايمانهم به ايمانهم بنبي الأسلام لانه بعينه وسيطه واعتصموا به اى تمسكوا وفوضوا امورهم اليه وتولكوا عليه فسيجازيهم الجزاء الأوفى وهو ادخالهم فى رحمة منه وفضل يسبغه عليهم ويزيدهم هدى الى سلوك طرق الرشاد فان الصراط المستقيم المنجى و المنجح لا يعرفه الا الله العالم بأسرار كل شىء وخفيايه .



\* ( يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك

وليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك وهو يرثها

ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما

الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء

فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين لكم ان تصلوا والله

بكل شيء عليم ) \*

اسلفنا في تفسير اول السورة ان الكلالة في لسان القرآن انما استعملت في اخوة الميت لا في غيرهم من ارحامه وان الكلالة على نوعين نوع منها ان كان ذو الكلالة واحدا ذكرا كان ام انثى فانه يرث السدس وان كان اكثر من ذلك فانه يرث الثلث بلا تفاضل والنوع الآخر هو المذكور هنا وهو ان الكلالة ان كان اختا واحدة فلها نصف ماترك وان كانت الأختان اثنتين فلهما ثلثا ماترك بالسوية بينهما وان كان ذوو الكلالة مختلطين رجالا ونساء فيرثون بالتفاوت للذكر مثل حظ الأنثيين وتشخيص الكلالتين انما هو الى السنة فقد عبرت عن الكلالة الأولى بأنها كلالة الأم وعن الثانية وزعتها الى نوعين كلالة الأب فقط وكلالة الأبوين وكلالة الأب وحده لا ترث مع كلالة الأبوين لأن الثانية اقرب الى الميت واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض نعم كلالة الأم ترث مع كلتا الكلالتين ونصيب الكلالات الثلاث ما ذكرناه ولا يجوز التعصيب هنا ولا في غيره من موارد الأثر وان اشتبه الأمر على ابن الخطاب ففعل فانه ورث البنت الواحدة للميت نصفًا واخته نصفًا زعمًا منه ان الله في القرآن ذكر للبنت الواحدة النصف فاذا اخذته بقى نصف آخر والمفروض ان له اختا والقرآن صرح للاخت الواحدة بالنصف



فتعطى النصف الثانى وهو غلط من ناحيتين الناحية الأولى ان الله قال ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلهما نصف ماترك فعلق ميراث الأخت على عدم الولد للميت و البنت ولد فلا ترث الأخت معها  
الناحية الثانية ان الله قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله و البنت اقرب للميت من اخته بواضح الضرورة فتحجبها، يبين الله لكم هذه الأحكام مخافة ان تزلوا فى المواريث عن جادة الحق والصواب والله بكل شىء من اشياء العالم عليم .

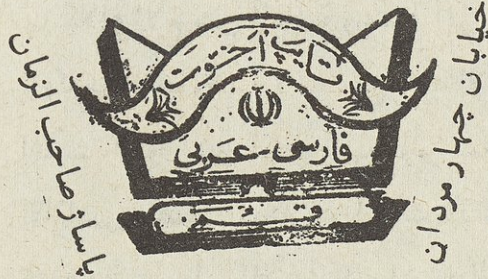
وبتمام تفسير سورتي آل عمران والنساء تم الجزء الثانى

من كتاب التفسير على يد مؤلفه محمد بن محمد

طه الحويزى الكرمى ويبدأ الجزء

الثالث بتفسير سورة المائدة

والحمد لله





العنوان	الصفحة
سورة آل عمران - وفد نجران وما اقترن به	١
من هم المتقون	١٨
دلائل توحيد ه تعالى	١٩
الدين عند الله الاسلام فقط	٢١
معنى قتل الانبياء و المبلغين	٢٥
اسباب غرور الجهلة	٢٧
تهديد الله للعصاة	٢٩
تصرف الامور بيد الله	٣١
علم الله بالغيب و الشهادة	٣٣
اصطفاء الله سلاسل انبياءه	٣٦
تقبل الله لمريم احسن القبول	٣٩
استجابة الله لركزيا بيحيى	٤١
تشاحّ الأحبار على كفالة مريم	٤٥
اعتناء الله بالمسيح	٤٨
د سائس اليهود للمسيح	٥١
مباهلة وفد نجران	٥٥
الدعوة الى عبادة الله وحده	٥٩
لم يكن ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا	٦٢
ارصاد اليهود لتحطيم الاسلام	٦٥
الانبياء بعيدون عن كل لوث	٧٠
الاسلام هو دين الله الذى لا يقبل غيره	٧٤
يتوب الله على من لتوبته مجال	٧٩



العنوان	الصفحة
كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل	٨٢
البيت و المقام	٨٥
الدعوة الى الاجتماع و عدم التفرق	٩١
الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر	٩٤
كنتم خير أمة اخرجت للناس	٩٩
كل عمل مرهون بواقعه	١٠٤
مشكلة النفاق و اخذ الحذر منها	١٠٧
طرف من وقعة بدر	١١١
رحمة الله لا تغلب حكمته	١١٥
من صفات المتقين	١١٨
طرف من وقعة بدر و احد	١٢١
الموت و الحياة بيد الله	١٢٦
الكافر و المشرك مغلوبان	١٣١
طرف من وقعة احد	١٣٣
قبضة الامور بيد الله	١٤١
المقتول في سبيل الله حى	١٤٧
حمراء الأسد	١٥١
بدر الصغرى	١٥٣
الأرحاء للكفرة استدراج	١٥٧
البخل شرّ رذيلة	١٦٠
تجنّى اليهود على الانبياء	١٦٣
قدرة الله على كل شىء مقدور	١٦٩



العنوان	الصفحة
العمل بصالح الدين فريضة	١٧٢
الدنيا متاع الغرور	١٧٤
سورة النساء ، الدعوة الى تقوى الله	١٧٧
لزوم ايتاء الزوجات مهورهن	١٨٢
منع السفه الا يقيم	١٨٤
اختبار المراهقين	١٨٦
مراعاة الانسان نفسه و ذريته امر لازم	١٩٠
نظام الارث من حدود الله	١٩٧
المنع من ان تورث النساء كرها	٢٠٠
حرمة ازواج الآباء على الابناء	٢٠٣
المحرمات بالنسب	٢٠٤
المحرمات بالسبب	٢٠٥
جملة من احكام النكاح	٢٠٨
حرمة اكل المال بالباطل	٢١٥
الكبائر	٢١٧
ضمان الجريرة	٢٢١
النشوز و بعض من احكامه	٢٢٣
البخل و مضاره	٢٢٦
الله ليس محلاً للظلم	٢٢٨
ذم الله لاهل الكتاب	٢٣٢
ذم الله لليهود	٢٣٤
اليهود و الجبت و الطاغوت	٢٣٧



العنوان	الصفحة
جزاء المؤمن و الكافر	٢٤٠
المحاكمة الى الطاغوت	٢٤٤
عظمة مقام الرسالة	٢٤٧
لزوم اخذ الحذر من المنافق	٢٥١
لزوم مبارزة الطاغوت	٢٥٤
الفارق بين الكسب و المقدرات	٢٥٧
بدر الصغرى	٢٦١
التحية و ردّها	٢٦٣
آية منسوخة	٢٦٦
قتل الخطأ و احكامه	٢٦٨
القتل العمدى	٢٧١
لا يستوى القاعد و المجاهد	٢٧٤
المهاجر فى سبيل الله مأجور	٢٧٨
كيفية صلاة الخوف	٢٨٠
حادثة بنى ابيرق	٢٨٤
حرمة الدفاع عن الخونة	٢٨٧
معنى البهتان	٢٨٩
مشاقّة الرسول	٢٩٢
اغواء الشيطان لبنى آدم	٢٩٤
حينية ابراهيم و محمد	٢٩٧
نشوز الزوج	٣٠٠
لزوم الاستمرار بالايمان	٣٠٦



العنوان	الصفحة
لون من الوان النفاق	٣٠٩
باب التوبة مفتوح	٣١٢
تعنت اليهود امام نبي الاسلام	٣١٦
ذم الله لليهود	٣١٩
هجوم اليهود على محلّ المسيح	٣٢١
في اهل الكتاب من هو مؤمن	٣٢٤
التحدث عن جملة من انبياء الله	٣٢٦
الكافر المصرّ على كفره غريق في جهنم	٣٢٨
التوحيد و التثليث	٣٣٠
المسيح و الملائكة لا يستنكفون عن العبودية لله	٣٣٢
الانبياء براهين الله	٣٣٣
كلالة الأبوين او الأب	٣٣٤





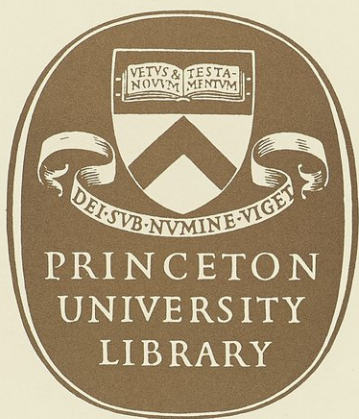












WERT  
BOOKBINDING  
Grantville, Pa.  
JULY - AUG 1994  
We're Quality Bound



Princeton University Library



32101 057496984